DATE DUE	DATE DUE

كتاب

عنوان المجد

في بيان

احوال بغداد والبصرة

و

نجد

تأليف
العلامة ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله بن الحيدري البغدادي

كتبه سنة ١٢٨٦هـ

الناشر
دار منشورات البصري

مطبعة دار البصري - بغداد تلفون (٨٩٢٧٩)

المقـــدمة

هو الباقي

بسم الله الرحمن الرحـيم

الحمد لله الذي تاهت العقول في بيداء معرفة كنه ذاته المقدسة وعجزت الافهام عن درك حقائق مصنوعاته المؤسسة والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين بمعجز آياته وعلى آله وصحبه الذين عمروا البلاد بالآثار والحسنة واقتفوا اثر دلالاته . اما بعـــد فيقول الفقير المحتاج الى عفو ربه السيد ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي واني قبل هـذا سافرت من بلدي مدينة السلام الى دار الخلافة قسطنطينية حماها عن كل سيء رب البرية . ومنها الى مصر والحجاز وعدت اليها ثانياً لاستوفي الوقوف على بدائعها بالحقيقة لا بالمجاز ثم خرجت منها الى البلاد السورية وبعض البلاد الاناضولية فاطلعت على تلك البلاد واحوال العباد ثم رجعت الى بلدي مدينة السلام ذات الثغر البسام ومكثت فيها بين اهلي واحبابي غير قليل من الاعوام الى أن رمتني الاقدار بسهام النيابة الى البصرة المسماة بخزانة العرب وقبـة الاسلام فلما وردتها ورأيت ما فيها من عجائب الانهار وغرائب النخيل والاشجار الممتنعة العـــد والحصر مع ما فيها من المد والجزر فى اليوم مرتين بحيث تمتليء الانهار والسواقي وكل عين وقـد آلت الى الخراب فلم يبق منها الا الاسم واندرست آثارها فلم يبق منها الا الرسم والوسم احببت ان اؤلـف كتاباً فى بيان انهارها ونخيلها واشجارها وبيان بيوتها القديمة من ذوي الثروة العظيمة مع بيان احوال بغداد وان كنت قبل هذا قـــد الفت في دار الخلافة احسن الكلام فى مدينة السلام إلا اني اردت ان اجمع احوال

البلدتين فى هذا الكتاب واحوال اراضي نجد وقبائله وما يليه من البلاد مع تصدير الكتاب ببعض ما ذكره الحكماء في سياسة الملوك فشرعت فى ذلك ورتبته على مقدمة وثلاثة مسالك وخاتمة وسميته « عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد » .

﴿ توطئة ﴾ اعلم ان من حكم الله تعالى وضع وجود السلطان في الارض ان الله تعالى جبل نوع الانسان على عدم الانصات لما خلق فيه من القوة الغضبية والشهوانية الموجبتين للفساد فى العالم واختلال نظامه و بوجود السلطان يدفع الفساد و يضبط النظام فمثل العالم بلا سلطان كمثل الحوت في الماء ، الكبير يبتلع الصغير والقوي يهلك الضعيف ، ولما لم يكن للعالم البحري سلطان قاهر لم ينتظم امر معاشهم ولم يتهنوا بالحياة وهذا معنى قول بعض العلماء المتقدمين : « لو رفع السلطان من الارض ما كان لله تعالى فى أهل الارض من مراد » يعني ان الله تعالى قد تعلقت ارادته العلية بتكليف الناس بالاوامر والنواهي التي اوحاها الى نبيه ﷺ لتكون باعثة لثواب بعض وعقاب بعض فلو رفع السلطان من الارض ذهب كل الى ما شاء وحصل الهرج واختل نظام العالم فيلزم من ذلك أن لا يكون له تعالى مراد في أهل الارض من التكليف بل يكون خلق الناس كسائر الحيوانات وهو محال ومن حكم الله تعالى في اقامة السلطان فى الارض اشارة الى وحدانية الله تعالى فانه كما لا يستقيم الامر بتعداد السلطان بل يختل بالتعدد كذلك لا يمكن وجود هذا العالم بدون إله واحد منفرد بخلقه وايجاده من العدم واتقانه على ابدع وجه « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وهذا معنى قول علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه امران جليلان لا يصلح احدهما الا بالتفرد ولا يصلح الآخر الا بالمشاركة وهما الملك والرأي فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأي بالتفرد ثم ان السلطان زادت شوكته وصولته وتمت استقامته . اعتدل

مزاج رعيته وتم امره وقــــد مثل بعض الحكماء للسلطان الكثير الشوكة والصولة والاستقامة مثلا حسناً وهو ان مثل السلطان كمثال بيت فيه سراج وحوله اناس مشتغلون بصناعهم فبينما هم في شغلهم طفيء السراج فكفوا أيديهم عن الشغل وتعطلوا عن صنائعهم فتحركت الحيوانات المؤذية لما رأت تلك الظلمة كالحيات والعقارب ونهض اللص بحيلة للسرقـة وهاج البرغوث مع حقارته وظهرت امارته الضارة فكذلك السلطان اذا كان ذا شوكة وصولة واستقامة كانت منافع العالم عامـــة فكانت الدماء محقونة والاموال مصونة والاعراض محفوظة والاعداء مخفوضة وخفت الاشرار وظهرت الاخبـــار واستقام امره بلا التماس وعظم فى أعين الناس واذا اختل امر السلطان وضعفت صولته قلت شوكته ولم تكن له استقامة دخل في العالم الفساد وفاح فيح اهل القبح والفساد وخف في اعين الناس روح يظهر التناقض في امور دولته ولو جعل قهر السلطان وكذا جوره حولا كاملا فى كفة الميزان وجعل فساد الرعية وجورهم وهرجهم ساعة واحدة فى الكفة الاخرى مع عـــدم وجود السلطان كان هرج ساعة اعظم واثقل من وجود السلطان سنقول هذا سر قول الفضيل (جور ستين سنة خير من هرج سنة) وقال العلماء من السلف والخلف ان استقامت لكم امور السلطان فاكثروا حمد الله تعالى وشكره وان جاءكم بما تكرهونه وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه من جرائمكم واقيموا عذر السلطان لانتشار الامور عليه وكثرة ما يزاحمه من ضبط جوانب الملك ورفع كيد الاعداء وتوارد امور شاقة عليه متعذرة الرد إلا بالعناء ولهذا قال بعض الحكماء هموم الناس صغار وهموم الملك كبار ومما نقلناه من المثال عن بعض الحكماء هو تفصيل ما اجمله بعضهم بقوله لا تتوطن إلا بلداً فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمـة وطبيب عالم ونهر جار

وقال حكماء العرب مثل مضار السلطان في جنب منافعه مثل الغيث الذي احي الله تعالى به الارض بعد موتها فبث فيها اثار رحمته من النبات والرزق فان الغيث قد يتداعى به البنيان وتكون فيه الصواعق المهلكة لبعض الناس والدواب وتموج به البحار فتشتد به البلية على من فيها فلا يمنع ذلك عن ان ينظر الناس الى آثار رحمة الله تعالى في الارض التي احياها وانبت فيهـا النبات والرزق والمنافع التي لا تحصى فيعظموا نعمة ربهم ويشكروها ولا يلتفتوا الى الاذية الخاصة فان العبرة بالعموم والى هذا المعنى اشار بعض الشعراء بقوله :

لا ترج شيئاً خالصاً نفعه　　　فالغيث لا يخلو من العبث

وقد ضبط بعض الحكماء ضابطاً فقال كل امر جسيم من امور الدنيا يكون ضرره خاصاً ونفعه عاماً فهو نعمة عامة وكل شيء يكون نفعه خاصاً وضرره عاماً فهو بلاء ثم ان نسبة السلطان الى الرعية كنسبة الروح الى الجسد فاذا صفت الروح من الاكدار مرت الى الجوارح سليمة وجرت بوصف سلامتها في جميع اجزاء الجسد وان تكدرت الروح وانزعجت وفسد مزاجها اعوج امر الجسد واختلف امر الجوارح باسرها وصار تكدرة منحرفة عن اعتدال المزاج ومرضت الحواس وتعطل نظام الجسد وآل الى الفساد والهلاك لأن كل عضو حاسته تأخذ بقسطه من كدر الروح وصفائها وقال كعب مثل السلطان والاسلام والناس مثل الفسطاط في العمود والاطناب . الناس لا يصلح بعضهم إلا ببعض ومع ما نقلناه عن الحكماء من ان السلطان كلما زالت صولته وظهر قهره كان امره في رعيته اتم وانفذ . فالذي ينبغي على ما ذكره اهل العقول المستقيمة ان يكون السلطان مع اظهار قهره رؤوفاً شفيقاً حليماً صبوراً متأنياً غير عجول ذا بذل واعطاء فان من لا رأفـة ولا شفقة ولا حلم عنده آلت رعيته الى الضعف وهو مؤد الى ضعف السلطان اذ لا سلطان إلا بالملك

ولا ملك إلا بالرعية ولا رعية إلا بالعدل ولا عدل إلا بالرأفـة وقلة الطمع ومن لا يكون متأنياً فى الامور فقد يزل به قدم العجلة اذ قد يظهر للمرء في باديء نفسه ما هو حسن ثم بادنى تأمل وامعان فكر يظهر قبحه كما قيل .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

ومن ليس له بذل وعطاء فقد تنصرف عن محبته قلوب الرعية ويؤول الامر الى عدم الاستقامة ومما يؤيد هذا ما نقل من امر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه مع معاوية بن ابي سفيان فان علياً لما كان ضائناً لبيت المال عن الضياع إلا بحق انصرفت عنه قلوب قريش وغيرهم ومالت الى معاوية لما عنده من بذل المال وسعة الحال مع علمهم بفضل علي ومقامه الاسني على معاوية ولقد اجاد من قال :

اذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبـة

ولكن يجب عليه أن لا يكون مبذراً ولا مقتراً بل يعطي كل ذي حق حقه من اهل العلوم والوزراء والامراء والكتاب وسائر العونة والغزاة والفقراء والمساكين لأن من يكون بخيلا فقد انصرفت عنه قلوب الرعية وصار مكرها عند الناس وكان فى معرض عدم الراحة وعدم استقامة اموره وطالت عليه السنة الرعية فيكون موجباً لعدم نفاذ امره وحكمه على مقتضى ما يحب ويشاء ومن احسن التمثيلات ما قاله بعض الحكماء من ان مثال السلطان مثال النار ومثال الرعية مثال الخشب فما كان معتدلا منها لم يحتاج الى النار وما كان اعوج احتاج اليهـا لتعديل عوجـه فاذا فرطت النار احترق الخشب قبل أن يستقيم عوجه وان قلت النار لم يستقم الخشب بل يبقى معوجاً واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب فكذلك السلطان فى اطواره واحواله ان افرط اهلك الرعية وان فرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا ومما يليق بكل عاقل

كامل ان لا يغفل عن خطر السلطان وبليته العامة وعما يتطرقه من الامور الشاقة في ضبط جوانب الملك فيحذره ويشكره على احواله فان السلطان لا يسكن خاطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر لبه فالخلق في شغل منه وهو مشغول والرجل يخاف عدواً واحداً وهو يخاف الف عدو ويضيق الرجل بتدبير أهل بيته ومعيشة نفسه وهو مكلف بتدبير سياسة جميع اهالي مملكته فكلما رتق فتقاً من حواش ملكه انفتق آخر وكلما قمع عدواً ارصدت له اعداء مع ما يعانيه من اختلاف طبائع الناس وله نفس واحدة ثم يسئل غداً عن جميعهم وهم لا يسألون عنه والى هذا المعنى اشار ﷺ بقوله الشريف: ما لكم والامراء لكم صفو امرهم وعليهم. وروي انه لما حج هارون الرشيد لقيه عبدالله العمري في الطواف فقال له يا هارون فقال لبيك يا عم فقال كم ترى ههنا من الخلق قال لا يحصيهم الا الله تعالى فقال عبد الله العمري اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وانت وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هارون وجاس فجعلوا يعطونه منديلا للدموع هذا ولا يخفى على كل ذي لب ان هذا الامر من اعظم مصائب السلطان كان الله تعالى في عونه. قال ابو بكر المالكي الطرطوسي في تفسير قوله تعالى لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان الله تعالى اقام السلطان في الارض لدفع القوي الضعيف وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى باقامة السلطان. فقال ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في اقامة السلطان فيأمن به الناس فيكون فضله على الظالم كف يده وعلى المظلوم امانة بكف يد الظالم عنه وروى كثير عن مرة عن النبي ﷺ انه قال: السلطان ظل الله في ارضه يأوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل

كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وقال بعض العلماء ليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل او ملك وقوام امر السلطان ودوامه وربط ملكه بقوام العدل والانصاف الحاكمة بهما الشريعة المحمدية الجامعة لجميع مصالح العباد المطابقة احكامها للعقول المستقيمة وان منهما من امارات الذل والزوال كيف وهي وضع إلهي ويظهر شؤم مخالفتهما ولو بعد مدة طويلة هذا ومما يلزم على السلطان ان يراعي اهل الفقه والعلم باداء حقهم واحترامهم فان في ذلك زينة ملكه لأن قيام الشريعة بهم كما ورد فى الآثار ومما جرت عليه عادة الملوك الماضية كيف لا وقد ذكر تعالى الفقهاء بقوله « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقـة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون . » ومن لوازم السلطان ان لا يغفل عن احوال رعيته بالفحص عنها ولا يتحجب وكلاؤه وامراؤه عن فقرائهم بل الاحرى ان لا يتحجب الامام أيضاً فان التحجب غفلة وجهلا باحوال الناس . قال بعض الحكماء يضيع امر الناس اذا كان الامير متحجباً وكان الرأي عند من لا يقبل النصح والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه ويجب على السلطان ان يخشى الله تعالى في جميع افعاله واقواله وحركاته وان يصغي للحق وان كان مراً ولا يأمن من آفات الدنيا والاقدار الآلهية جارية غير مأمونـــة قال بشر بن السري بينما الحجاج جالس فى الحجر اذ دخل رجل من اهل اليمن فجعل يطوف فوكل الحجاج بعض من معه فقال اذا فرغ من طوافـه ائتني به فلما فرغ اتاه به فقال من انت قال من اهل اليمن قال افلك علم بمحمد بن يوسـف قال نعم قال فاخبرني عنه قال لقد تركته ابيض بضاً سميناً طويلا عريضاً قال ويلك ليس عن هذا اسألك قال فعما تسأل قال عن سيرته وطعمته . قال فأجور السير

واخبث الطعم واعدى العداة على الله تعالى في احكامه . قال فغضب الحجاج وقال ويلك اما علمت انه اخي قال بلى وانت اما علمت ان الله تعالى ربي والله لهو امنع لي منك اكثر منك لاخيك فقال أجل ارسله يا غلام فسكت . فانظر الى وقوف الحجاج وخوفه عند ذكر الله تعالى مع شدة بأسه وجوره وظلمه الذي بلغ عنان السماء ومن الامور المهمة التي ورد بها الشرع الشريف واتفق عليها العقلاء وبهـــا نظام الامور اللين وترك الغلظة ومنها المشاورة وعـدم استعمال من اظهر الحرص في طلب الولاية على الاعمال والولايات فان هذه الخصال من اساس استقامة الملك . اما اللين وترك الغلظة فلقوله تعالى لنبينا الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك وقوله تعالى : واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه فجاء رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الابيض المتكيء فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قـــد اجبتك . فانظر الى تواضعه صلى الله عليه وسلم وجلوسه مع اصحابه كأحدهم بحيث لا يمتاز بشيء عنهم ولم يعرفه الرجل بهيئة مخصوصة وبالجملة انه قد يبلغ بالتواضع واللين ما لا يبلغ بالكبر والغلظة ألا ترى ان الرياح يهبو بها لا عن شدة تنعطف بها اغصان الاشجار . واذا اشتدت انكسرت الاغصان بل ربما قلعت اصولها ومما ذكرناه من الامر باللين وترك الفظاظة والغلظة لا ينافيه ما ذكر في بعض التواريخ من ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع باس معاوية من استعمال شوكة الملوك توجه الى الشام ولما رأى معاوية بهيئة الملوك قال له ماهذا يا معاوية فقال ياامير المؤمنين هذه الروم يعني ان قرب الروم من بلاد الشام يقتضي تعاطي هذه الحالة لاظهار شوكة الاسلام وصولتهم فهو لغرض ديني لا شهواني فاقره عمر رضي الله عنه على ذلك لما

رأى ان مصلحة الدين فيه ووجه عدم المنافاة ان اللين وترك الغلظة طور وراء طور الوقار والشوكة لمصلحة الدين واين هذا من ذلك بل اللائق بحال امام المسلمين في زماننا هذا ان يكون في غاية الشوكة والمهابة والصولة لما ترى من تبدل الزمان والاحوال وكثرة الاعداء وشوكتهم وصولتهم فلكل مقام مقال ولكل زمان حال واما المشاورة وعدم الاستقلال في الرأي فلقوله تعالى خطاباً لافضل خلقه واعلمهم واعقلهم واكملهم خلقاً وخلقاً نبينا محمد ﷺ وشاورهم في الامر فانظر الى هذه الاشارة اللطيفة فان نبينا ﷺ مع كونه اكمل العالمين عقلا وفضائل حتى قال بعض العارفين لو وزن عقله ﷺ بعقول العالمين اجمعين لرجح عقله على الجميع امره بمشاورة اصحابه لما في المشاورة من حسن الادب مع الجليس ومساهمته في الامور لأن نفوس الجلساء تميل الى ذلك فادب الله تعالى نبيه به ليكون مأدبة لسائر الملوك والامراء والجلساء . والاستبداد بالرأي من اقبح ما يوصف به الرجل ملكا كان او غيره ومن ألطف ما قيل في المشاورة قول بعض الادباء وقد أجاد :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر ... فالامر لا يخفى على رأيين
فالمرء مرآة تريه وجهه ... ويرى قفاه بجمع مرآتين

واما عدم استعمال من طلب الولاية فما رواه البخاري ومسلم ان رجلا قال يارسول الله استعملني فقال النبي ﷺ انا لا نستعمل على عملنا من اراده والسر أن الولاية امانة وتصرف في ارواح الخلائق واموالهم والاسراع الى الامانة دليل على الخيانة وهي تستدعي فساد قلوب الرعية على الملك لانه اذا بطلت حقوقهم واتلفت اموالهم فسدت نياتهم واطلقوا السنتهم بالدعاء عليه والله سبحانه وتعالى عند القلوب المنكسرة فيؤول الامراء الى الاختلال والزوال وبالجملة ان هذا اوان تعسر في زماننا لقلة اهل العفة والاستغناء إلا من ظهرت عليه امارة الخيانة والارتكاب والجسارة من العمال يجب عدم

استعماله بل يجب على السلطان ان يتحرى في تجربة الرجال ليكون اقرب الى امتثال الحديث وان قل الامناء لفساد الزمان وما لا يدرك كله لا يترك كله واللائق بحال السلطان ان يكون واعياً متفحصاً عن احوال رجاله ورعيته ليضع كل شيء في محله ويكون مشغولا بتمرين نفسه وتطبيعها امهات الفضائل وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة فالحكمة فضيلة القوة العقلية والشجاعة فضيلة القوة الغضبية والعفة فضيلة القوة الشهوانية والعدالة عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب فيها وبها يتم نظام جميع الامور ولذا قيل بالعدل قامت السموات والارض فقوة العدالة حالة للقوى الثلاث فى انتظامها على التناسب تحت الترتيب الواجب فليست قوة العدالة جزء من الفضائل بل هى عبارة عن الحالة العارضة لجملة الفضائل فانه مهما كان بين السلطان وجنوده واعوانه ورعيته ترتيب حسن يكون السلطان بصيراً وتكون الجنود والاعوان والرعية ذات انقياد وطاعة . يقال ان للسلطان عدلا ولا يتم العدل بكون بعضهم بهذه الصفات دون الكل وكذلك العدل فى مملكة البدن فالعدل فى اخلاق النفس يتبعه العدل في المعاملة والسياسة والعدل فى المعاملة وسط بين رذيلتي الغبن والتغابن وهو أن يأخذ ما له اخذه ويعطي ما له اعطاءه والغبن ما ليس له والتغابن ان يعطي في المعاملة ما ليس عليه حمد ولا اجر والعدل فى السياسة ان يترتب اجزاء المدينة وفق الترتيب المشاكل لترتيب اجزاء النفس حتى تكون المدنية في ائتلافها وتناسب اجزائها واركانها على طبق الغرض المطلوب من الاجتماع وهو التعاون الذي به يحصل نظام العالم بحيث يكون كالشخص الواحد وينقسم السكان الى مخدوم ولا يخدم كالملك والى خادم ليس له بمخدوم كالعبد والى من يكون مخدوماً من وجه وخادماً من وجه آخر كاعوان الملك والمرء مع اهل بيته مثلا كما في قوى النفس فان بعضها مخدوم لا يخدم كالعقل المستفاد وبعضها خادم ليس

بمخدوم كالقوة الدافعة للعضلات وبعضها خادم من وجه ومخدوم من وجـه آخر كالمشاعر الباطنة وبمثل هذا الترتيب قامت السموات والارض حتى صار العالم كله كالشخص الواحد متعاون القوى والاجزاء على الترتيب الحسن بتقديم ماحقه التقدم وتأخير ما حقه التأخر فليس في الامكان ابدع مما كان والانسان بين ان يحصل الفضائل ويكمل فيلتحق بالمجردات ويقرب من الله تعالى وبين أن يبقى برذائل الشهوة والغضب والجهل فيلتحق بالبهائم ويهلك فى الدارين على ماتقرر فى علم الاخلاق وبالجملة ان العدل اعظم الاركان التى بها قوام السلطنة والملك ودوام الدولة فان العدل ميزان الله تعالى فى الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوى والحق من المبطل قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. وقد شبهوا الملك بالرجل فاعتبر السلطان رأسه والوزير قلبه والاعوان يديه والرعية رجليه والعدل وجهه وهو موجب لاجتماع الرعية على محبته المقضي الى استقامة امره ونظام ملكه واذا عـــدل السلطان فيما قرب منه صلح له ما بعد منه وعز الملوك بالعدل كما ان شرفها بالعفو وعدة السلطان ثلاثـة امور مشاورة النصحاء وثبات الاعوان وترويج سوق العدل. ثم العدل ينقسم الى قسمين قسم آلهي جاءت به الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام عن الله تعالى وهو الشرائع وقسم يشبه العدل وهو السياسة الاصطلاحية ويستحيل ان يدوم بقاء السلطان أو تستقل رعيته في حال ايمان أو كفر بلا عـدل قائم ولا ترتيب للامور ثابت وتوافقت حكماء العرب وغيرهم على هـذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند اساسه فاذا قوي الاساس دام البناء واذا ضعف الاساس انهـار البناء فلا سلطان الا بجند ولا جند إلا بمال ولا مال إلا بالعمارة ولا عمارة إلا بالعدل فصار العـدل اساساً لسائر الاساسات والعدل النبوي الذي هو العدل

الآلهي عبارة عن الاحكام الشرعية المحفوظة بالعلماء الوارثين لعلوم الانبياء الذين خصهم الله بكرامة الرفعة بقوله تعالى : يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فلا مندوحة لاحد عن امتثال امرهم لانهم الموصلون الى النبي ﷺ الموصل الى الله تعالى وكما ان السلطان الحازم لا يتم حزمه الا بمشاورة وكلائه ووزرائه الحاذقين كذلك لا يتم عدله الا باستفتائه العلماء الصادقين روي انه استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يجد عنده حاجباً ولا بواباً فقيل له في المسجد فأتى المسجد فوجده مستلقياً متوسداً كوماً من الحصى ودرته بين يديه فقال له الهرمزان عدلت فأمنت فنمت وقالت الحكماء من حرم العدل فلا خير له ولا للناس فى سلطانه . وقال يحيي بن اكثم القاضي ماشيت المأمون فى بستان والشمس عن يساري والمأمون فى الظل فلما رجعنا وقعت الشمس ايضاً علي فقال المأمون تحول مكاني واتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت واقيك الشمس كما وقيتني فان اول العدل ان يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى فعزم علي فتحولت وقال بعض الحكماء رم ما شئت بالانصاف وانا زعيم لك بالظفر به ومن الامور المهمة التي تجب رعايتها على السلطان واعوانه تقوى الله تعالى والخوف منه سراً وعلناً واذا كان مبتلياً بالمعاصي فعليه أن يتستر ولا يتجاهر بالمعاصي ولا يهتك محارم الله تعالى فان ذلك يكون موجباً لاستخفاف الرعية به مع كون الفسق موجباً لزوال النعمة وعما قريب تكون اللذة عذاباً والعفة عتاباً فكم ملك ازالت ملكه الشهوات وهدمت قواعد دولته قلة المبالاة بالطاعات .

قال ابو جعفر المنصور ما زال امر بني امية مستقيما حتى افضي امرهم الي ابنائهم المترفين فكانت همتهم مصروفة في قصد الشهوات وايثار اللذات

ومن الامور المهمة عدم تقليد الاعمال المهمة غير اربابها .

سئل بعض الكاملين ما بال ملك آل ساسان صار الى ما صار اليه بعدما كان فيه من القوة وشدة الاركان فأجاب بانهم قلدوا كبار الاعمال صغار العمال ولهذا اطبق الحكماء على أن موت الف من الرجال الكاملين اقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة . وفي الامثال زوال الدول باصطناع السفل . وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى اظلم الناس لنفسه اللئيم الذي اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل . وقالت الحكماء اسرع الخصال في هدم قواعد السلطان واعظمها فى افسادها وتفريق الجمع عنه رفع السفلة واظهار المحاباة لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبيلة . وقيل لبعض الملوك بعد زوال ملكه ما الذي اذهب ملككم فقال رفعي للسفلة وثقتي بدولتي واستبدادي بمعرفتي واغفالي الى استشارتي واعجابي بشدتي واضاعة الحيلة والتدبير فى وقت حاجتي والتأني عند عجلتي ومن الامور المهمة اتصال الاخبار فقد سئل بعض العارفين ما الذي اذهب ملك بني مروان فقال تحاسد الاكفاء وانقطاع الاخبار .

روي أن يزيد بن عمر كان يحب ان يضع نصر بن سيار وكان لا يرفع الى الخليفة ما يرد عليه من نصر من اخبار خراسان فلما رأى نصر بن سيار ذلك أنشد يقول :

اری خلل الرماد وميض جمر فيوشك أن يكون لها ضرام
فان النار من عودين تذكي وان الحرب أولها كلام
فقلت تجاهلا يا ليت شعري أأيقاظ امية أم نيام

ومن الامور التي لا يدوم معها الملك العجب . قال الحكماء ومن العجب العجاب دوام الملك مع الكبر والاعجاب .

روي عن النبي ﷺ انه قال للعباس رضي الله عنه انهاك عن الشرك بالله تعالى والكبر فان الله تعالى يحتجب منهما . وقال الاحنف بن قيس ما تكبر أحد إلا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى عن الكبر وتأنف منه ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب فقال وددت اني مثلك في ظنك وان اعدائي مثلك في الحقيقة وقال لبعض الحكماء وقد يدوم الملك مع معظم النقائص فرب جاهل ساد قومه ورب احمق رأس عشيرته فنهم الاقرع بن حابس الذي قال فيه النبي ﷺ ذلك الاحمق المطاع ولا يدوم مع الكبر والاعجاب وقد حرم الله الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً فقرن الكبر بالفساد وقالوا ان الكبر يوجب المقت والمقت البغض ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ومن ابغضته بطانته كان كمن غص بالماء ومن كرهته الحماة تطاولت عليه الاعداء . والاعجاب يكون سبباً لحمل صاحبه على الاستبداد وترك مشاورة الرجال ومن الامور التي لا تدوم مع الملك الكذب .

قالت الحكماء العرب وغيرهم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن اما الكذب فلأنه اذا كان كذابا لم يوثق بوعده ووعيده فلم يرج خيره ولم يخف أحد من بأسه ولا بهاء لسلطان لا يرجى خيره ولا يرهب بأسه واما الخلف فما ذكره الحكماء من أن خراب البلاد وفساد العباد مقرونان بابطال الوعد والوعيد من الملوك . واما الحسد فانه اذا كان حسوداً لم يشرف أحد به واذا ضاعت الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح الناس الا باشرافهم . قال بعض الشعراء :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما الحدة فلأنها تكون موجبة لانفضاض الرعية عنه واما البخل فلانه

اذا كان بخيلا لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة . واما الجبن فلأنه اذا كان جباناً اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره . ومن الامور الموجبة لفساد امر الرعية وهدم قواعد السلطنة الاحتجاب . قال بعض الحكماء اذا احتجب السلطان فكأنه مات وقال بعضهم لا تزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم فاذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة يتصرفون في ارواح الخلائق واموالهم على ما يشاؤون لامنهم من وصول المظلوم الى السلطان .

قال بعض الحكماء من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة واعظم اسباب الخراب أن يكل السلطان امر رعيته الى اعوانه ولا يتفحص عن احوالهم واذا علم خياناتهم لا يصغي الى شكوى المظلومين ولا يفتش عن حقيقة تلك الشكوى وكذلك الوزراء بالنسبة الى سائر العمال الا أن السلطان اذا جرب صدق احد وكلائه وسداد رأيه وسعيه فى مهام الملك فعليه ان يثق به ويعتمد عليه وينفذ احكامه ولا يصغي الى كلام الواشي عليه ولا يستعجل فى عزله .

روي انه قال معاوية بن ابي سفيان لصعصعة بن صرحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالماً برعيته عادلا فى قضيته عاريا عن الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مصون الثياب متحرياً للصواب رفيقاً للضعيف غير مجاب للقوي ولا جاف للقريب . ومن الكلمات الجامعة ما قاله بعض الحكماء المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمضادة توجب العداوة . والمتابعة توجب الالفة والصدق يوجب الثقة والامانة توجب الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفع والجود يوجب الحمد والبخل يوجب الذم والتواني يوجب التضييع والجد يوجب رجاء الاعمال

والهوينا توجب السلامة واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأني يسهل المطالبة وبلين كنف المعاشرة تدوم المودة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وكثرة الصمت توجب الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السؤدد . وبالحلم عن السفيه تكثر انصارك عليه وبالرفق والتؤدة تستحق اسم الكرام وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل .

واتفق حكماء العرب وغيرهم على اربع كلمات : الاولى لا تحمل نفسك شيئاً ما لا تطيق . الثانية لا تعمل عملا لا ينفعك . الثالثة لا تغتر بالمؤنة الرابعة لا تثق بمال وان كثر ومن اعظم الامور التي بها عز السلطان الطاعة .

روي انه قال ملك فارس لموبذان أي شيء واحد يعتز به السلطان قال الطاعة قال فما ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة .

وروى الفهري انه لما دخل سعد العشيرة على بعض ملوك حمير فقال له يا سعد ما صلاح الملك قال معدلة سابغة وهيبة وازعة ورعية طايعة . فان في المعدلة حياة الانام وفي الهيبة نفي الظلام وفي طاعة الرعية التآلف والالتئام ويجب طاعة الامام على الرعية وطاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله ﷺ فان طاعة الامام عصمة كل فتنة ونجاة كل شبهة وحرز لمن دخل فيها والتجأ اليها من كل مفسدة وليس للرعية ان تعترض على الامام فى تدبيره من امور السياسة لحفظ قواعد الاسلام بل عليها الانقياد والطاعة وعلى الامام الاجتهاد بالمعدلة فالامامة عصمة للعباد وحياة للبلاد اوجب الله تعالى الطاعة لمن خصه بفضل الامامة وحمله عبئها فقرن طاعته بطاعته وطاعة رسوله ﷺ فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول

واولي الامر منكم . فمن خرج عن طاعة الامام فقد انقطت عصمته وبرىء من الذمة لأن طاعته حبل الله المتين ودينه القويم فيجب على كل مسلم الاخلاص والنصيحة الصادقة مع الامام فانه ما مشى قوم على سلطان ليذلوه إلا اذلهم الله تعالى قبل ان يموتوا وعلى السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم بحسن السيرة والعدل فيهم والتعديل بينهم بالرفق والرأفة والشفقة كما أن حق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة والصدق وعدم الخيانة .

قال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك .

روى بعض المؤرخين انه لما غزا سابور ذو الاكتفاء ملك الروم واخرب بلاده وقتل جنوده وافنى بطارقته قال له ملك الروم انك قتلت جنودي واخربت بلادي فاخبرني بالامر الذي تسببت به حتى قويت على ما أرى وبلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك فان كان مما تضبط به الامور اديت لك الخراج وصرت كبعض الرعية في الطاعة لك . قال له سابور اني لم ازد في السياسة على ثماني خصال لم اهزل في امر ونهي ولم اخلف في وعد واثبت على العنا لا على الهوى وضربت الادب لا للغضب واودعت قلوب الرعية المحبة من غير جزاء والهيبة من غير ضغينة وعممت بالقوة ومنعت بالفضول فاذعن له وادى اليه الخراج .

روي انه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمغيرة لما ولاه الكوفة يا مغيرة ليأمنك الابرار ويخافك الفجار وقال حكماء الهند افضل السلطان من امنه البريء وخافه المجرم وشر السلطان من خافه البريء وامنه المجرم وقالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها وقالوا شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء والقوة على الضعفاء والبخل عند الاعطاء وقالوا الملك العادل كالنهر الصافي ينتفع به الاخيار والاشرار وبصلاح السلطان يكون صلاح

الدنيا . قال معاوية بن أبي سفيان لابن الكري صف لي الزمان فقال انت الزمان ان تصلح يصلح وان تفسد يفسد وفي المثل السائر الناس على دين ملوكهم وكذا قيل الدين والسلطان توأمان .

روي انه قال اردشير لابنه يا بني ان الملك والدين اخوان لا غناء لاحدهما عن الآخر فالدين اساس والملك حارس وما لم يكن له اساس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يا بني اجعل حديثك مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد ومشورتك لاهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك وليكن من اهل العقل . ومن الامور المهمة استثناء البلاد القريبة من الثغور لبعض الرعايات ولا سيما اذا كانت كثيرة القبائل والعشائر اكثر اهاليها سكان البادية متفرقة الاحوال والاخلاق بعيدة المزاج عن التمدن بحيث يتعذر ويشق ضبطها إلا بعد ممارستها وتمرينها بزمان طويل ويصعب اجراء السياسة بينهم إلا برفق ومماشاة كسواد العراق وذلك بأخذ الامور معهم بلطف فان في ذلك من المنافع والمصالح الغائبة ما لا يخفى على من نظر من بعيد الى بعيد فان الهجوم على المصالح الشاقة دفعة لا ينتج الا عناء وتكون مقاصده ناقصة ومطالبه غير سديدة فان التأني في الامور يوجب الظفر ومعاملة الناس على مقتضى عقولهم من سمات الحكمة كما ورد كلم الناس على قدر عقولهم فاذا تطبعت النفوس سهلت الامور وحسنت عاقبة الامور فالحكيم من انطق بالحكمة وباشر الامور بالتدريج والاستثناء ان امتنع وخالف امور السياسة المعتبرة لدى سلطان العصر واستلزم وخرق القواعد والقوانين الكلية فلابد ان يعتبر بعض لوازمه فان الاستثناء ولو موقتاً في مثل هذه المواضيع يوجب الظفر في المطالب المهمة . ومن اعظم الامور المهمة التعمير بحفر الانهار المندرسة والحرث بمساعدة الفلاحين والتخفيف فيما يرتب عليهم وحث العامة على تعليم الصنائع والمعارف بحيث

لايحتاجون الى صنائع الدول الاجنبية وبناء المدارس والمكاتب وتعليم الاولاد العلوم الدينية وغيرها كعلم النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع واللغة والعروض والانساب والمنطق والحكمة والهيئة والطب والهندسة والحساب وتعلم سائر الالسن وغيرها من الآلات التي تزيد العالم قوة ومعرفة باحكام الدين والسياسة فان العالم بالفقه اذا خلا من معرفة هذه العلوم لم يوثق بفقاهته لقصوره عن درك العبارات الدقيقة من كتب الفقه بل يستحيل ان يدرك معاني القرآن والحديث والمأمور بادارة محل اذا كان جاهلا مطلقاً أو عاريا عن اكثر هذه العلوم كانت سياسته ناقصة وان كان ذا فهم وفطنة ويجب تعلم علم الفقه والحديث والتفسير والسير وكذا التواريخ واللايق بالسلطان توسيع الدائرة بترويج المذاهب الاربعة بين القبائل والعشائر تسهيلا على العباد لان اختلاف الأئمة رحمة في حق الناس على أن ذلك اقوى اسباب العمارة لان ترويج المذاهب الاربعة يكون سبباً لحفظ عقائد العاما عن الرفض وسائر الاعتقادات المخالفة لأهل السنة والجماعة واذا كانت الرعية على مذهب أهل السنة كان السلطان امينا من خيانة رعيته وميلهم الى المبتدعة ألا ترى أن الامراء والوزراء لما غفلوا عن عشائر العراق ولم ينصبوا بينهم العلماء كيف ارتد اكثرهم عن مذهب اهل السنة وصار ميلهم الى الرفض اكثر وان كانوا من العرب حتى انهم اذا ضاقت بهم المسالك ولو وجوههم الى نحو العجم وما ذلك إلا لاتحاد المذاهب وبالجملة ان الغفلة عن ترويج العلوم الدينية وعن تثبيت كل عشيرة وقبيلة على أحد المذاهب الاربعة بارسال العلماء اليهم وتعليمهم امور الدين على قواعد اهل السنة وعدم الاعتناء بذلك خطر عظيم بحسب المآل وترويج المذاهب الاربعة بين القبائل والبلدان مع كونه مستلزماً لمصالح مهمة دينية ودنيوية لا يمنع من اعتبار السياسة العرفية والقوانين النظامية

ألا ترى ان ملوك الاسلام الماضين كيف اعتبروا الامور الدينية وروجوا العلم والعلماء لمصالحهم المهمه ومع ذلك كانت لهم قوانين عرفيـــة فى ضبط امور السياسة بين العباد ومن اسباب العمارة ترويج التجارة بتسهيل الطرق لخروج الاموال وبحفظ اموالهم ورعايتهم . ومن اسباب العمارة جلب القبائل والعشائر التي في البادية الى المدن وترغيبهم الى الحرث وتعلم الصنائع والمعارف كما اسكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سبعين الفاً من اشراف العرب في البصرة وسميت خزانة العرب رقبة الاسلام والبصرة اليوم بلاقع وذلك انما يكون بقوة دافعة أو بعطاء ولطف ومماشاة طويلة وعلى السلطان وعلى وكلائه ووزرائه تسوية الاحكام بين الخواص والعوام وبين المسلم وســـائر اهل الكتاب فى اجراء الاحكام واظهار الحقوق كما هو مقتضى شريعتنا المحمدية واعلام العوام بأنه ليس لاحد عليهم سبيل وانه لا فرق بينهم وبين اشراف الناس في الحكم بمقتضى الامر الآلهي وانه لا حاكم عليهم سوى السلطان ووكلائه وامرائه ونوابه نيابة عن السلطان فان ذلك من اعظم اسباب العمارة نعم ان لخواص الناس رعاية باكرامهم واحترامهم وتنزيلهم منازلهم لا تبصر فيهم في ارواح العامة واموالهم فهذا ما يتعلق بالسلطان واما الامور المتعلقة بالرعايا والمتبعة فاما الوكلاء والوزراء فيجب عليهم الصدق والعدل والعفة والنصح والخدمة النافعة وعدم الطمع فان ذلك يكون سبباً للفوز في الدارين على ان عدل ساعة خير من عبادة الف شـهر والعدل اقوى اسباب نظام العالم والجور اسرع الى الخراب واختلال النظام كما سبق ويجب عليهم التسوية بين الغني والفقير والشريف والوضيع فى اجراء الاحكام فان المحاباة والميل الى بعض دون بعض دليل الخيانة فى الدين والدولة ويجب عليهم التفحص عن اهل الفضل والمعرفة والعفة والصدق ليقلدوهم اهم الامور وان ابوا عنها فان اقبح المظالم

تقليد القضاء والامارة والعمالة ارباب الخيانة والكذب والارتكاب والجهل والتكبر والجور . فقد روى النبي ﷺ انه قال من قلد انساناً وفى رعيته اولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين وروي عن انس رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له فان وجد اثنان احدهما اورع والآخر افقه فالاورع اولى لانه يمكنه ان يقضي بعلم غيره على ما ذكر فى المضمرات وبالجملة ان التحري على الوكلاء والوزراء فى الحكم بين الرعيه وفي تقليد الامور واجب وعليهم ان يتجسسوا عن احوال الخواص والعوام بانفسهم خفية وباعوانهم المفتشين الصادقين الخالين عن الاغراض من ذوي العفة الذين لا يفترون على الناس فان وزر العباد على الوزراء لا على السلطان لأنه وكل الأمور اليهم وهو نفس واحدة لا يمكن ان يحيط نفسه باحوال العباد والبلاد نعم على السلطان ان لا يكل الامر الا الى الوزراء الصادقين من ذوي العفة والعدل والمروءة والرحمة حسب التجربة ومن ظهر منه نوع ارتكاب وجور وعدم انصاف فعليه ان لا يقلده امراً من الامور فان فعل فهو مسؤول يوم القيامة واما القضاة والنواب وارباب الفتوى فوجب عليهم الحكم بالعدل وعدم الارتشاء والعفة والورع والديانة والاحتياط والحكم بالقول الراجح المفتى به دون المرجوح واجراء ادب القضاء بين الداعي والمدعى عليه والتسوية بينهما وان كان احدهما شريفاً والآخر وضيعاً وكان احدهما مسلماً والآخر نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً .

فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال من ولي عشرة فحكم بينهم بما احبوا وكرهوا جيء به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فان حكم بما انزل الله ولم يرتش فى حكمه ولم يخف فك الله غله وان حكم بغير ما انزل الله وارتشى فى حكمه وخاف فيه شدت يساره الى يمينه ثم

رمى به في جهنم .

وروي عن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار هذا والقضاء من المناصب العالية وهي من اعظم المصائب على اهل الورع والديانة لانه مزلة الاقدام ولذا اجتنب عنه الامام ابو حنيفة رضي الله عنه وصبر على الحبس والسجن حتى مات فيه . وقيل انه ضرب ولم يقبل القضاء وقال البحر عميق كيف اعبره بالسباحة . وقال ابو قلابة ما وجدت القاضي الا كسابح بحر وقد دعي ابو قلابة الى القضاء فهرب الى الشام فوافق موت قاضيها فهرب الى اليمامة واجتنب عنه كثير من السلف واما سائر العلماء والمدرسين فاكثرهم قد اعتمد على الرتب والجاه وصرف النظر عن كسب العلوم وكثير منهم في سائر البلاد قد تقلد التدريس مع عدم الاستعداد التام ولذا قل العلماء الفحول من ذوي التحرير والتقرير في البلاد فيجب على الولاة أن لا يقلدوا أحداً مدرسة إلا اذا كان عالماً بجميع العلوم وله قوة التقرير فيها مع التحرير ليروج سوق العلم وانت ترى انه اذا مات عالم في زماننا وترك ولداً جاهلا نصبوه في محل أبيه ولم ينظروا الى حرمة العلم ورعايته بنصب أهله بل يلتفتون الى كونه ولد العالم المتوفى والعلم لا يكون موروثاً بل انما يكون بالجد والتحصيل ولو نظرنا الى جهة كونه ولد العالم المتوفى لآل الامر الى زوال العلم والعلم لم يبق الى الآن الا برعاية أهل العلم ولو روعيت جهة لما وصل الينا شيء من العلم . نعم اولاد العلماء لهم حق الرعاية على الولاة بحثهم على تعلم العلوم والمعارف ، والنسب لا يجدي نفعاً كما قال بعض الكاملين من اهل النسب .

لسنا وان كنا ذوي نسب يوماً على الانساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال بعضهم :

كن ابن من شئت واكتسب ادبا يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها انذا ليس الفتى من يقول كان أبي

واكثر اهل الانساب في هذا العصر قد اتكلوا على انسابهم وتقاعدوا عن طلب العلم والمعارف فصاروا كاحاد الناس ولم يتفطنوا ان شرف المرء بالفضل والكمال والمعرفة لا بالعظام البالية واللائق بالعاقل ان يحصل الكمالات ويخرج نفسه من دناءة الجهل فان العلم يرفع والخط ينفع والجهل يضع واما التجار فحرفتهم التي هي التجارة من الحرف المستحسنة فقد روى بعض أهل العلم ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان يكتسب بالتجارة والاكتساب من الحلال من الطاعات ولذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام يكتسبون فروي ان آدم عليه السلام كان يزرع الحنطة وكان نوح عليه السلام نجاراً وكان داود عليه السلام يصنع الدروع وكان سليمان عليه السلام يصنع المكتل وعيسى عليه السلام يأكل من غزل امه ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الغنائم وقد تاجر صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فعلم ان طريق الاكتساب من طرق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا قال الفقهاء الكسب فرض بقدر الكفاية لنفسه وعياله وقضاء ديونه والكاسب حبيب الله تعالى على ما قيل فى المثل المشهور ثم ان طرق الاكتساب على ما ذكره بعض الفقهاء التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة والصناعة انواع كثيرة ويجب على التجار تعلم مسائل المعاملات الشرعية .

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبع فى سوقنا من لم يتفقه فى الدين

فينبغي لهم ان يتعلموا علم الحساب والدفتر وقواعد التجارة . والتجارة والصناعة فرض كفاية لأنها لو تركت لبطل المعاش وهلكت الناس واختل نظام العالم فشرع الحكيم المطلق تعالى المبادلة على وجه لا يخل بنظام الكونين ويجب على المكتسب ان يراعي فى معاملته العدل ويجتنب الغش واخفاء العيب .

حكي عن يونس بن كفديد انه كان عنده حلل مختلفة الأثمان فذهب الى الصلاة وترك ابن اخيه فى الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة باربعمائة فعرض عليه حلة من الحلل التي تقوم بمائتين فاستحسنها واشتراها باربعمائة وذهب فاستقبله يونس ورأى حلته في يده وعرفها فقال بكم اشتريتها فقال باربعمائة فقال لا تساوي اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وانا راضي بها ولا اردها فقال له يونس انك وان نصبتها فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها فرده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم ثم توجه الى ابن اخيه وقال له اما خشيت الله تعالى حتى ربحت مثل الثمن وتركت النصح للمسلمين فقال له ابن اخيه والله ما اخذها إلا وقد رضي بها فقال له هلا رضيت له ما رضيت لنفسك . وذكر فى شرح المشكاة ان ابا حنيفة رضي الله عنه تصدق بجميع ما اتى به وكيله اليه لما خلط ثمن ثوب معيب بيع مخفياً قيل وكان المال ثلاثين الفاً . ويجب على المكتسب ان لا يثني على السلعة ولا يحلف عليها ويجب عليه أيضاً ان يصدق في سعر الوقت ولا يلبس ولا يخون في المقدار ولا يطفف والمحتكر ملعون .

قال ابو يوسف كلما يضر بالناس حبسه مأكولا او غيره وان كان ذهباً وفضة فانه يأثم بالحبس وان قلت مدته ومن حبس غلة ارضه لا يكون محتكراً لكن لو امتنع عن البيع عند شدة احتياج المسلمين اليها يكون مسيئاً ومن جلب من بلد آخر فقد اختلفوا فيه والاحتياط ان يبيع بسعر وقته .

وروي عن النبي ﷺ انه قال من جلب طعاماً فباعه بسعر وقته يومه فكأنما تصدق به وعنه ﷺ ما من جالب يجلب طعاماً من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهداء ثم قرأ وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فانه تعالى سوى فى هذه الآية بين درجة المجاهدين في سبيل الله والمكتسبين المال الحلال فدلت الآية على ان التجارة بمنزلة الجهاد واما ارباب الحرف من الصناعة والفلاحة يجب عليهم ايضاً الصدق وعدم الغش والسعي التام وبالجملة ان عالم الدنيا هو عالم الاسباب ونظامه بنظام الاحكام والصنائع والحرف فاللايق بحال اخواننا المسلمين ان يتيقظوا من يوم البطالة والغفلة فان سائر الملل قد حازوا أنواع المعارف والصنائع بعد أن كانوا من قبل عارين عن كل معرفة وكان المسلمون من قبل احسن الممالك فى امور المعاش وكان غيرهم يحتاجهم وهم لا يحتاجون غيرهم في شيء وقد انعكس الامر فى هذا العصر فيجب عليهم ان ينهضوا من نومة الغفلة ويتعاضدون على تعلم المعارف والصنائع ليعودوا الى سيرتهم الاولى ويستغنوا عن غيرهم ويتحابوا ويتعاضدوا على تقوية الدين والدولة ويتركوا القال والقيل ويجتنبوا عن فلان طويل وفلان عريض ويراعون قوله تعالى : انما المؤمنون اخوة فان ذلك يكون سبباً لعمارة الممالك الاسلامية وتزداد به قوة الدولة الموجبة لقوة الدين فانه لا تقوى الدولة الا بالعمارة ولا يقوى الدين إلا بقوة الدولة على ما جرت به عادة الله تعالى .

ومن اقوى اسباب العمارة فتح الانهار واجراء السفن والمراكب فيها واحداث سكك الحديد فانه موجبة لقرب الطريق الموجب لسهولة التجارة والاكتساب الباعث على العمارة هذا ويجب على الرعايا اطاعة السلطان

ووزرائه فى سياستهم وفيما احدثوه من اضافة السياسة ولا تشمئز قلوبهم منها وعما احدثوه من الامور السياسية فان بالسياسة تنضبط امور الناس على وجه لا يكون لاحد مداخلة في شيء من الاحكام وسائر الامور وتنقطع المحاباة والالتزامات فى التصحيحات وتكسب الرعية والعامة اتم الراحة وتأمن عن ابطال الحقوق كما كان يقع في الازمنة السابقة انواع السياسات كاحداث المجالس السديدة فى سياسة حكامه وغيرها فى زمن الملوك الماضية فقد ذكر اقضى القضاة ابو الحسن الباوردي في الاحكام السلطانية ان الديوان محفوظ بحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم فيها من الجيوش والعمال وفى تسميته ديواناً وجهان اولها ان كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين فسمى موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء لكثرة الاستعمال والثاني ان الديوان اسم للشياطين بالفارسية فسمى الكتاب باسمهم لحذاقتهم بالامور ووقوفهم .

وذكر العلامة المقريزي في تاريخ مصر ان كتابة الديوان على ثلاثة اقسام كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الانشاء والمكاتبات ولابد لكل من استعمال هذه الاقسام الثلاثة ثم ذكر ديوان العساكر والجيوش وقال اول من وضع ديوان الجند بخيلهم كلهراسب أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس وان كيقباد قبله اخذ العشر من الغلات وصرفه فى مصارف جنده واما في الاسلام فقد اخرج البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ اكتبوا الى من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له الفاً وخمسمائة رجل الحديث ذكره البخاري فى باب كتابة الامام الناس .

اقول وهذا من اقوى الدلائل على ان للسلطان أن يكتب عدد نفوس تبعته ومن اختلج في نفسه الانكار فقد اخطأ وخالف الشرع المبين على ان

فى كتابة الانفس احاطة بمن يصلح للعساكر ومن يصلح للحرث ومن يصلح للصناعات ومن يصلح للرئاسة والعمالة والكتابة والخدمة وغير ذلك فيضع كل أحد فيما يليق واللائق بكل مسلم مقتدر على الحرب ان يدخل فى سلك العساكر لحماية الدولة التي بها حماية الدين وسد ثغور الاعداء بل يجب عليهم وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين ثم ذكر المقريزي ان اول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ونقل عن ابن شهاب بن عمر رضي الله عنه انه اول من دون الدواوين وروى في ذلك روايات منها عن خالد بن الوليد رضي الله عنه انه قال لعمر رضي الله عنه كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديواناً وجندوا جنودا فدون ديواناً وجند جنوداً فأخذ عمر رضي الله عنه بقوله ودعا عقيلا بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدأوا ببني هاشم وكتبوهم ثم اتبعوهم أولاد ابي بكر وقومه ثم عمر وقومه ثم القبائل ثم رفعوا ذلك الى عمر رضي الله عنه فلما نظر فيه قال ابدأوا بقرابة رسول الله ﷺ الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمراً حيث وضعه الله فشكره العباس رضي الله عنهما على ذلك وقال وصلة رحمك .

قيل لما فتح الله تعالى على المسلمين القادسية وقدمت على عمر رضي الله عنه الفتوح من الشام جمع المسلمين وقال ما يحل للوالي من هذا المال فقالوا جميعاً اما الخاصة فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط وكسوتهم للشتاء والصيف ودابتان الى جهاده وحوائجه وحملانه الى حجه وعمرته والقسم بالسوية وان يعطى اهل البلاد على قدر بلادهم ويبداء بأهل الفيء منهم ويفهم من هذا ترجيح العساكر على غيرهم اقول وانت ترى ان السلطان نصره الرحمن فى عصرنا هذا وقد جعل لكل أحد من العساكر والوزراء والعلماء

والامراء والأشراف والعمال والكتاب وغيرهم من الفقراء فى كل بلدة من بلاده حصة من بيت المال مع ما له من الخدمات الوافية للحرمين الشريفين واهلهما من ارسال الصرف وغيره شكر الله تعالى سعيه وادام ظله وقال المقريزي انه كانت عادة الخلفاء من امية وبني العباس والفاطميين من لدن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تجيء اموال الخراج ثم تفرق من الديوان في الامراء والعمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك في صدر الاسلام العطاء وما زال الامر على ذلك الى أن كانت دولة العجم فغيروا هذا الاسم وفرقوا الاراضى اقطاعات على الجند واول من فرق الاقطاعات على الجند نظام الملك وزير الب ارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق وذلك ان مملكته اتسعت فرأى ان يسلم الى كل مقطع قرية او اكثر او أقل على قدر اقطاعه لانه رأى ان في تسليم الاراضي الى المقطعين عمارتها لاعتناء مقطعيها بامرها بخلاف ما اذا شمل جميع اعمال المملكة ديوان واحد فان الخرق يتسع ويدخل الخلل في البلاد ففعل نظام الملك ذلك وعمرت البلاد وكثرت به الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك اقول الاقطاع من الامور المستحسنة الباعثة للعمارة ولكن اعطائها على الجند والعسكر ليس بجيد لأن اللائق بحال العسكر أن يكون مشغولا بعلوم الحرب فقط وان يكون تحت الضبط فلو كان مشغولا بتعمير الاراضي لفاته علم الحرب وخرج عن الضبط والتعمير والحراثة انما يليق بغير العسكر من سائر الناس والطابوا المرتب فى عصر سلطان العصر هو عبارة عن الاقطاع وهو من جملة اسباب العمارة اذا كان بطريق غير شاق على المقطعين بأن يكون على سبيل العشر واذا كان باكثر من ذلك كالخمس لم تبق فائدة تامة للمقطع فلا يرغب ويهتم بالعمارة وبالجملة ان اقوى اسباب العمارة تخفيف الرسومات على الفلاحين وعلى ارباب

الملك ثم ان المقريزي ذكر الدواوين التي كانت مرتبة فى مصر سابقاً بقوله فأولها ديوان المجلس وهو على ما نقله بن الطوير اصل الدواوين قديماً وفيه علوم الدولة باجمعها وفيه عدة كتاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين أو معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث فى الاقطاعات ويلحق بديوان النظر وله المرتبـة والمسند والحاجب وغير ذلك وله الخدمة الخاصة وله دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين ثم يتولاه اجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحاً لرأس الدواوين ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديوانا بالقصر الباطن ويضبط فيه ما ينفق في الدولة من المهمات وما يرد اليها من ملوك الدنيا وما يعطى الى ارباب الرتب والجهات أهل الصدقات ويعلم فيه ما بين كل سنة من التفاوت وما ينفق فى مهم فتح الخليج وما ينفق فى سماطي الفطر والنحر وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحتويات وما ينحر للضحايات وما يعطى من الكسوة للاولاد والاقارب وما ينفق في شهر رمضان وغير ذلك من العطايا .

الثاني ديوان النظر قال ابن الطوير اما ديوان الاموال فان اجلها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن يده عرض الاوراق في اوقات معروفة على الخليفة او الوزير ولم ير فيـــه نصرانى إلا الاحترام ويتعلق بنواب الدولة وله المرتبة وبين يديه حاجب من امراء الدولة .

الثالث ديوان التحقيق وهو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين ولا يتولاه إلا كاتب خبير وله الخلع والمرتبـــة والحاجب ويلحق برأس الديوان يعني متولي النظر .

الرابع ديوان الجيوش قال ابن الطوير والخدمة في ديوان الجيوش قسمان الاول ديوان الجيش وفيه مستوف أصيل ولا يكون إلا مسلماً وله مرتبة

على غيره لجلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس وله المسند وبين يديه الحاجب وترد عليه امور الاجناد وله العرض ولهذا الديوان خازنان ومن هذا الديوان تعمل اوراق الجزايات والقسم الثاني من هذا الديوان ديوان الرواتب ويشتمل على اسماء كل مرتزق وفيه كاتب اصيل وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة انفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من استمر ومباشرة من استجد وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض العرض الاول يشتمل على راتب الوزير وهي في الشهر خمسة آلاف دينار وراتب غيره من الحواشي على مقتضى مراتبهم العرض الثاني حواشي الخليفة واولهم الاستاذون على رتبهم وجواري خدمهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومساد التاج وزمام الاشراف وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على الف نفس والطبيبان الخاصان كل واحد منهما خمسون ديناراً ولمن دونهما من الاطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير. العرض الثالث يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة فاولهم كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون ديناراً ولكل واحد من كتابه ثلاثون ديناراً ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون ديناراً ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل واحد منهما سبعون ديناراً وبقية العساكر والسوقان من خمسين الى اربعين الى ثلاثين ديناراً. العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضي القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار وداعي الدعاة مائة دينار. العرض الخامس يشتمل على من يجري مجراهم واولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون ديناراً وديوان التحقيق جاريه خمسون ديناراً وديوان المجلس اربعون

ديناراً وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون ديناراً وكاتبه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجاريه اربعون ديناراً والموقع بالقلم الجليل ثلاثون ديناراً الديوان الخامس ديوان الانشاء والمكاتبات وكان لا يتولاه إلا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويتسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة وهو الذي يأمر بتنزيلها والاجابة عنها للكتاب والخليفة يستشيره في اكثر اموره ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه وهذا امر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالي وكان جاريه مائة وعشرون ديناراً في الشهر وهو اول ارباب الاقطاعات وارباب الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخصوص وله صاحب من الامراء الشيوخ الفراشون وله المرتبة والمسند والدواة لكنها بغير كرمي وهو من أخص الدواوين ويعملها استاذاً من استاذي الخليفة الديوان السادس ديوان التوقيع بالقلم الدقيق وكان لا بد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط واخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به فى اكثر الايام ومعه استاذ مؤهل لذلك فيكون الاستاذ ثالثهما ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكرر عليه مكارم الاخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون عنده دواة محلاة فاذا فرغ من المجالسة التى في الدواة كاغد فيه عشرة دنانير وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل من الند المثلث الخالص ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثاني مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله سند وفراض يقدم اليه ما يوقع عليه وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل عليه أحد إلا بأذن وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات فى الوسوم والكساوى وغيرها .

الديوان السابع ديوان التوقيع بالقلم الجليل وهي رتبـة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى وله المسند بغير حاجب وانما فراش لترتيب ما يوقع فيه .

الديوان الثامن ديوان مجلس النظر في المظالم كانت الدولة اذا خلت من وزير جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء والحجاب فينادي المنادي بين يديها يا ارباب الظلامات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من اهل البلد احضرت قصة بامره فيتسلمها الحاجب فاذا جمعها احضرهـا الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما اشار اليه الموقع الاول في خريطة الى الخليفة فيوقع عليه ثم تخرج الخريطـة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع الى صاحبه فان كان له وزير صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبالته قاضي القضاة ومن جانبيه شاهدان معتبران وعن جانب الوزير الموقع فالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المـال وبين يديه صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين ايديهما النواب والحجاب على طبقاتهم ويكون الجلوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها هذه العبارة يعتمد ذلك ان شاء الله تعالى ويوقع في الجـــانب الايمن منهـــا فتخرج الى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ويخلي مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع في المسامحة والتسوية والتحبيس قد انعمنا بذلك او قد امضينا ذلك .

الديوان التاسع صاحب الباب وينعت صاحب هذه الخدمة اولا بالمعظم وله نائب وتسمى الخدمة بالنيابة الشريفة وانها مميزة ولا يليها الا اعيان العدول وارباب العمائم وينعت بعدي الملك وهو الذي يتلقى الرسل الواصلة من

الدول ومعه نواب الباب فى خدمته فيحفظهم وينزلهم بالاماكن المعـــدة لهم ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب فيكون صاحب الباب يميناً وهو يساراً ويلي رتبـــة صاحب الباب الاسفهسالار وهو زمام على زمام واليه امور الاجناد .

الديوان العاشر ديوان قاضى القضـاة وكان من عادة الدولة اذا كان وزير فان الوزير يقلد القضاء رجلا نيابة عنه وهذا حدث من عهد الامير بدر الجمالي واذا كان الخليفة مستبداً ليس له وزير قلد القضاء رجلا ونعته بقاضي القضاة ورتبته أجل رتب ارباب العمائم وارباب الاقلام ويكون في بعض الاوقات داعياً فيقال له (ح) قاضي القضاة وداعي الدعاة ولا يخرج شيء من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء ويجلس الشهود حواليه يميناً ويساراً بحسب تاريخ عـــد التهم وبين يديـــه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه يقابلان اثنين وله كرسي الدواة وهي دواة محلاة بالفضة تحمل اليه من خزائن القصور ولها حامل بجامكية في الشهر على الدولة ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون ارباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلي تقبل وراءه دفتر فضة ومكان الجلد حرير وتأتيه في المواسم الاطواق ويخلع عليـه الخلع المدهشة بلا طبل ولا بوق إلا اذا كان ولي الدعوة مع الحكم فان الدعوى فى خلعها الطبل والبوق والبنود الخاص نظير البنود الخاص التى يشرف بهـا الوزير وحوالي قاضي القضاة القراء وبين يديه المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير ويحمل بنواب الباب والحجاب ولا يتقدم عليـــه أحد في محضر هو حاضره من صاحب سيف وقلم ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو في مجلس الحكم ولا يعدل شاهد الا بامره ويجلس بالقصر فى يومي الاثنين والخميس اول النهار

وللاسلام على الخليفة ونوابه لا يفترون عن الاحكام ويحضر اليه وكيل بيت المال وكان له النظر فى ديوان الضرب ليضرب من الدنانير وكان يحضر مباشرة التعليق بنفسه ويختم عليه ويحضر لفتحه وكان القاضي لا يصرف الا بجنحة ولا يعدل أحد الا بتزكية عشرين شاهداً عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ولا يحتمي أحـد على الشرع ومن فعل ذلك ادب والسقيف للخليفة وهي موضوع من جملة القصر الكبير يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة ان يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فيسمعه الخليفة فيأمر باحضاره ويفوض امره الى الوزير أو القاضى أو الوالي وكان الكتاب الى الاعمال نصارى اقول اذا علمت ما نقلناه لك من هذه المجالس المرتبة على تلك الترتيبات ارتفع عن خاطرك ايها الواقف على ترتيب المجالس فى هذا العصر على الوجه المخصوص بما يختلج فيه شائبة الانكار لان لكل سلطان ان يخترع فى سياسة الملك ما يليق بعصره مع رعاية الشرع الشريف والشرع ولله الحمد فى غاية الرعاية لدى السلطان كما هو معلوم من نصب شيوخ الاسلام والنواب والمفاتي في دار الخلافة وغيرها من البلاد وغاية الامر انهم جعلوا للنواب مجالس وهو من الامور الحسنة الى النائب بعد هذا سدت عليه سبب الارتشاء وابطال الحقوق بالمحاباة كما شاهدناه من اكثر نواب عصرنا قبل هذا حتى ان بعض القضاة الجهلة كان يتوسط وكلاء المحكمة بعمل احكام الشرع ملعبة عاملهم الله تعالى بعدله ولله الحمـــد على زوال تلك الحالة الشنيعة التي كانت تخزي الاسلام لدى سائر الملل ولا بأس بتسمية القاضي مفتش الاحكام كما انه لا بأس بتسميته داعي الدعاة في زمن ملوك مصر الماضين لأن مفتش الاحكام بمعنى انه ناظر على حكام الشرع ونوابه ومفتش عن احوالهم واحكامهم وهو حسن

نعم يجب أن يكون المفتش والنائب من العلماء الاعلام وكذا من يجلس معهما ثم ان جميع ما ذكرته انما هو لاجل ايقاظ الرعيـــة من الغفلة وحثهم على الاهتمام والسعي فى الحرث وكسب العلوم والمعارف والتشبث باســباب العمارة وترك مالا يعني من القال والقيل والبطالة وحث الوزراء والامراء على التشبث باسباب العمارة وحث الناس عليها ورعاية الرعايا بتخفيف الاثقال عنهم فقد ذكر المقريزي في تاريخ مصر نقلا عن ابي قبيل انه روي عن بعض مشايخ مصر ان الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقرون القرى فى ايدي اهلها كل قرية بكري معلوم لا ينقص عنها الا فى كل اربع سنين من اجل الظمأ وتنقل اليسار فاذا مضت اربع سنين نقض ذلك وعدل تعديلا جديداً فيرفق بمن استحق الرفق ويزاد على من احتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يثني عليهم فاذا بني الخراج جمع وكان للملك من ذلك الربع خالصاً لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثاني لجنده ومن يقوى به على حرب عدوه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث فى مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرهـــا والقوة للمزراعين على زرعهم وعمارة ارضهم والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك لنائبة تنزل أو حاجة باهل القرية والذي يدفن في كل قرية من خراجها هو كنوز فرعون ومن عمارة بعض ملوك مصر انه ارسل وبه فتح الى اسفل الارض والى الصعيد في وقت تنظيف الارض والترع من العمارة فلم يوجد لها ارض فارغة تزرع فيها وانه كان عند تناهي العمارة يرسل اربع وقيات برسيم الى الصعيد والى اسـفل الارض والى أي كورة فان وجد لها موضعاً خالياً فزرعت فيه ضرب عنق صاحب الكورة وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة اربعين فرسخاً فى مثلها والفرسخ ثلاثة

اميال والبريد اربعة فراسخ ولم تزل الفراعنة تسلك هذه المسالك الى ايام فرعون موسى فانه عمرها عدلا وسماحة وتتابع الظمأ ثلاث سنين في ايامه فترك لاهل مصر خراج ثلاث سنين وانفق على نفسه وعساكره من خزانته ولما كان في السنة الرابعة اضعف الخراج واستمر فاعتاض ما انفق وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى عمرو بن العباس رضى الله تعالى عنه ان اسأل المقوقس عن مصر من أين تأتي عمارتها وخراجها فسأله عمر فقال له المقوقس عمارتها وخراجها من وجوه خمسة ان يستخرج خراجها فى أبان واحد عن فراغ أهلها من زرعهم ويرفع خراجها فى ابان واحد عند فراغ اهلها من عصر كرومهم ويحفر فى كل سنة خلجانها وتسد ترعها وجسورها ولا يقبل مطال أهلها بريد البغي فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت وقال عمرو بن العباس رضي الله عنه للمقوقس انت وليت مصر فبم تكون عمارتها فقال بخصال ان تحفروا خلجانها وتسد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها إلا من غلتها ولا يقبل مطال اهلها ويوفى لهم بالشروط ويدر الارزاق على العمال لئلا يرتشوا ويرتفع عن اهله المعاون والهدايا ليكون قوة فبذلك تعمر ولا يرجى خرابها .

ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني احمد الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني فكرت في امرك والذي انت عليه فاذا ارضك ارض واسعة عريضة رفيعة وقد اعطى الله اهلها عدداً وجلداً وقوة فى بر وبحر وانها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك واعجب مما عجبت انها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك

على غير قحط ولا جدب ولقد اكثرت من مكاتبتك في الذي على ارضك من الخراج وظننت ان ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت ان تفيق فترفع إلي ذلك فاذا انت تأتيني بمعاريض تعبأ بها لا توافق الذي في نفسي لست قابلا منك دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ولست ادري مع ذلك ما الذي نفرك من كتابي وقبضك فلئن كنت مجرماً كافياً صحيحاً من البراءة النافعة وان كنت مضيعاً نطعاً ان الامر لعلى غير ما تحدث بـه نفسك وقد تركت ان ابتلى ذلك منك في العام الماضي رجاه ان تفيق وترفع الي ذلك وقد علمت انه لم يمنعك من ذلك إلا ان اعمالك اعمال السوء وماتوالى عليك وتلفف واتخذوك كهفاً وعندي باذن الله تعالى دواء فيه شفا عما اسألك فيه فلا تجزع ابا عبدالله ان يؤخذ منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج الدر والحق ابلج ودعني وما عنه تلجلج فانه قد برح الخفاء والسلام .

فكتب اليه عمرو بن العاص باسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله امير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني احمد الله الذي لا إله الا هو . أما بعد فقد بلغني كتابك يا امير المؤمنين في الذي استبطاني فيه من الخراج والذي ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلي وعما به من خراجها على ايديهم ونقص ذلك منهـا مذ كان الاسلام ولعمري الخراج يومئـذ اوفر والارض أعمر لانهم كانوا على كفرهم وعتوهم ارغب في عمارة ارضهم منا مذ كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر فحلبتها حلباً قطع درها واكثرت في كتابك وانبت وعرضت وتربت وعملت ان ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر فجئت لعمري بالمقطعات المقدمات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق وقد عملنا لرسول الله ﷺ ولمن بعـده فكنا نحمد الله مؤدين لأماناتنا حافظين لما عظم الله من حق امتنا ترى غير ذلك قبيحاً والعقل

به شيئاً فنعرف ذلك لنا و نصدق فيه قلبنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجتراء على كل مأثم فامض في عملك فان الله قد نوهني عن تلك الطعم الدنيئة والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضاً ولم تكرم فيه اخا والله يا ابن الخطاب لا تلحين براد ذلك مني اشد غضباً لنفس ولها انزاهـا واكراما وما عملت من عمل اورى عليه فيه متعلقاً ولكني حفظت ما لم تحفظ ولو كنت بن يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن اشياء كنت بها عالماً وكان اللسان بها مني ذلولا ولكن الله اعظم من حقك مالا يجهل اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام الله عليه فاني احمد الله الذي لا إله الا هو . أما بعد فاني قد عجبت من كثرة كتبي اليك في ابطائك بالخراج وكتابك الى بينات الطرق وقد علمت اني لست أرضى منك إلا بالحق المبين ولم اقدمك الى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ولكنني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا اتاك كتابي هـذا فاحمل الخراج فانما هو في المسلمين وعندي من قد تعلم قوم محصورون والسلام .

فكتب اليه عمر بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمر بن العاص سلام الله عليك فاني احمد الله الذي لا إله الا هو . أما بعد فقد اتاني كتاب امير المؤمنين يستبطئني في الخراج ويزعم اني احيد عن الحق وانكب عن الطريق واني والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظروني الى ان تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من ان نخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غناء بهم عنه والسلام .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاص ان ابعث الي رجلا من اهل مصر فبعث اليه رجلا من القبط فاستخبر عمر بن الخطاب

رضي الله عنه عن مصر وخراجها قبل الاسلام فقال يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذمنها شيء إلا بعدعمارتها وعاملك لا ينظر الى ذلك بل يأخذما ظهرله كانه لا يريدها الا لعام واحد فعرف عمر رضي الله عنه ما قال وقبل من عمرو وما كان يعتذر به هذا وكان من خبر اراضي مصر بعد نزول العرب فى اريافها واستيطانهم فيها واتخاذهم الزرع معاشاً وكسباً ان متولي خراج مصر كان يجلس في الوقت الذي تتهيأ فيه قبالة الاراضي وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادي على البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج يكتبون ما ينهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين فاذا انقضى هـــذا الامر خرج من تقبل ارضاً وضمنها الى ناحيته وزرعها واصلح جسورها وســائر وجوه اعمالها بنفسه واهله ويحمل ما عليه من الخراج فى ابانه على اقساط ويحسب له من مبلغ قبالته وضمانه بتلك الاراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضرابة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة فى جهات الضمان والمتقبلين ويقال لما تأخر من مال الخراج البواقي وكانت الولاة تشدد فى طلب ذلك مرة وتسامح به مرة فاذا قضي من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة وراكوا البلاد كلها وعدلوها تعديلا جديداً فزيد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج الى التنقيص منها ولم يزل عملهم جاريا على هذا المجرى ولما رأى محمد بن فاتك البطائحي اختلال احوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضورهم من كون اقطاعاتهم قد خسرت نفقاتها وساءت احوالهم لقلة المحصول منها وان اقطاعات الامراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت خاطب الافضل ابن امير الجيوش فى أن يحل الاقطاعات جميعها وعرفه ان المصلحة في ذلك تعود على المقطعين والديوان فاجابه الى

ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكها واخـذ كل من الاقوياء والمتجبرين يتضورون ويذكرون ان لهم بساتين واملاكاً في نواحيهم فقال من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل فى هذا الاقطاع ان شاه باعه وان شاء اجره فلما حلت الاقطاعات امر الضعفاء ان يتزايدوا فيهـا فوقعت الزيادة فى اقطاعات الاقوياء الى ان انتهت الى مبلغ معلوم وكتبت السجلات وصار بقائها في ايديهم الى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائد واحضروا أقوياء وقال لهم ماتنكرهون من الاقطاعات التي كانت بيد الاجناد قالوا كثر تغيرها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن فقال لهم ابذلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيـه ولا تنظروا في العبرة الاولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى ان بلغت الى الحد الذي يرغب كل منهم فيه فاقطعوا فيه وكتب لهم السجلات فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم ولما انتهى الى المأمون ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيارات وفسخ عقود الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيهـــا المشقة والتعب وتسليمها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع ارتكابه ونهى عن الولوج فى بابه وخرج امره باعفاء الكافـة وتضمن ذلك منشور قرىء في الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وفى ديوان المجلس والخاص ومما لا غنى للاراضي عنه الجسور وهي على قسمين سلطانية وبلدية فالجسور السلطانية هي العامة النفع واما الجسور البلدية فانها عمارة ممـا يخص نفعها ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون من اهل الناحية

قال ابو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة وذكر أن فى مصر اذا زرعوا يخرج من المد ثلثماية مد والعلة فى ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن ارضهم وكثرة كدورة ماء النيل وكان يزرع الشعير في اثر القمح وغيره في الارض التي غرقت وهى رطبة وتتقدم زراعته على زراعة القمح بايام وكذلك

حصاده فانه يحصد قبل القمح ويحتاج الفدان من الذرة الى ثلاث وقيات ويتحصل من فدانه ما بين عشرين اردبا ويزرع العدس والحمص والحلبان لا يزرع الا في ارق الاراضي حرثاً من الاراضي العالية ويبذر في كل فدان من الحمص من اردب الى ثمان وقيات ومن الجلبان من اردب الى اربع وقيات ومن العدس من وقيتين الى ما دونهما والكتان اذا زرع يحتاج الى ان يسبخ بتراب سباخ وهو اذا طال وقد يقلع قضباناً وينشر في موضعه حتى يجف فاذا جف صقل وعزل جوزه فيخرج منه بذر الكتان ويستخرج منه الزيت الحار ويحتاج الفدان ان يبذر فيه من البذر ما بين اردب وثلث الى ما دون ذلك ويخرج من الفدان ما بين ثلاثين شدة الى ما دون ذلك واجود مايكون الكتان اذا زرع في البرنس الجنوبية وهذه من الاصناف الشتوية واما الاصناف الصيفية فاللوبياء والبطيخ والقطن وقصب السكر ويحتاج القصب الى ارض جيدة قد شملها الري وعلاها الماء وقلع ما بها من غلة الحلفاء ونظفت ثم برشت بالمقلقلات وهي محاريث كبار لها ستة وجوه وتجرف حتى تتمهد ثم تبرش ستة وجوه اخرى وتجرف ومعنى البرش الحرث فاذا اصلحت الارض وطابت ونعمت وصارت تراباً ناعمـــاً وتساوت بالتجريف شقت (ح) بالمقلقلات ويرمى فيها القصب قطعتين قطعة خشناء وقطعة مفردة بعد أن تجعل الارض احواضاً وتفرز لها جداول يصل المـاء منها الى الاحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة انابيب كوامل وبعض انبوبة من اعلى القطعة وبعض اخرى من اسفلها ويختار ما قصرت انابيبه وكثرت كعوبه من القصب فاذا اكمل نصاب القصب اعيد التراب عليه ولا بد في النصبان تكون القطعة ملقاة لا قائمة ثم يسقى من حين نصبه في اول صيف الربيع لكل سـبعة ايام مرة فاذا انبت القصب وصار اوراقاً ظاهرة نبتت معه الحلفاء والمقلدة الحلفاء فعند

ذلك تفرق ارضه ومعنى الفراق ان تنكش ارض القصب وتنظف ما نبت مع القصب ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثف ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء ويدخل حتى يعلو على ارض القصب نحو شبر ثم يقطع عنه الماء ويترك الماء فوق الارض قدر ساعتين او ثلاث ثم يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ويجدد عليه ماء آخر كذلك فيتعاهد ما ذكرناه مراراً فى ايام متفرقة بقدر معلوم ثم يفطم بعد ذلك فاذا عمل ما قلنا وفى القصب حقه وان نقص عن ذلك شيء حصل فيه الخلل ولا بد للقصب من القطران قبل ان يحلو ولا بد من حرق آثار القصب بالنار ثم سقيه وغرقه كما تقدم فينبت قصباً يقال له الخلفة ويسمى الاول الرأس وقنود الخلفة اجود من قنود الرأس غالباً ويحصل من الفدان ما بين اربعين ابلوجة فندالى ثمانين ابلوجة والابلوجة تسع قنطار فما حوله وسبب اتضاع مزاج مصر بعد أن كان بحيث لا يحصى ان الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق فى كلف عمارة الارض فانها تحتاج الى أن ينفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه هذا ما كان فى عصر المقريزي .

اقول واما مصر في هذا العصر فانها على ما شاهدتها وتتبعت ما فيها اما من حيث العلم ففيها العلماء الاعلام من ذوي التقرير والتحرير واما من حيث طلبة العلم فقد بلغوا مراتب الالوف ولهم المصنفات العديدة فى كل فن وحق لها ان تسمى اليوم بدار العلم كالنجف قرب بغداد واما من حيث التجارة فذلك غني عن البيان على ما يشهد به كمرك الاسكندرية وتوارد التجار اليها من الدول الاجنبية واما من حيث المطابع فهو معلوم من الكتب المطبوعة فيها الواردة الى جميع البلدان كتحفة العلامة ابن حجر وحاشية الدار للطنطاوي وحاشيته لابن عابدين الدمشقي مع فتاواه والخيرية وغيرها من الكتب الفقهية

على مذهب الامام الاعظم والامام الشافعي رضي الله عنهما وكالاغاني وشرح القاموس وشرح مجمع الامثال واحياء العلوم وتاريخ ابن خلدون وابن خلكان والمقريزي وشرح المواهب المدنية والموطأ للزرقاني والمزهر للحافظ السيوطي وغيرها من كتب الدين والادب والالات والتواريخ المعتبرة واما من حيث الحراثة والزراعة وحفر الانهار والخلج واجراء السفن فهو مما لا يحصى واني لما سافرت الى حج بيت الله الحرام وزيارة خير الانام عليه وعلى آله وصحبه افضل الصلاة والسلام من مصر على طريق السويس رأيت العجب من ذلك وأما من حيث سكك الحديد فشاهد ومسموع ما ينقل فيها من اموال التجارة والحجاج وسائر الواردين مما يتعجب منه الناظر ولقد ركبت سكة الحديد من الاسكندرية الى مصر ومنها الى السويس فشاهدت خلائق كثيرة واموالا عظيمة وتعجبت من ذلك غاية العجب هذا وانت اذا دخلت مصر واسكندرية ونواحيها لا تجد احداً بلا عمل إلا بعض الغرباء فهي مشحونة بالاعمال والحراثة والصنائع والمطابع والعساكر والمصارف والعلم والعلماء والطلبة والكتاب والتجار والمهندسين والحساب واهل الكسب من كل صنف زادها الله تعالى عمارة لنفع الدين والدولة اذا تقرر هذا فليعلم الناس انه يجب عليهم خدمة الدين والدولة والصدق ويبذل الجهد والسعي والاعانة بالانفس والاموال ولا تكون همتهم البطالة فان بذلك تكون قوة الدولة الموجبة لقوة الدين .

روى المقريزي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتاه اناس من اهل الشام فقالوا اصبنا دواباً واموالا نخذ منها صدقة تطهرنا بها فقال كيف افعل ما لم يفعل من كان قبلي وشاور فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا بأس به ان لم يأخذه من بعدك فأخذ عن العبد عشرة دراهم وكذلك عن الفرس وعن الهجين وعن البرذون والبغل خمسة .

أقول الظاهر من اخذ عمر رضي الله عنه الى قول علي رضي الله عنه ان لم يأخذه من بعدك واداه اجتهاده الى الاخذ لمصلحة بيت المال ومع ذلك فلو كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه في عصرنا هذا ورأى مضايقة بيت المال وسعة العساكر والمصارف اللازمة مع قوة سائر الدول المخالفة للاسلام لحكم بالاخذ لسعة خزائن بيت المال حفظاً لبيضة الاسلام كما لا يخفى على من دقق النظر وانصف واول من وضع على الحوانيت الخراج في الاسلام امير المؤمنين ابو عبد الله محمد بن ابي جعفر المنصور في سنة سبع وستين ومائة وولي ذلك سعيد الجرسي واول من احدث مالا سوى مال الخراج بمصر احمد بن محمد بن مدبر لما ولي خراج مصر سنة خمسين ومائتين فانه كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب فابتدع في مصر بدعا استمرت من بعده وقرر على الكلأ الذي ترعاه البهائم مالا سماه المراعي وقرر على ما يخرج من البحر وسماه المصائد الى غير ذلك ولما ولي امير المؤمنين ابو العساب احمد بن طولون عمارة مصر واضاف اليه امير المؤمنين المعتمد على الله الخراج والثغور الشامية تنزه عن ادناس المعاون وكتب باسقاطها الى جميع الاعمال وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة الف دينار في كل سنة ثم اعيدت المعاون في ابتداء الدولة الفاطمية عندما ضعفوا لما استنقذ السلطان الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف ابن ايوب لملك مصر امر باسقاطها وتسمى مكوس مصر فكتب له القاضي الفاضل مرسوماً بذلك وأصل ذلك في الاسلام أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان تجاراً من المسلمين يأتون ارض الهند فيأخذون منها العشر فكتب الى ابي موسى الاشعري وهو على البصرة ان خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار العهد يعني اهل الذمة من كل عشرين درهماً درهما ومن تجار الحرب من

كل عشرة دراهم درهما فاحدث الولاة بعد ذلك اموالا شيئاً بعد شيء وسموها الاموال الهلالية واما الاموال الخراجية فما يؤخذ من الاراضي التي تزرع نخلا وعنباً وفاكهة وحبوباً ويؤخذ من الفلاحين مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره على طريق الهدية وكان مكس البهار ثلاثة وثلاثون الفاً وثلثمائة واربعة وستون ديناراً ومكس البضائع والقوافل تسعة آلاف وثلثمائة وخمسون ديناراً والنحاس والمرجان خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون ديناراً ورسوم دار القند ثلاثة آلاف ومائة وثمانية دنانير ورسوم الخشب الطويل والملح ستمائة وستة وسبعون دينارا ورسوم فندق القطن الف دينار وســوق الغنم وعبور الاغنام والكتان والابقار بباب القنطرة الف ومائة دينار وما ورد من الكتان الحطب الى الصناعة مائتا دينار ورسوم الغلات كالحبوب وغيرها ستة آلاف دينار ومكس الاغنام مائة وتسعون ديناراً وما يرد من الكتان من القبلة ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره اربعة آلاف ومائة وستون ديناراً ومكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مائتا دينار والحصة بساحل الغلة والاقوات سبعمائة وثمانيـة وستون ديناراً ودار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة الف وسبعمائة دينار ودار الجبن الف دينار ورسم الحلي الوارد من الوجه البحري والقطن الف وعشرون ديناراً ورسم الحمام بساحل الغلة خمسمائة واربعة وثلاثون ديناراً والحلفاء الواردة في البرد ثمانمائة دينار ورسم الفحم الوارد الى القاهرة عشرة دنانير ورسوم الدلالة ثلثمائـة دينار ودكان الدهن ومعصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة دينار وبيوت الغزل والمصطبة ثلثمائة وخمسون ديناراً وذبائح الابقار الف دينار وسوق السمك بالقاهرة ومصرف الف ومائتا دينار ومربعة العسل مائتان واثنان وثلاثون ديناراً ومعادن جزيرة الذهب وغيرها ثلثمائة دينار وخاتم الشمع بالقاهرة

ثلاثة وستون ديناراً وضريبة الذبيحـــة سبعمائة دينار وحمولة السلجم ثلثمائة وثلاثون ديناراً ودكة الدباغ ثمانمائة دينار وسوق الدقيق خمسمائة دينار ومعمل الطير مائتان واربعون ديناراً وتنور الشوي مائة دينار ومطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون ديناراً وسوق الدواب بمصر والقاهرة اربعمائة دينار وسوق الجمال مائتان وخمسون ديناراً وقبان الحنــاء ثلاثون ديناراً وطاقات الادم ستة وثلاثون ديناراً وبيوت الفروخ ثلاثون ديناراً ومنغلت الخام بالشاشين ثلاثة وثلاثون ديناراً وانولة القصار اربعون ديناراً وبيوت الفروخ ثلاثون ديناراً والشعر اربعة دنانير ورسوم الصبغ والحرير ثلثمائة واربعة وثلاثون ديناراً ووزن الطفل مائة واربعون ديناراً ومعمل البزر اربعة وثمانون ديناراً والفاخور بمصر والقاهرة مائتان وستة وثلاثون ديناراً .

وذكر ابن ابى علي ان الذي اسقطه السلطان صلاح الدين وسامح به مبلغاً عن نيف الف الف دينار والفى الف اردب سامح بذلك وابطله من الدواوين واسقطه عن المعاملين رغبة فى مساعدة الرعايا وتعمير البلاد بالحرث والتجارة والصنائع وغير ذلك مما يوجب النفع مع راحة العباد وسلك هـــذا المسلك الحسن بعض ملوك الفاطمية بمصر ويدل عليه المنشور الذي كتبه قاضى القضاة جلال الملك ابو الحجاج يوسف بن ابى ايوب المغربى وهو قد علم الكافـــة ما عراه من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر فى مصالح كل قاص ودان وانا لاندع ضرراً يتوجه الى أحد من الرعية الا حسبناه ولا نعلم صلاحا يعود نفعاً الى أحد الا قوينا سببه ووصلناه حسبما يتعين على رعاة الامم وعملا بالواجب وسلوكا لمحجة الدولة الفاطمية واستمراراً على قضاياها وسجاياهـا الكريمة وكما نرى النظر فى مصالح الرعايا امراً واجباً ونصرف الى سياستهم عزماً ماضياً ورأياً ثاقباً كذلك نرى النظر فى امور الدواوين واســتيفاء

حقوقها المسروقة الى حماية البيضة والمحاماة عن الدين والجهاد ليكون ما نراعيه ونتظر فيه جارياً على سنن الواجب محروساً عن الخلل باذن الله تعالى من جميع الجوانب ومن الله نستمد مواد التوفيق فى الحل والعقد ونسأله الارشاد الى سواء السبيل والقصد وما توفيقنا إلا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل وكان القاضى الرشيد من الزبير ايام مشارقته الصعيد الاعلى قد طالع المجلس الافضلي بحال ارباب الاملاك هناك وانهم قد استضافوا الى اما كنهم من املاك الدواوين اراضى اغتنموها ومواضع مجاورة لاملاكهم تعدوا عليها وخلطوها وحازوها ورسم له كشفها وقسم المشاريع بها وارتجعها الى الديوان يعتمد فى ذلك ما يوجبه حكم العدل المثبت فى كل قطر ومكان ويؤخر ذلك سيرنا من الباب من يكشف ذلك على حقيقة وانهائه على طيته فاعتمدوا ما امروا به من الكشف فى هذه الاملاك ووردت المطالعة منهم بأنهم التمسوا ممن بيده ملك او ساقية ما يشهد بصحة ملكه ومبلغ فدنه وذكر حدوده فلم يحضر أحد منهم كتاباً ولا اوضح جواباً واصدروا الى الديوان المشاريع بما كشفوه واوضحوه وجدوا التعدى فيه ظاهراً والشرع يوجب وضع اليد على من هذه حاله ومطالبة صاحبه بربحه واستغلاله لا سيما وليس بيده كتاب يشهد بصحة الملك رأساً ولا يستند فى ذلك الى حجة ادخرها ولكن نحكم بما نراه من المصلحة المرعية والعدل والذي اقنا مناره واحيينا معالمه وآثاره مع الرعية فى تعمير البلاد ومصالح احوالها واستنباط الارضين الدائرة وانشاء العروش واقامة السواقى امرنا بكتابة هذا المنشور وتلاوته باعمال الصعيد الاعلى باقرار جميع الاملاك والارضين والسواقى بايدي اربابها الآن من غير انتزاع شيء منها ولا ارتجاعه وان يقرر عليها من الخارج ما يجب تقريره ويشهد الديوان على امثالهم بمثله احساناً اليهم لم يزل تتابع

مثله ونواليه وانعاماً ما برحنا نعيده عليهم ونبديه وقد انعمنا وتجاوزنا عما سلف ونهينا من يستأنف وسامحنا من خرج عن التعدي الى المألوف وجرينا على سننا في العفو والمعروف وجعلناها نوبة مقبولة من الجماعة الجانين ومن عاد من الكافة اجمعين فلينتقم الله تعالى منه وطولب بمستأنفه رأسه وبرأت الذمة من ماله ونفسه وتضاعفت عليـــه الغرامة والعقوبة وسدت فى وجهه ابواب الشفاعة والسلامة وقد فسحنا مع ذلك لكل من يرغب في عمارة ارض حلفاه دائرة وادارة بئر معطلة مهجورة في ان يسلم اليه ذلك ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج الا فى السنة الرابعة من تسليمه اياه وان يكون المقرر على كل فدان ما توجيه زراعته لمثله خراجا مؤيداً وامراً مؤكداً فليعتمد ذلك النواب وحكام البلاد ومن جرت العادة بحضوره عند المجلس واحضار جميع ارباب الملاك والسواقي واشعارهم ما شملهم من هذا الاحسان الذي تجاوز آمالهم في اجابتهم الى ما كانوا يسألون فيه وتقرير ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذي مثلناه ويجيز الديوان تقريره ويرضاه مع تضمين الاراضى الدائرة والآبار المعطلة لمن يرغب فى ضمانها ونظم المشاريع بذلك واصدارها الى الديوان ليخلد فيه على حكم امثالها بعد ثبوت هذا المنشور ولما سرت هذه المصالح الى جميع اهل هذه الاعمال حصل الاجتهاد في تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد وقد كان للنظر في المظالم ديوان افرد للمتظلمين بالتناصف مع الرعية وزجر المتنازعين على التجاحد بالهيبة وكان من شرط الناظر فى المظالم ان يكون جليل القدر نافذ الامر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لانه يحتاج فى نظره الى سطوة الحماة وتثبت القضاة فيحتاج الى الجمع بين صفتي الفريقين وان يكون بجلالة القدر وهي خطة جعلت لفساد الناس وهي كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من اقوى منه يداً واول من نظر

في المظالم من الخلفاء امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه واول من من افرد للظلامات يوماً يتصفح فيه قصص المظلومين من غير مباشرة النظر عبد الملك بن مروان فكان اذا وقف منها على مشكل واحتاج فيها الى حكم ينفذ رده الى قضا به ابن ادريس هو المباشر وعبدالملك الامير وعمر بن عبد العزيز اول من ندب نفسه للنظر فى المظالم وردها ثم جلس لهـا خلفاء بني العباس واول من جلس منهم المهدي محمد ثم الهادي موسى ثم الرشـيد هارون ثم المأمون وآخر من جلس منهم المهتدي بالله محمد بن الواثق واول من اعلم انه جلس بمصر من الامراء للنظر فى المظالم الامير ابو العباس احمد ابن طولون ولما قدم المعز لدين الله الى مصر وصارت دار خلافة استقر النظر في المظالم مدة يضاف الى قاضي القضاة وتارة ينفرد بالنظر فيه احـد عظماء الدولة ولما ضعف جانب المستنصر بالله ابي نعيم معد بن الظاهر وكانت الشدة العظمى بمصر قدام أمير الجيوش الى بدر الجمالي الفاخرة وولي الوزارة فصار امر الدولة كله راجعاً اليه واقتدى به من بعـده من الوزراء وكان الرسم فى ذلك ان الوزير يجلس للمظالم بنفسه ويجلس قبالته قاضي القضاة وبجانبـه شـاهدان معتبران ويجلس بجانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال ويوقف بين يدي الوزير صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين ايديهم الحجاب والنواب على طبقاتهم ويكون هذا الجلوس يومين فى الاسبوع وآخر من تقلد المظالم فى الدولة الفاطمية رزيك بن الوزير الاجل الملك الصالح طلائع بن رزيك في وزارة ابيه وكتب له سجل عن الخليفة وكان السلطان يجلس فى ديوان دار العدل بكرة الاثنين والخميس طول السنة إلا شهر رمضان للنظر في المظالم وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رسـل الملوك غالباً فاذا جلس للمظالم كان جلوسه على كرسى اذا قعد عليه يكاد تلحق الارض رجله

وهو منصوب الى جانب المنبر الذي هو تحت الملك وسرير السلطنة وكانت العادة اولا ان يجلس قاضي القضاة من المذاهب الاربعة رضي الله عنهم عن يمينه اكبرهم الشافعي وهو الذي يلي السلطان ثم الى جانب الشافعي الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي والى جانب الحنبلي وكيل بيت المال ثم الناظر في الحسبة بالقاهرة ويجلس على يسار السلطان كاتب السر وقدامه مناظر الجيوش وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدست وموقعي الدست تكملة حلقة دائرة فان الوزير من ارباب الاقلام كان بين السلطان وكاتب السر وان كان الوزير من ارباب السيوف كان واقفاً على بعد مع بقية ارباب الوظائف ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلحدارية والجمدارية والخاصكية ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعاً عن يمينه ويسرته ذووا السن والقدر من اكابر الامراء وارباب الوظائف وهم وقوف وبقية الامراء وقوف من وراء أمراء الشورى ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لاعطاء قصص الناس واحضار الرسـل وغيرهم من الشكاة واصحاب الحوائج والضرورات فيقرأ كاتب السر وموقعوا الدست القصص على السلطان فان احتاج الى مراجعـــة القضاه يراجعهم فيما يتعلق بالامور الشرعية والقضايا الدينية وما كان متعلقاً بالعسكر فان كان القصص امراء الاقطاعات قرأها ناظر الجيش وان احتاج الى مراجعـة فى امر العسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه وما عدا ذلك يأمر فيه السلطان بما يراه وكانت العادة الناصرية ان تكون الخدمة فى هذا الديوان على ما تقدم ذكره في بكرة الاثنين واما بكرة يوم الخميس فان الخدمة على مثل ذلك الا انه لا يتعدى السلطان فيـــه لسماع القصص ولا يحضره أحد من القضاة ولا الموقعين ولا كاتب الجيش إلا ان عرضت حاجة الى طلب احد منهم وقد تغير بعد الايام الناصرية هذا الترتيب

فصارت قضاة القضاء تجلس عن يمنـة السلطان ويسرته فيجلس الشافعي عن يمينه ويليه المالكي ويليه قاضي العسكر ثم محتسب القاهرة ثم مفتي دار العـدل الشافعي ويجلس الحنفي عن يسار السلطان ويليه الحنبلي ويقبل الامراء الارض بين يديـه دون القضاء ثم اعلم ان الملوك في زماننا بل وفى الازمنة السابقة بعد الدولة العباسية يرون الاحكام على قسمين حكم الشرع وحـكم السياسة فالشريعة هي ما شرع الله من الدين وامر به كالصلاة والصيام والحج وسائر اعمال البر والاوامر والنواهى واحكام المعاملات والانكحة والحلال والحرام وسائر احكام الشرع المبسوطة تفاصيلها في كتب الفقـه المدونة على المذاهب الاربعة رضي الله عنهم والسياسة نوعان سياسة عادلة توجب عمارة البلادوراحة العباد فهي أيضاً شرعية اعتبرها الخلفاء الراشدون رضي الله تعالى عنهم والف فيها العلماء الاعلام كالقاضى ابي الحسن البارودي وغيره كتباً متعددة وسياسة ظالمة توجب خراب البلاد وعدم راحة العباد بل تؤدي الى انقراض الدولة على ما علم ذلك بحسب التجربـة كما لا يخفى على من نظر الى كتب تواريخ الدول وتفصيل هـذا البحث فى تاريخ المقريزي هذا والسياسة العادلة من اعظم اسباب العمارة الموجبة لقوة الدولة الباعثة لقوة الدين وللحكماء انظار لطيفة في ترتيب اسباب السياسة وان لم يكونوا على دين من اديان اهل الكتب الا انهم لقوة نظرهم وكمال عقولهم استنبطوا اموراً عجيبة وعلوماً غريبة ومع ذلك فقد نزهوا واجب الوجود عن كل نقص مع عـدم اتباعهم النواميس السماوية فكأنهم صاروا كالعقول المجردة وقد حصل لهم كمال الادراك وبكمال الادراك يكون حسن التدبير في ملك البدن وفي تدبير السياسة لان مراتب الادراك متفاوتة على اربعة الاول الحسن فانه يجرد نوعا من التجريد اذ لا تخيل الصورة فى الحس بل مثالها فلو غاب عنه أو حدث حجاب لم يكن

مدركا والثاني ادراك الخيال وتجريده اتم قليلا وابلغ تحصيلا لأنه لا يحتاج الى المشاهدة بل يدرك مع الغيبوبة لكن مع اللواحق الجسمانية والثالث ادراك العزم وتجريده اتم واكمل مما سبق لانه يدرك المعنى المجرد من اللواحق وحواشي الاجسام كالمحبة والعداوة الا انه لا يدرك محبة كلية بل يدرك الجزئية بأن يدرك ان هذا الرجل محب وهذا عدو والرابع ادراك العقل وذلك هو التجريد الكامل عن كل غاشية وعن جميع لواحق الاجسام بل جناب ادراكه منزه عن ان يحوم بين لاحق من لواحق الاجسام كالاين والكم والكيف وغيرها من الاغراض الجسمية ويدرك معنى كلياً لا يختلف بالاشخاص وجدت الاشخاص قريبة أو بعيدة أم عدمت فانه ينفذ في اجزاء الملك والملكوت وينتزع الحقائق منها ويجردها عما ليس منها ان كان المدرك محتاجاً الى التجريد فان كان مجرداً في نفسه ادرك كما هو اكتفى عن مؤونة التجريد والحكماء قد حازوا من العقل ما ترك من آثاره العجب العجاب ولما اشرت الى بيان ادراك العقل ناسب بيان مراتبه فاقول ان للعقل مراتب بعضها يخدم بعض فانك تجد العقل المستقل وبيناً مطلقاً يقدمه الكل وهو الغاية القصوى ثم العقل بالفعل يخدمه العقل بالملكة والعقل الهيولاني بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة ثم العقل العملي يخدم الجميع لأن العلاقة البدنية انما هي لاجل تكميل العقل النظرى فالعقل العملي مدير تلك العلاقة ثم العقل العملي يخدمه الوهم تخدمه قوتان قوة بعده وقوة قبله فالقوة التي بعده هي القوة التي تحفظ ما اداه الوهم والقوة التي قبله هي القوة الحيوانية ثم التخلية تخدمها قوتان فالقوة النزوعية تخدمها بالائتمار لانها تبعثها على التحريك والقوة الخيالية تخدمها الحس والقوة النزوعية تخدمها الشهوة والغضب تخدمها القوة المحركة فى العضل والقوة الحيوانية تخدمها فى الجملة القوة النباتية واولها المولدة

ثم المرئية تخدم المولدة ثم الحافية تخدمها ثم القوى الطبيعية الاربع تخدم العازمة ويقال للقوى الطبيعية الهاضمة وتخدمها الماسكة من جهة والجاذبة من جهة اخرى وتخدمهما الدافعة وتخدم جميعها الكيفيات الاربع لكن الحرارة تخدمها البرودة وتخدم كليهما الرطوبة واليبوسة وهناك آخر درجات القوى

قال بطليموس الحكيم صاحب الطلسمات والغرائب والاسرار والعجائب ان اول ما دل بكلمة الله تعالى المطاعة العقل ودل العقل على الحركة والحركة دلت على الحرارة فكانت الحرارة اول الجواهر الاربعة ولما انقضت الحركة جاء السكون عند فنائها ودل السكون على البرد ولما كانت الحركة في نشأتها على هيئة التدوير انعطف ما على ما سفل فحل الحار البارد فحصل منه اللين فأسرع اللين الى الحر لشبهه به فظهر اليبس فى البرد بانحلال الرطوبة منه فكلمت (ح) الجواهر الاربعة ثم ان الحركة اخذت صعوداً للحرارة التي حدثت بها من كثرة اضطرابها فصعدت بقدر قوتها مقدار ستين الف سنة ومائتين وخمسين سنة فكان ما صعد مما بقى حتى صعد اللطيف كله وما بقي ما برد وغلظ فاستقل مقدار سبعمائة وخمسين سنة وكان ذلك في مقدار ثمانية واربعين ساعة وقد علت الحركه وتباسطت واسندت وتقطعت فكانت كلما علا منها شيء كان اشد حرارة مما سفل منه فكانت تلك القطع والفصول اثني عشرة قطعة واثني عشر فصلا ثم ان الجزء الاسفل الساكن اشتهى الحركه واللحوق بالجزء الاعلى لانه خرج منه وهو اليه احوج فلما دام الحر مطلا مغطياً لذلك الجزء الاسفل سخن ما يليه منه فتحرك فأخذ بالصعود ولم يقدر لثقله بما صعد قبله فلذلك علمنا ان علة الحركة الحرارة وعلة السكون البرودة وعلة الصعود الخفة وعلة المكث وعدم الصعود الثقل وعلة الخفة البساطة وعلة الثقل التركيب والعلة في كون مقدار صعودها ستين الف سنة ومائتين وخمسين

سنة انما هى لقوة الحر فى سوسها الذي له قوة الصعود والعلة فى استفال الجزء الذي بقى مقدار سبعمائة وخمسين سنة انما هي لضعف القوة المحركة له عن تسخينه وتلطيفه وتخفيفه واما علة كينونة هذا البناء العظيم فى مقـــدار ثماني واربعين ساعة وهو مقدار قليل فهي اللطافة فلذلك اسرع انفعاله وانها كانت القطع اثني عشر قطعة لان الحرارة ليست فيها على سواء بل هى اثنتا عشرة طبقة فكلما كان منها اخف كان اسرع صعوداً ثم يتبعه الذي يليه جزء بعد جزء وكذلك الحرارة التي فيهذا العالم ليستصنفاً واحداً وان كانت عقولهم لا تدرك ذلك وانما قويت عقولهم على ادراك ما اتصل بهم في خلقتهم فلما لم تكن الحرارة صنفاً واحدا فى هذا العالم اختلف الخلق فصارت تلك القطع الاثني عشرة علة لعدد البروج الاثني عشر التي فى الفلك ثم انه لما علا ماسفل انفصل فصلين آخرين ثم انفصل كل منهما على سبعة فكان على اربعة عشر فصلا فذلك علة السموات السبع والارضين السبع لخلق الزمان من ذلك الصعود وجعل عمر العالم سبعين الف سنة حتى ينفد فلا يبقى عالم ولا زمان . انتهى ما ذكره بطليموس .

اقول بعـــد حمد الله الذى تفجرت ينابيع حكمه البالغة من السنة الكاملين من عباده وتاهت عقول ذوي الانظار في بيـــداء معرفة بدائع مصنوعاته لما جرى بحث الحكمة اقتضى تعيينها وبيان اقسامها تكميلا للفائدة فالحكمة علم يبحث فيه عن احوال اعيان الموجودات على ما هي عليه فى نفس الامر بحسب الطاقة البشرية وعرفها الشيخ الرئيس ابن سينا بانها صناعة نظر يستفيد منها الانسان ما عليه الوجود كله في نفسه وما عليه الواجب مما ينبغي ان يكتسب لتشرف نفسه وتستكمل بتصور الامور والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية بحسب الطاقة البشرية ثم ان الحكمة تنقسم الى نظرية وعملية فالنظرية

ما يترتب عليها حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا تعلق لوجودها بفعل الانسان والغرض منها حصول الرأي وهى تنقسم الى ثلاثة اقسام العلم الاسفل وهو العلم الطبيعي والعلم الاوسط وهو العلم الرباني والعلم الاعلى وهو العلم الآلهي لأن الامور التي يبحث عنها في الحكمة النظرية اما ان تكون حدودها ووجودها ومتعلقاتها بالمادة الجسمانية والحركة كاجرام الافلاك والعناصر وما يتكون منها وما يحدث من احوالها المختصة بها كالحركة والسكون والتغير والكون والفساد والملي والنشوء والقوى والكيفيات وما يشبهها من الاحوال فهو العلم الطبيعي واما ان يكون وجودها متعلقاً بالمادة والحركة من دون حدودها كالتربيع والتدوير والكروية والمخروطية والعدد وخواصه فانك تفهم الكرة مثلا من غير ان تحتاج الى فهم أنها من خشب او غيره ولا تفهم الانسان الا وانت محتاج الى ان تفهم ان صورته من لحم وعظم وكذلك تفهم التقعير ولا تحتاج فى فهمه الى فهم ماهية الشيء الذي فيه التقعير ومع هذا فالتدوير وما شاكله مما سبق لا يوجد إلا فى الاجرام المتحركه فهي العلم الرياضي واما ان يكون وجودها وحدودها غير مفتقرين الى المادة والحركة كذات الله تعالى وصفاته وما كان على هذا المنوال من المعاني فهو العلم الآلهي ولما كانت الموجودات منحصرة في هذه الاقسام الثلاثة كانت الحكمة النظرية منحصرة فى الاقسام الثلاثة والحكمة العملية ايضاً تنقسم الى ثلاثة اقسام لأن تدبير الانسان اما يكون بشخص واحد اولا والثاني هو الذي يتم بالشركة اما بحسب الاجتماع منزلي او مدني فكانت العلوم العملية ثلاثة الاول منها وهو الخاص بالشخص الواحد ما يعرف به ان الانسان كيف ينبغي ان تكون اخلاقه وافعاله بحيث تكون حياته الاولى والآخرة سعيدة والمتكفل لبيان هذا القسم كتاب ارسطاطاليس فى علم الاخلاق والثاني

ما يعرف فيه ان الانسان كيف ينبغي أن يكون تدبيره المنزل المشترك بينه وبين زوجه وولده ومملوكه حتى تكون حاله منتظمة ويشتمل على هذا القسم كتاب اروس في تدبير المنزل والثالث ما يعرف به اصناف السياسات والرياسات والاجتماعيات المدنية الفاضلة والردية ويعرف به وجه استيفاء كل واحد منها وعلة زواله وجهة انتقاله وما كان يتعلق من ذلك بالملك والمتكفل لبيان هذا القسم بما تقتضيه الحكمة حسب الطاقة كتاب افلاطون وارسطو في السياسة وما كان يتعلق من ذلك بالنبوة والشريعة فتشتمل عليه كتب النواميس السماوية التي بها السعادة الابديـــة لانها على مقتضى الامر الآلهي الذي هو مقتضى الحكمة بحسب نفس الامر لانه تعالى هو المطلع على ما يليق بالحال وعلى ما هو في نفس الامر واما علم ما سوى الله تعالى من اصناف البشر فانها هوس وظنون واوهام وخبط عشواء الا ما تلقيناه من الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام والله الموفق . والحكمة الطبيعية تنقسم الى قسمين الاول ما يقوم مقام الاصل والثاني ما يقوم مقام الفرع فاما ما يقوم مقام الاصل فثمانية اقسام القسم الأول ما تعرف به الامور العامة لجميع الطبيعيات ويشتمل عليه كتاب الكيان والقسم الثاني ما يعرف به احوال الاجسام التي هي اركان العالم وهي العناصر وطبائعهـــا وحركاتها وموضعها ويشتمل عليـــه كتاب السماء والعالم والقسم الثالث ما يعرف حال الكون والفساد والتوليد والنشوء والبلى والاستحالة ويبين فيه عدد الاجسام القابلة لهذه الاحوال ولطيف صنع الله تعالى في ربط الارضيات بالسموات ويشتمل عليه كتاب الكون والفساد والقسم الرابع ما يبحث فيه عن الاحوال التي تعرض العناصر قبل الامتزاج لما يعرض لها من انواع الحركات والمتخلخل والتكاثف بتأثير السموات وما يبحث فيـــه عن العلامات والشهب والغيوم والامطار والهالة وقوس قزح

والصواعق والرياح والزلازل والبحار والجبال ويشتمل على هذا القسم كتاب الآثار العلوية والقسم الخامس ما يعرف به الكائنات النباتية ويشتمل عليه كتاب النبات والقسم السادس ما يعرف به حال الكائنات المعدنية ويشتمل عليه كتاب المعادن والقسم السابع ما يعرف به حال الكائنات الحيوانية ويشتمل عليه كتاب طبائع الحيوان والقسم الثامن ما يعرف به النفس والقوى الدراكة التي في الحيوانات ولا سيما قوى الانسان وعدم موت قوة النفس بموت الانسان وانها جوهر روحاني والمتكفل لبيان هذا القسم بلا مزيد عليه كتاب النفس والحس والمحسوس واما ما يقوم مقامه الفرع فسبعة اقسام القسم الاول الطب والغرض منه معرفه مبادىء البدن الانساني واحواله من الصحة والمرض واسبابهما ودلائلهما ليدفع المرض وتحفظ الصحة واحسن كتاب صنف فيه على عهد الحكماء الاسلام قانون الشيخ الرئيس ابن سينا وهو علم تخميني والغرض فيه الاستدلال بقياس بعض الكواكب الى بعض وبقياسها الى درج البرج وبقياس جملة ذلك الى الارض على ما يكون من احوال ادوار العالم والملك والممالك والبلاد والمواليد والتحاويل والاختبارات وغير ذلك من المطالب والقسم الثالث علم التعمير والغرض منه الاستدلال بالمتخيلات الحكمة على ما شاهدته النفس من عالم الغيب فضيلته القوة المخيلة بمثال غيره والقسم الرابع علم الفراسة والغرض منه الاستدلال من الخلق على الاخلاق والقسم الخامس علم الطلسمات والغرض منه تمزيج القوى السماوية وقوى بعض الاجرام العلوية ليتألف من ذلك قوة تفعل فعلا غريباً فى عالمنا الارضي والقسم السادس علم الفيزياء والغرض منه تمزيج القوى فى جواهر العالم الارضي لتحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب والتكفل لانواع هذا الفن كتاب ابي القاسم فانه مشتمل على أبواب كثيرة عجيبة والقسم السابع علم الكيمياء والغرض منه

سلب الجواهر المعدنية خواصها وافادتها كذا خواصاً اخر وافادة بعضها خواص بعض آخر والمتكفل بهذا الفن كتاب جابر الحكيم فانها بديعة الاسلوب خفية الاشارات والرموز وقل من وقف على حقيقة هذا العلم ولذا انكره بعض الناس والظاهر ان له حقيقة يخص الله به من يشاء من عباده والكيمياء العملية من فروع هذه الكيمياء فهذه جملة اقسام الحكمة الطبيعية الاصلية والفرعية واما اقسام الحكمة الرياضية الاصلية فهي اربعة علم العدد وعلم الهندسة وعلم الهيئة وعلم الموسيقى فاما علم العدد فهو الذي يعرف به حال انواع العدد وخاصة كل نوع في نفسه وحال النسب بعضها من بعض وعلم الهندسة يعرف منه حال اوضاع الخطوط واشكال السطوح واشكال المسطحات والنسب الى المقادير وذوات الاشكال والاوضاع ويشتمل عليه كتاب اقليدس علم الهيئة ما يعرف به حال اجزاء العالم فى اشكالها واوضاع بعضها بالنسبة الى بعض ومقاديرها وابعاد ما بينها وحال الحركات التي للافلاك والكواكب وفرض الدوائر والكرات والاس التي بها تتم الحركات ويشتمل عليه كتاب المجلسي وهو كتاب عظيم فى هذا الفن وعلم الموسيقى ما يعرف به حال النغم والعلة فى اتفاقها واختلافها وحال الابعاد والاجناس والجموع والانتقالات والايقاع وكيفية تألف ومعرفة الملاهي كلها بالبراهين ولفظ الموسيقى معناه الالحان واحسن كتاب وقفت عليه من كتب هذا الفن كتاب المدخل الى صناعة الموسيقى لابي نصر محمد بن محمد الطوخاني واما اقسام الحكمة النظرية الفرعية فكثيرة فمن فروع علم العدد عمل الجمع والتفريق بالهندي وعمل الجبر والمقابلة وغير ذلك ومن فروع الهندسة عمل المساحة وعمل جسر الاثقال وعلم الاوزان والموازين وعلم الآلات الجزئية وعلم القناطر والمريا وعلم نقل المياه ومن فروع علم الهيئة الزيج الزايرجات والتقاويم ومن فروع علم

الموسيقى اتخاذ الآلات العجيبة المطربة والاقسام الاصليه للعلم الآلهي خمسة الاول النظر في معرفة المعاني العامة لجميع الموجودات من الهيئة والوحدة والكثرة والوفاق والخلاف والتضاد والقوة والفعل والعلة والمعلول والثاني النظر فى الاصول والمبادىء مثل علم الطبيعيين والرياضيين وعلم المنطق ومناقشة الآراء الفاسدة فيها والثالث النظر في اثبات الحق الاول وتوحيده والدلالة على تفرده وربوبيته وامتناع مشاركة موجود في مرتبة وجوده وانه وحده واجب الوجود بذاته ووجود ما سواه يجب به ثم النظر فى صفاته وانها كيف تكون صفاته وان المفهوم من لفظ كل صفة هو ان الالفاظ المستعملة في صفاته مثل الواحد والموجود والقديم والعالم والقادر يدل كل واحد منها على معنى آخر وان هذه الصفات له تعالى لا توجب كثرة في ذاته تعالى ولا تقدح في وحدانيته اذ انه الحقيقة والرابع النظر في اثبات الجواهر الاول الروحانية التي هى مبدعاته واقرب مخلوقاته منزلة عنده والدلالة على كثرتها واختلاف مراتبها وطبقاتها وهذه مرتبة الملئكة الكروبيين ثم في اثبات الجواهر الروحانية وطبقاتها وهذه مرتبة الملائكة الموكلة بالسموات وحملة العرش ومدبرات الطبيعة ومقرها ومتعهدات ما يتولد فى عالم الكون والفساد والخامس فى تسخير الجواهر الجسمانية التي بعضها عالمة وبعضها آمرة عن رب العالمين والدلالة على ارتباط الارضيات بالسماوات والسماوات بالملائكة العاملة والعاملة بالملائكة المبلغة وارتباط الكل بالامر الذي ما هو إلا واحد لمح البصر والكل لا تفاوت فيه ولا فطور ولا فى اجرائه وان مجراه الحقيقي على مقتضى الخير المحض وان الشر فيه ليس بمحض بل هو الحكمة والمصلحة وهو ينبع في جهة خير فهذه اقسام الفلسفة الاولى اعني الآلهي ويشتمل عليه كتاب ماطاطانوسقا (كذا فى الاصل والاصح ماطافوسقا) فانه عرف جميع هذا

بالبرهان وفروع علم الآلهي منها معرفة كيفية نزول الوحي والجواهر الروحانية التي تؤدي الوحي وان الوحي كيف يتأدى حتى يصير مبصراً مسموعاً وان الذي يأتيه الوحي تصدر عنه المعجزات المخالفة لمجرى الطبيعة ويخبر بالغيب وان الابرار الاتقياء كيف يكون لهم إلمام وكرامات تشبه المعجزات وان الروح الامين جبريل عليه السلام من طبقات الجواهر الروحانية وان الانسان لم يخلق سدى يذهب الى ما يشاء بوهمه بل لا بد له من التدين بدين صحيح يعرف بدلائله البديهية المسلمة المقدمات لدى من القى السمع وهو شهيد وترك التعصب وموافقة هوى النفس في تقليد ابيه وجده من غير نظر صحيح دقيق فان الاثر يدل على المسير والحق ابلج والله الموفق الى اتباع دين الاسلام المبني على توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل نقص وعما لا يليق بمقام الربوبية وعلى الايمان بجميع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وبكتبهم المنزلة عليهم من اعتقاد والعصمة فيهم وتنزيههم عن العيوب مع التكليف بالعبادات الكثيرة ليلا ونهاراً المشروطة بالطهارة والنظافة والنهي عن كل منكر فمن انصف بعد مطالعة كتب الاسلام القوية الاركان وجد من نفسه حلاوة لدين الاسلام واستقامة فى مناهجه وعدلا فى احكامه والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل والطرق الصحيحة الموافقة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما عليه الأئمة الاربعة رضي الله تعالى عنهم من اهل السنة والجماعة المبنية اقوالهم على الكتاب والسنة البرية عن الاكاذيب الظاهرة لا ما ذهب اليه الرافضة من الآثار الشنيعة والهذيانات القبيحة التي ما انزل الله بها من سلطان ولم توجد فى شريعة من الشرائع من لدن آدم عليه السلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انما زورها المنافقون ومن وقف على كتب هذه الفئة وسائر الخوارج والرفضة واطلع على ما فيها من الهذيان والشنائع

المخالفة لقواعد الاسلام ودقق النظر تيقن ان الحق مع ما عليه اهل السنة والجماعة ومن يضلل الله فلا هادي له (ثم اعلم) ان الرسالة عطية آلهية لا تكتسب بجهد ولا تنال بكسب فالله اعلم حيث يجعل رسالته ولكن الكسب فى امداد النفس لقبول آثار الوحي بالعبادات والمعاملات الخالصة عن الرياء من لوازم الرسالة وكما ان النوع الانساني متميز عن سائر الحيوانات بنفس ناطقة هي فوقها بافضلية العقلية كذلك نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام تميزت عن عقول الناس بعقل كامل مهدي هو فوق العقول كلها بالفضيلة الربانية فان النبي وان شارك الناس فى البشرية والانسانية من حيث الصورة فقد يأتيهم من حيث المعنى اذ بشريته فوق بشرية الناس لاستعداد بشريته لقبول الوحي وقد اشار الله تعالى الى جهة المشابهة من حيث الصورة بقوله انما أنا بشر مثلكم والى جهة المباينة من جهة المعنى بقوله يوحى إلي فالنبي وان شارك الناس من حيث اصل الانسانية والبشرية الا أن انسانيته وعقله فوق سائر البشريات والعقول فان مراتب العقول متفاوتة وهي على تفاوتها لم تبلغ فى النوع الانساني الى حد الكمال الا فى الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فانهم قد اوتو الكمال في حدس القوة النظرية حتى استغنوا عن المعلم البشري واوتوا للقوة المتخلية استقامة وهمة حتى تشاهد العالم النفساني بما فيه من احوال العالم فيصير العالم وما يجرى فيه متمثلا لها ويكون لقوته النفسانية ان يؤثر فى عالم الطبيعة حتى تنتهي الى درجة النفوس السماوية ثم بعدهم الذي له الامر له الامران الاولان وليس له الامر الثالث ثم الذي له هذا التهيأ الطبيعي في القوة النظرية ولا حصة له فى امر القوة العملية ثم الذي ليس له فى القوة النظرية لا تهيء طبيعي ولا اكتساء تكلفي ولكن له التهي في القوة العملية فالرئيس المطلق والملك الحقيقي الذي يستحق بذاته ان يملك

هو الاول الذي ان نسب نفسه الى عالم العقل وجد كانه يتصل به دفعته وان نسب نفسه الى عالم النفس وجد كأنه من سكان ذلك العالم وان نسب نفسه الى عالم الطبيعة كان فعالا فيه ما يشاء والذي تبلوه ايضاً رئيس كبير وبعده في المرتبة والباقون هم اشراف النوع الانساني وكرامه واما الذين ليس لهم استكمال شيء من القوى الا انهم يصلحون الاخلاق ويقتنون الملكات الفاضلة فهم الاذكياء من النوع الانساني ليسوا من ذوي المراتب العالية الا انهم يميزون عن سائر اصناف الناس هذا وفى اثبات النبوة والرسالة طرق منها الذي انشيء من الحركات الاختيارية وهى اقسام ثلاثة فكرية وقولية والحركة الفكرية يدخلها الحق والباطل والقولية يدخلها الصدق والكذب والعملية ويدخلها الخير والشر ولا شك انها على تضادها واختلافها ليست واجبة التحصيل بجملتها فان من افتى بهذه الفتوى يكون مستحق القتل بفتواه المذكورة لأن قتله من جملة الحركات وهو قد افتى بان تحصيل كل حركة واجبة اي واجب الفعل وليس كلها واجب الترك لأن من افتى بهذه الفتوى ينبغي ان لا يتنفس لأن التنفس حركة وقد افتى بوجوب ترك كل حركة فظهر من هذا ان بعض الحركات واجب الفعل وبعضها واجب الترك واذا ثبت هذا فقد ثبت حدود في الحركات اعني الحق والباطل والصدق والكذب والخير والشر فما كان حقاً وصدقا وخيراً كان واجب التحصيل وما كان باطلا وكذبا وشراً كان واجب الترك والتمييز بين الحركات بحدودها المذكورة لا يخلو اما ان يعرفه كل أحد أو لا يعرفه أحد أو يعرفه بعض دون بعض ومن المعلوم بداهة بطلان انه لا يعرفه أحد لوجود من يعرفه من الخواص وبطلان ان يعرفه كل احد لكثرة من لا يعرفه من العوام فظهر ان الصحيح انما هو ان يعرفه أحد دون احد فثبت بالتقسيم الاول حدود في الحركات وثبت

بالتقسيم الثاني اصحاب حدود يعرفونها وهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام اصحاب الشرائع المؤيدة عقولهم بالوحي الذي لا يحتمل الخطأ الذي به حفظ نظام العالم فثبتت النبوات بضرورة الحركات وقد اقيمت ادلة كثيرة على اثبات النبوات استوفيتها فى الكتاب المسمى بالصراط المستقيم في الرد على النصارى أو اليهود .

ومن فروع العلم الآلهي ان الارواح البشرية حادثة حدثت عند استعداد النطفة لقبول النفس من واهبها كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والدليل العقلي على ذلك ان الارواح لو كانت موجودة قبل الابدان لكانت اما كثيرة واما متحدة وكل منهما باطل فبطل وجودها قبل الابدان اما بطلان الوحدة فلانها بعد التعلق بالابدان اما ان تبقى الروح على وحدتها أو تكدر وكل منهما باطل ايضاً اما بطلان بقاء الوحدة بعد التعلق بالابدان فلعلمنا ضرورة ان ما يعلمه زيد يجهله عمرو ولو كانت الروح اعني الجوهر العاقل فيهما واحدة لاستحصال اجتماع الضدين اعني العلم والجهل فيها يستحيل في زيد وحده واما بطلان تكثرها بعد التعلق بالابدان فلان الواحد انما يقبل القسمة والكثرة اذا كانت من المقادير كالجسم فانه لكونه ذا مقدار يمكن تقسيمه وتبعيضه وتكثيره واما اذا لم يكن من المقادير كالروح فانه لا يقبل القسمة ولا التكثير هذا واما استحالة كثرة الوحي قبل التعلق بالابدان فلأنها اما ان تكون متماثلة او مختلفة وكل منهما محال اما استحالة التماثل فلأن وجود المثلين محال فى الاصل ولذا يستحيل وجود سوادين في محل وجسمين في مكان واحد لأن الاثنينية تستدعي المغايرة ولا مغايرة ههنا بخلاف وجود سوادين فى محلين أو في محل واحد فى زمانين فانه جائز غير مستحيل فليس فى الوجود مثلان مطلقا بل بالاضافة كقولك

زيد مثل عمرو في الانسانية او الجسمية سواد الحبر والغراب مثلان فى السوادية واما استحالة التخالف والتغاير فلأن التغاير على نوعين احدهما باختلاف النوع والماهية كتغاير المـــاء والنار وتغاير السواد والبياض الثاني باختلاف العوارض التي لا تدخل في الماهية كتغاير الماء البارد للماء الحار فان كان تغاير الارواح البشرية بالنوع والماهية فهو محال لأن الارواح البشرية متفقة بالحد والحقيقة وهو نوع واحد لأن الحد وهو حيوان ناطق يشملها وان كانت متغايرة بالعوارض فهو ايضاً محال لان الحقيقة الواحدة انمـــا تتغاير عوارضها اذا كانت متعلقة بالاجساد منسوبة اليها بنوع ما ولا تعلق لهـــا بالاجسام قبل وجود الابدان فكان الاختلاف محالا لأن الاختلاف انما هو فى اجزاء الجسم ضرورة فان قيل فكيف تكثرت الارواح وتغايرت بعـــد مفارقة الاجسام لا تعلق لها (رح) بالاجسام قلنا انها قد اكتسبت بعـــد التعلق بالابدان اوصافاً مختلفة من العلم والجهل والصفاء والكدورة وحسن الاخلاق وقبحها فبقيت متغايرة بسبب تلك الاوصاف فعقلت كثرتها بعـد المفارقة بخلافها قبل تعلقها بالابدان فانه لا سبب لتغايرها العلم الآلهي .

ومن فروع اعتقاد المعاد الجسماني فانه يقال لو لم يبعث الانسان ببدنه لكان له ببقاه وجه بعد موته ثواب وعقاب غير بدنيين وكانت الروح التقية التي هي النفس المطمئنة الصحيحة الاعتقاد العاملة للخير الذي يوجبه الشرع والعقل فائزة بسعادة ألذ من كل سعادة ولم يخالف العقل في انها تكون للبدن ايضاً لا ان البدنية لا يفي بوصفها الا الوحي والشريعة دون العقل وان جوزها لا يفي بوصفها اذ لا مجال له في وصفها لأن الوصف لا يكون إلا بالاخبار النبوية الصادقة بخلاف السعادة والشقاوة الروحانيين فان العقل طريق اليهما هذا واقسام المنطق الذي هو آلة الى كسب الحكمة النظرية والعملية الصائنة

عن الخطأ في الفكر تسعة الاول بحث اقسام اللفظ والمعاني من حيث هي مفردة ومركبة وهو كتاب ايساغوجي تصنيف كذا والاصح فرفريوس المعروف بالمدخل الثاني بحث المعاني المفردة الذاتية الشاملة لجميع الموجودات من غير شرط تحصلها في الوجود او قوامها في العقل ويشتمل عليـــه كتاب ارسطو المعروف بقاطغورياس أي المقولات . الثالث تبيين تركيب المعاني المفردة بالسلب والايجاب حتى تصير قضية وخبراً يلزمه الصدق والكذب ويشتمل عليه كتاب ارسطو المسمى بالعبارة الرابع تبيين تركيب القضايا حتى يتألف منها القياس في تأليف القضايا التي هي مقدماته ويشتمل عليه كتاب ارسطو المعروف بانولوطيقي الخامس والسادس ما يشتمل على تعريف القياسات النافعة في المخاطبات والمواضع التي تكتسب منها الحجج في الجدل من السائل والمجيب ويشتمل عليه كتاب ارسطو الموسوم بديالقطيقي أي الجـــدل وبهذا تعرف القياسات الاقناعية في الامور الكلية السابع ما يشتمل تعريف المغالطات التي تقع في الدلائل والمجاز والسهو وتعديدها باسرها والتنبيه على وجه الاحتراز عنها ويتضمنه كتاب ارسطو المعروف بسوفسطيقا أي نقض شـــبه المغالطين الثامن ما يشتمل عليه تعريف المقاييس الخطابية النافعـة في مخاطبات الجمهور على سبيل المخاصمة والمشاجرة والمدح والحيل النافعة في الاستعطاف والاغراء وتصغير الامر وتعظيمه والمعاينة ووجوه ترتيب الكلام في كل قصة وخطبة ويتضمن كتاب ارسطو المعروف بروطوريقى اي الخطابة التاسع ما يشتمل على الكلام الشعري انه كيف يجب ان يكون وما انواع النقص فيه ويشتمل عليه كتاب ارسطو المعروف بعرنيطقا ويقال برايطقا ويقال رطوريقي أي الشعر فهذه ثلاثة وخمسون علماً وهي عـــدة العلوم الحكمية على ما ذكرها

الشيخ الرئيس ابن سينا وقال بعد عدها فقد دلت على اقسام الحكمة فظهر انه ليس شيء منها ما يخالف الشرع فان الذين يدعونها ثم يزيغون عن منهاج الشرع انما يضلون من تلقاء انفسهم ومن عجزهم وتقصيرهم لان الصناعة توجيه فانها بريئة منهم .

أحوال بغداد

عادل العبد

المسلك الاول في بيان فضائل بغداد وبنائها وبانيها وانهارها وجسورها وعشائرها واكابرها القديمة وبيان سواد العراق وعشره وخراجه وغير ذلك مما يتعلق باحوال بغداد وفيه عدة ابواب .

الباب الاول في فضائلها

روى ابو بكر النيسابوري عن يونس بن عبد الاعلى انه قال له الشافعي رضي الله عنه يا يونس هل دخلت بغداد قال قلت له لا ، قال ما رأيت الناس ولا رآك الناس . وروى احمد بن ابي طاهر انه قيل لرجل كيف رأيت بغداد قال الارض كلها بادية وبغداد حاضرتها . . وروى ابن سلامة عن ابن علية انه قال ما رأيت قوماً اعقل في طلب الحديث من أهل بغداد . وروى الشافعي رضي الله عنه انه قال ما دخلت بلداً قط إلا عددته سفراً إلا بغداد فاني حين دخلتها عددتها وطناً .

روي عن ابن مجاهد المقري امام الزمان انه قال رأيت أبا عمرو بن العلاء فقلت له ما فعل الله بك قال دعني مما فعل الله بي ، من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة الى جنـــــة . . وقال ابو بكر بن عياش : الاسلام ببغداد ، وانها لصيادة تصيد الرجال ومن لم يرها لم ير الدنيا . .

وقال ابو عثمان الجاحظ في وصف البلاد الصناعة في البصرة والفصاحة

بالكوفة والخير ببغداد والغدر بالري والحسد بهراة والجفاء بنيسابور والبخل بمرو والطرقدة بسمرقند والمروءة ببلخ والتجارة بمصر . ونقل الحافظ السيوطي في حسن المحاضرة عن تذكرة الصلاح الصفدي انه قال كان الشيخ تاج الفزاري يقول أن الحكماء واهل التجارب ذكروا انه من أقام ببغداد سنة وجد فى عمله زيادة ومن اقام بالموصل سنة وجد في عقله زيادة ومن اقام بحلب سنة وجد فى نفسه شحاً ومن اقام بدمشق سنة وجد فى طباعه غلظة ومن اقام بمصر سنة وجد فى نفسه أي في اخلاقه رقة وحسناً .

ونقل عن مباهج الفكر انه روي عن كعب انه قال لما خلق الله تعالى الاشياء قال العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الخصب أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقال الفقر وأنا معك . ونقل عن محمد بن حبيب انه قال لما خلق الله تعالى الخلق خلق معهم عشرة أخلاق ، الايمان والحياء باليمن ، والنجدة والفتنة بالشام ، والكبر والنفاق بالعراق ، والغنى والذل بمصر والفقر والشقاء بالبادية .

ونقل عن بعضهم انـــه قال ان الله تعالى جعل البركة عشرة أجزاء تسعة منها في قريش وواحدة فى سائر الناس ، وجعل المكر عشرة أجزاء تسعة منها في القبط وواحداً في سائر الناس ، وجعل الجفـــاء عشرة اجزاء تسعة منها في البربر وواحداً فى سائر الناس ، وجعل النجابة عشرة اجزاء تسعة منها في الروم وواحدة فى سائر الناس ، وجعل الصناعة عشرة اجزاء تسعة منها في الصين وواحدة فى سائر الناس ، وجعل الشهوة عشرة أجزاء تسعة منها في النساء وواحـدة في الرجال وجعل العمل عشرة اجزاء تسعة منها فى الانبياء وواحداً فى سائر الناس ، وجعل الحسد عشرة أجزاء تسعة منها في اليهود وواحداً فى سائر الناس .

وحكي عن الحجاج انـه سأل ابن القرية عن طبائع اهل البلاد فقال اهل الحجاز اسرع الناس الى الفتنة واعجزهم عنها رجالها حفاة ونساؤها عراة واهل اليمن أهل سمع وطاعة ولزوم الجماعـة ، واهل عمان عرب استنبطوا واهل البحرين نبط استعربوا ، واهل اليمامة اهل جفاء واختلاف آراء ، واهل فارس اهل بأس شديد وعز عتيد ، وأهل العراق ابحث الناس عن صغيرة وأضيعهم للكبيرة ، واهل الجزيرة أشجع فرسان واقتل للاقران ، واهل الشام اطوعهم لمخلوق واعصاهم لخالق ، واهل مصر عبيـد لمن غلب ، اكيس الناس صغاراً واجهلهم كباراً .

أقول : اهل اليمامة أحق بأن يكونوا أهل بأس شـديد لقوله تعالى في حقهم ستدعون الى قوم اولي بأس شديد . فما ذكر ابن العرية ليس في محله . . ونقل عن ابن العرية انه قال الهند بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر . وكرمان ماؤها وشل وتمرها دقل واصها بطل . وخراسان ماؤها جمد جامد وعدوها جاهد . وعمان حرها شديد وصيدها عتيد . والبحرين كناسة بين المصرين . والبصرة ماؤها ملح وحربها صلح مأوى كل تاجر وطريق كل عابر . والكوفة ارتفعت عن حر البحرين وسفلت عن برد الشام ، وواسط جنة . والشام عروس بين نساء جلوس . ومصر هواؤها راكد وحرها متزايد تطيل الاعمار وتسود الابشار . . هذا وقال ابو بكر الديلمي سافرت الآفاق ودخلت البلدان من حد سمرقند الى قيروان ومن سرنديب الى بلاد الروم فما وجدت بلداً أفضل ولا أطيب من بغداد . .

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخه أن بغـداد سميت مدينة السلام فليس في الارض مدينة على هذا الاسم غيرها ، قال وكان بعض اخواننا اذا ذكرها يقرأ قوله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور) . وقد اختصت بغداد من

بين البلاد شرقاً وغربا باتصاف اهلها بالاخلاق الكريمة الحميدة والسجايا المرضية وبالمياه العذبة والفواكه الكثيرة والاحوال الجميلة وبفطنة اهلها وذكائهم واجازة علمائها للعلوم النقلية والعقلية والفنون الادبية . ولهم المهارة التامة في نقد الشعر الجيد من الرديء ، ودقة شعرهم لا تخفى على من له معرفة بنقد الشعر ، ولا فرق بين شعرهم وشعر أهل الاندلس في الرقة والمعاني البديعية ، ولهم المعرفة الصحيحة بأنساب العرب واخبارهم ولهم المؤلفات الكثيرة المفيدة في كل فن . .

ومن اخلاق اهل بغداد انك اذا جلست مع احدهم ثم غبت عنه فقدك واذا رآك لازمك وان لم يكن من قبل عرفك ، يقرون الضيف ويؤثرون على انفسهم بكل سابقة وخير كما هو مشهود من احوالهم ومسلم لدى من سافر الى بغداد .

واما ما ورد من الاحاديث المبشرة بكون بغداد غير مباركة كحديث جرير بن عبدالله البجلي عن النبي ﷺ انه قال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وصراة وقطربل تجيء اليها كنوز الارض ويجتمع اليها كل انسان فهي اسرع ذهاباً من الارض الحديث . وكحديث ابي الاسود الدؤلي عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال سمعت حبيبي محمداً ﷺ يقول سيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق بين دجلة وقطربل والصراة يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب يسكنها اشرار خلق الله تعالى وجبابره أما إن هلاكها على يد الفيافي كأني بها والله قد صارت خاوية على عروشها فقد قال الشيخ الامام ابو بكر كل هذه الاحاديث التي ذكرت في بغداد واهية الاسانيد عند اهل العلم والمعرفة لا يثبت بامثالها حجة غير محفوظة إلا من هذه الطرق الفاسدة . وقال عبدالله بن احمد بن حنبل سئل ابي يعني احمد رضي الله عنه

عن حديث جرير تبنى مدينة (الخ) فقال ماحدث به انسان ثقـة وجميع أهل الحديث الثقات العدول الذين عليهم المدار فى تصحيح الاحاديث قـد اطبقوا على أن الاحاديث الواردة فى بغداد واهية الاسانيد لا تحفظ متونها إلا من تلك الاسانيد الواهية الفاسدة .

وقطربل بفتح القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة والباء الموحدة المشددة ويجوز تخفيفها موضع بالعراق ينسب اليه الخمر وليس له اليوم أثر . وروى النويري في تاريخ بغداد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ اللهم بارك لنا في صاعنا وفى مدنا وفي شـامنا وفى يمننا وفي حجازنا قال فقام اليه رجل فقال يارسول الله وفى عراقنا فأمسك النبي ﷺ فلما كان فى اليوم الثاني قال مثل ذلك فقام اليه الرجل فقال وفى عراقنا فأمسك النبي ﷺ فلما كان فى اليوم الثالث قام اليه الرجل فقال يا رسول الله وفى عراقنا فأمسك النبي ﷺ فولى الرجل وهو يبكي فدعاه النبي ﷺ فقال أمن اهل العراق أنت قال نعم قال ان ابراهيم عليه السلام هم أن يدعو عليهم فأوحى الله تعالى اليه أن لا تفعل فاني جعلت خزائن علمي فيهم واسكنت الرحمة قلوبهم . الحديث . .

وكفى بفضل العراق واهله هـذا الحديث الناطق بأن فيهم خزائن علم الله تعالى وان في قلوبهم الرحـة ، وهو كما اخبر الصادق الامين ﷺ فان علماء العراق قد حازوا العلوم النقلية والعقلية بأنواعها وأصنافها ولم يتركوا علماً إلا وقد تبحروا فيه ولهم التآليف المفيدة في كل فن .

وبالجملة لا يخلو العراق عن العلماء الاعلام فى المنقول والمعقول ولا سيما فى المعقول فانه مخصوص باهل العراق كما لا يخفى على المنصف وغالب المجتهدين العظام من أهل العراق كأبي حنيفة وسفيان الثوري وابن حنبل وابي يوسف

ومحمد وغيرهم . . وعن ابن الكلبي انه قال سميت بغداد بلسان الفرس لأنه اهدي لكسرى عبد خصي من المشرق فأقطعه بغداد وكان لاهل المشرق صنم يعبدونه يسمى بغ فقال العبد المشرقي بغ داد أي عطية الصنم . . والفقهاء يكرهون هذا الاسم من اجل هذا ، وسماها ابو جعفر المنصور مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام .

وعن الاصمعي يقال بغداذ وبغداد ومغدان وبغدان ، وبعض الاعاجم زعم ان معنى بغـــداد بستان رجل فبغ بستان وداد اسم رجل . وانشد ابو سعيد الهداني لنفسه فى مدح بغداد :

فدى لك يا بغـــداد كل قبيلة … من الارض حتى خطتي ودياريا
فقد طفت فى شرق البلاد وغربها … وسيرت رحلي بينهـــا وركابيا
فلم أر فيها مثل بغـــداد منزلا … ولم أر فيها مثل دجـــلة واديا
ولا مثل أهليهـا أرق شمائلا … وأعذب الفاظـاً وأحلى معانيا
وكم قائل لو كان ودك صادقاً … لبغداد لم ترحل فكان جوابيا
يقـيم الرجال الاغنياء بارضهم … وترمي النوى بالمقترين المراميا

وقال طاهر الخازن فى مدحها :

سـقى الله صوب الغاديات محلة … ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجسر
هي البلدة الحسناء خصت بأهلها … باشياء لم يجمعن قد كن في مصر
هواء رقيق فى اعتدال وصحة … وماء له طعم ألذ من الخمر
ودجلتها شطان قـد نظما لنا … بتاج الى تاج وقصر الى قصر
ثراهـا كمسك والمياه كفضة … وحصباؤها مثل اليواقيت والدر

الباب الثاني

في بنائها وبانيها وجسورهـــا

روى النويري في تاريخ بغـــداد عن جرير : ان ابا جعفر المنصور بويع له سنة ست وثلاثين ومائة واستتم البناء سنة ست واربعين ومائة وسماها مدينة السلام . . وقال القرماني فى تاريخه : « وفى سنة تسع واربعين ومائة فرغ من بناء بغداد » ، قال الشيخ ابو بكر « بلغني ان المنصور لما عزم على بنائها أحضر المهندسين فمثل لهم صفتها التي في نفسه ثم احضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم واجرى عليهم الارزاق وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئاً من امر البناء ولم يبتدىء في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل الصناعات ألوف كثيرة ثم اختطها وجعلها مدورة ، ويقال لا يعرف فى اقطار الدنيا مدينة مدورة سواها ووضع اساسها فى وقت اختاره له (نوبخت) المنجم » .

قال الخوارزمي فرغ ابو جعفر من بنائها ونزلها مع جنده وسماهـا مدينة السلام بعد مائة سنة وخمس واربعين سنة واربعة اشهر وثمانية أيام من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوات والسلام .

وحكى ابن عرفة الازدي عن بعض المنجمين : انه قال المنصور لما فرغ من مدينة السلام خذ الطالع فنظر في مطالعها وكان المشتري فى القوس فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا اليها وفقر الناس الى ما فيها ثم قلت له وابشرك يا أمير المؤمنين بأن الله تعالى اكرمك بخلة اخرى من دلائل النجوم انه لا يموت فيها خليفة من الخلفاء ابداً فرأيته تبسم لذلك فقال الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

بناؤها : على ما قاله ابو الفداء اسماعيل الايوبي في تاريخه : أن المنصور كره مسكن الهاشمية التي بناها بنواحي الكوفة فانه كان لا يأمنهم على نفسه فخرج يرتاد له موضعاً يسكنه فاختار موضع بغداد سنة خمس واربعين ومائة . وقال احمد البربري : مدينة ابي جعفر المنصور ثلاثون ومائة جريب خنادقها وسورها ثلاثون جريباً وانفق عليها ثمانية عشر الف الف وبنيت سنة خمس واربعين ومائة .

وروى ابو الفضل عن بدر غلام المعتضد انه قال : أمر أمير المؤمنين ان ينظروا كم مدينة ابي جعفر فنظرنا فوجدنا وحسبنا فاذا هي ميلان مكسران في ميلين . وقال الشيخ ابو بكر : رأيت في بعض الكتب ان ان أبا جعفر المنصور أنفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب والابواب والاسواق الى أن فرغ من بنائها اربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً مبلغها من الفلوس مائة الف فلس وثلاثة وعشرون الف فلس وذلك ان الاستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط الى خمس حبات والروزجاري يعمل بحبتين الى ثلاث حبات . . وفي مبلغ النفقة على المدينة قول آخر بينه وبين هذا القول تفاوت كثير .

وروى الفضل بن مخلد عن ابن رستم انه قال : رأيت في زمن ابي جعفر كبشاً بدرهم وجملا بأربعة دوانيق والتمر ستين رطلا بدرهم والزيت ستة عشر رطلا بدرهم والسمن ثمانية ارطال بدرهم .

وروى ابن سلام المسواق عن ابي نعيم الفضل بن دكين انه قال : كان ينادى على لحم البقر في جبانة كندة تسعين رطلا بدرهم ولحم الغنم ستين رطلا بدرهم وكانت بغداد اذ ذاك في غاية السعة والرخاء والبركة .

وقال ابو النصر المروزي : سمعت احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول

بغداد من الصراة الى باب التبن . وقال الشيخ ابو بكر عن احمد بن حنبل : مدينة المنصور وما لاصقها واتصل ببنائها خاصة لأن أعلى البلد قطيعة أم جعفر دونها الخندق يقطع بينها وبين الماء المتصل بالمدينة وكذلك اسفل البلد من محال الكرخ وما يتصل به يقطع بينه وبين المدينة الصراة وهو حد المدينة وما اتصل بها طولا واما حدها عرضاً فمن شاطيء دجلة الى الموضع المعروف بالكبش والاسد وكل ذلك كان متصل الابنية متلاصق الدور والمساكن والكبش والاسد الآن صحراء مزروعة وهي على مسافة من البلد .

وروى ابو اسحاق البغوي : عن رباح البناء وكان ممن يتولى سور مدينة المنصور قال كان بين كل باب من ابواب المدينة الى الباب الآخر ميلا - كذا - في كل ساف من اسواف البناء مائة الف لبنة واثنتان وستون الف لبنة من اللبن الجعفري فلما بنينا الثلث من السور صيرنا في الساف مائة وخمسين الف لبنة فلما جاوزنا الثلثين صيرنا في الساف مائة واربعين الف لبنة الى أعلاه

وروى محمد بن خلف عن الثورة انه قال : هدمنا من السور الذي يلي باب المحول قطعة فوجدنا فيها لبنة مكتوباً عليها وزنها مائة وسبعة عشر رطلا فوزناها فوجدناها كذلك ، قال محمد بن خلف : وبنى المنصور مدينته وبنى لها اربعة ابواب باب الكوفة وباب البصرة وباب الشام وباب خراسان وجعل كل باب مقابلا الى مصر وبنى على كل باب قبة وبين كل باب ثمانية وعشرون برجاً إلا بين باب البصرة وباب الكوفة فانه يزيد واحداً وجعل الطول من باب خراسان الى باب الكوفة ثمانمائة ذراع ومن باب الشام الى باب البصرة ستمائة ذراع ومن اول باب المدينة الى الباب الذي يشرع الى الرحبة خمسة ابواب حديد .

وذكر وكيع في وجه بناء المنصور مدينته المدورة لها معان لا توجد

في غيرها منها ان المدورة كالدائرة اذا كان الملك في وسطها كان كالمركز لا يزيد هذا الطرف على ذلك الطرف بالنسبة اليه ، قال وكيع وعمل فيها وفصيلين بين كل بابين فصيلان والسور الداخلي اطول من الخارج وامر ايضاً أن لا يبنى في الفصيل الثاني مع السور النازل لأنه أحصن للسور ثم بنى القصر والمسجد الجامع . وكان في صدر قصر المنصور ايوان طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً ، وفى صدر الايوان مجلس عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً وسمكه عشرون ذراعاً وسقفه قبة وعليه مجلس مثله فوق القبة الخضراء وسمكه الى اول حد عقد القبة عشرون ذراعاً فصار من الارض الى رأس القبة الخضراء ترى من اطراف بغداد .

وروى ابو القاسم التنوخي : انه سمع جماعة من شيوخه يذكرون ان القبة الخضراء كان على رأسها صنم على صورة فارس فى يده رمح فكان الخليفة اذا رأى ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوه علم أن بعض الخوارج قد ظهروا من تلك الجهة فلا يطول الوقت حتى ترد الاخبار بأن الخارج الفلاني قد خرج من تلك الجهة وقد سقط رأس القبة في ليلة مطر عظيم رعدها هائل وبرقها شديد وكانت هذه القبة تاج بغداد وهي من آثار بني العباس العظيمة وكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة ، وعرض السور من اسفله عشرون ذراعاً وعلى كل ازج من ازاج الابواب مجلس له درجة على السور يرتقي اليه منها وعلى هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة الى السماء سمكها خمسون ذراعاً مزخرفة على رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح وكان المنصور اذا أحب النظر الى الماء والى من يقبل من ناحية خراسان جلس على هذه القبة العظيمة واذا أحب النظر الى الارياض جلس على باب الشام واذا أحب النظر الى الكرخ ومن أقبل من تلك الناحية جلس على باب البصرة

واذا أحب النظر الى البساتين والضياع جلس على باب الكوفة وعلى كل باب من ابواب المدينة الأوائل والثواني باب حديد عظيم المقدار .

روى محمد بن علي الوراق : ان ابا جعفر المنصور نقل تلك الابواب من واسط وهي ابواب الحجاج التي وضعها في واسط وان الحجاج وجدها على مدينة كان قد بناها سليمان بن داود عليهما السلام بازاء واسط كانت تعرف بزندرود وابتنى المنصور قصره الذي سماه بالخلد على دجلة وتولى ذلك أبان ابن صدقة والربيع ، وامر المنصور أن يعقد الجسر عند باب الشعير .

قال الشيخ ابو بكر : سمي القصر خلداً تشبيهاً له بجنة الخلد لما فيه من كل منظر رائق ومطلب فائق وغرض غريب ومراد عجيب وكان موضعه وراء باب خراسان . وروى ابن عياش التميمي عن جده انه قال : كان على ابواب مدينة بغداد مما يلي الرحاب ستور وحجاب وعلى كل باب قائد فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في الف رجل وعلى باب البصرة ابو الازهر التميمي في الف وعلى باب الكوفة خالد العسكي في الف وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيب نعساني في الف وكان لا يدخل أحد من بنى عم الخليفة ابي جعفر المنصور ولا من غيرهم من الناس من هذه الابواب سوى داود بن علي العباسي عم المنصور فانه كان يدخل متفرساً وكان يحمل في عقبه محمداً المهدي ابنه .

وروى ابو اسحاق التميمي : ان المنصور جلس يوماً في قصر الخلد وكان عنده رومي فقال الرومي يا أمير المؤمنين انك بنيت بناء لم يبنه أحد قبلك ولكن فيه ثلاثة عيوب قال وما هي قال الاول بعده عن الماء والثاني ان العين تشتاق الى الخضرة وليس فى بنائك هذا بستان والثالث رعيتك معك في بنائك ، واذا كانت الرعية مع الملك فى بنائه فشا سره فاجابه الخليفة ابو جعفر المنصور بقوله : أما قولك في الماء فحسبنا من الماء بل شفاهنا واما قولك البستان فانا

لسنا ممن صرف اوقاته فى اللهو واللعب بل الرماح والسيوف لدينا أحب من أغصان الاشجار ، وأما قولك فى افشاء سري فمالي سر دون رعيتي فبهت الرومي

ثم ان المنصور وجه خالداً وشبيباً على أن يحفروا محفراً ويمدا قناتين من دجلة . قال الشيخ ابو بكر مد المنصور قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة وقناة من نهر الكرخ الآخذ من الفرات وجرها الى مدينته فى عقود وثيقة من اسفلها محكمة بالآجر والصاروج من اعلاها وكان كل من القناتين المذكورين يدخل مدينة بغداد وينفذ فى الشوارع والارياض ويجري صيفاً وشتاء لا ينقطع ماؤها فى وقت من الاوقات أبداً .

وذكر الحارث بن ابي اسامة ان المنصور فرغ من بناء الرصافة سنة اربع وخمسين ومائة . وذكر محمد بن موسى المنجم ان المعتصم وابن ابي دماد اختلفا في مدينة ابي جعفر المنصور والرصافة ايهما اعلى قال فأمرني المنصور فوزنتهما فوجدت المدينة أعلى من الرصافة بذراعين ونحو من ثلثي ذراع . قال الشيخ ابو بكر : وربع الرصافة يسمى عسكر المهدي وانما سمي بذلك لأن المهدي عسكر به عند شخوصه الى الري

أقول والرصافة وربعها الذي عسكر به المهدي هي بغداد فى عصرنا هذا وهي الجانب الشرقي من دجلة وأما مدينة بغداد الموصوفة بتلك الاوصاف التي ذكرناها فهي واقعة فى الجانب الغربي من دجلة ولم يبق منها إلا بعض من محلة الكرخ وما يتصل به وقد خربت واندرست آثارها فلم تبق قصورها ولا سورها ولا قنواتها ولا ابوابها وصارت بلاقع والله الباقي .

وكان ابو جعفر المنصور قد جعل المسجد الجامع فى المدينة ملاصقاً قصره المعروف بقصر الذهب وهو الصحن العتيق وبناه باللبن والطين ومساحة القصر اربعمائة ذراع في اربعمائة ذراع ومساحة المسجد الاول مائتا ذراع

في مائتي ذراع ، ولم يزل المسجد الجامع في المدينة على حاله الى وقت هارون الرشـــيد فانه امر بهدمه ونقضه واعادة بنائه بالآجر والجص ففعل ذلك وكتب عليه اسم الرشيد قال ابن الاعرابي ومحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلا وان قبلة الرصافة اصوب منها ، ولم تكن تقام صلاة الجمعة بمدينة السلام إلا في مسجد المدينة والرصافة الى خلافة المعتضد فلما استخلفه المعتضد أمر بعمارة القصر المعروف بالحسني على دجلة وانفق عليـــه مالا عظيما وهو القصر الموسوم بدار الخلافة وأمر ببنـاء مطامير في القصر فرسما له اسسها للصناع فبنيت بناء لم ير مثله وجعلها محابس للاعداء وكان الناس يصلون الجمعة في دار الخلافـة وليس هناك رسم لمسجد وانما يؤذن للناس في دخول الدار وقت الصلاة ويخرجون عند انقضائها فلما استخلف المكتفي ترك القصر وأمر بهدم المطامير وجعل موضعها مسجداً جامعاً في داره يصلي فيه الناس . وكانت جسور بغداد كثيرة .

روى ابن درستويه : ان ابا جعفر لما بنى قصره المعروف بالخلد عقد الجسر عند باب الشعير كما سبق . . وروى أحمد بن الخليل بن مالك عن ابيه قال : كان المنصور قد امر بعقد ثلاثة جسور أحدهـا للنساء ثم عقد لنفسه وحشمه جسرين بباب البستان وكان بالزندرود جسران عقدهما محمد (الامين) وكان قد عقد الرشيد عند باب الشماسية جسرين وكان لابي جعفر جسر عند سويقة قطوطا فلم تزل هذه الجـسور الى أن قتل محمد ثم عطلت وبقي منها ثلاثة الى أيام المأمون . ثم عطل واحد قال ابن شاذان : ادركت ببغـــداد جسور احدهـــا محاذي السوق ، والثاني بباب الطاق والثالث بأعلى البلد محاذي الميدان . وذكر غيره : أن الجسر الذي كان محاذي الميدان نقل الى العرصة بباب الطاق فصار هناك جسران تمضي الناس على أحدهما ويرجعون

على الآخر . وقال هلال بن المحسن : عقد جسر بمشرعة القطانين فمكث مدة ثم تعطل ولم يبق ببغداد بعد ذلك سوى جسر واحد بباب الطاق الى ان حول سنة ثمان واربعين واربعمائة فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي وبين مشرعة الحطابين .

هذا وأما في عصرنا منذ ادركت وزارة المرحوم المشير العلامة الحاج داود باشا البغدادي طاب ثراه الى يومنا هـــذا فليس في بغداد سوى جسر واحد بين مشرعة الروايا ومشرعة الحطابين كما سبق إلا أن مشرعة الحطابين اليوم ادخلت في الكمرك ورأس الجسر من الجانب الشرقي مقابل الجامع المسمى بالآصفية والمسمى بالمولى خانة قبل أن يبنيه المشير العلامة الحاج داود باشا المشار اليـــه جامعاً ورأسه الآخر في الجانب الغربي مقابل المسجد بناه المشير العلامة الحاج داود باشا المشار اليه ايضاً في الجانب الغربي ، وقد بلغني ان المشير الكامل اللوذعي مدحت باشا كان بصدد تحويل الجسر الى موضع آخر وانشاء جسر ثاني خارج البلد وهو من المحسنات .

ونقل بعض المؤرخين عن محمد بن يحيى النديم انه قال : كان عـــدد الحمامات ببغداد في ذلك الوقت ستين الف حمام وقال أقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر يخدم في الحمـــام حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقا فيبلغ ذلك الى ثلاثمائة الف رجل . وذكر انه بازاء كل حمام خمسة مساجد فيكون ذلك ثلثمائة الف مسجد واقل ما يكون في كل مسجد خمسة أنفس فيبلغ ذلك الى الف وخمسمائة الف رجل .

وروى هلال في تناقص الحمامات انها آلت في ايام عضد الدولة الى خمسة آلاف حمام وكسر .

قال الشيخ ابو بكر في تاريخ بغداد : لم يكن لبغداد في الدنيا نظير

في جلالة قدرها وفخامة امرها وكثرة علمائها واعلامها وتميز خواصها وعوامها وعظم اقدارها وسعة اطرازها وكثرة دورها ومنازلهـــا ودروبها وشوارعها ومحالها واسواقها وسككها وازقتها ومساجدها وحماماتها وطرزها وخاناتهـا وطيب هوائها وعذوبة مائها وضرب ظلها وافيائها واعتدال صيفها وشتائهـا صحة ربيعها وخريفها وزيادة عدد سكانها واكثر ما كانت معمورة في أيام هارون الرشيد اذ الدنيا فى ايامه كانت قارة المضاجع دائرة المراضع خصبة المواقع موردة المشارع وكانت أيامه كلها خيراً وكأنها من حسنها عروس .

ثم حدثت فيها الفتن وتتابعت على اهلها المحن فخرب عماراتها وانتقل قطانها ومع ما فيها من كثرة تغيير الاحوال فهي أطيب الامصار واعذب من سائر الديار كأنها كاعب عذراء فى غاية الحسن والبهاء . ومن أعظم المصائب التي حدثت فيها استيلاء التتر عليهـــا وانقراض الدولة العباســـية فى اول سنة ست وخمسين وستمائة فانه قصد هلاكو ملك التتر بغداد وملكها في العشرين من محرم وقتل الخليفة المستعصم بالله . وسبب ذلك ان وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمي كان رافضياً وكان اهل الكرخ ايضاً روافض فجرت فتنة بين السنة والرافضة فأمر ابو بكر بن الخليفة ركن الدين رئيس العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهم الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي وكاتب التتر واطمعه فى ملك بغداد ، وكان عسكر الخليفة يبلغ مائة الف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل متحصل اقطاعاتهم الى التتر فصار عسكر بغداد أقل من عشرين الف فارس ، وارسل ابن العلقمي الى التتر يستدعيه فجاء بعسكر عظيم وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم ركن الدين المذكور ، والتقوا على مرحلتين من بغداد واقتتلوا قتالا شديداً وانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم الى جهـة الشام ونزل هلاكو على

بغداد من الجانب الشرقي ونزل باجو وهو مقدم كبير في الجانب الغربي على القرية قبالة دار الخلافة وخرج الوزير ابن العلقمي الى هلاكو ليوثق منه نفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال ان هلاكو قد يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد أن يزوج ابنته من ابنك ابي بكر وحسن له الزواج الى هلاكو فخرج المستعصم في جمع من اكابر اصحابه فأنزل في خيمة ثم استدعى الوزير الخبيث العلماء والفقهاء والمدرسين والاشراف والاماثل وكان من اجل العلماء محي الدين ابن الجوزي فخرجوا الى التتر ولم تزل تخرج طائفة بعد طائفة فلما تكاملوا قلتهم هلاكو عن آخرهم ثم مدوا الجسر وعبر باجو بعسكره وبذل السيف في بغداد وقتلوا جميع من كان في بغداد إلا من كان صغيراً فانه اخذ اسيراً وهدموا دار الخلافة ودام القتل والنهب في بغداد اربعين يوماً . واما الخليفة فانهم قتلوه ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله فقيل خنق وقيل وضع في عدل ورفسوه بارجلهم حتى مات وقيل غرق في دجلة والله اعلم بحاله .

وكان المستعصم ضعيف الرأي قد غلب عليه امراء دولته لسوء تدبيره تولى الخلافة بعد موت ابيه المستنصر في سنة اربعين وستمائة فكانت مدة خلافته نحو ست عشرة سنة تقريباً . وهو آخر الخلفاء العباسيين وكان ابتداء دولتهم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهي السنة التي بويع فيها السفاح للخلافة وقتل فيها مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية .

وكانت مدة خلافة العباسيين خمسمائة واربعة وعشرين سنة تقريباً ، وعدد الخلفاء العباسيين سبعة وثلاثون خليفة .

وقد اتفق للرشيد على ما قاله الجاحظ ما لم يجتمع لغيره وزراؤه البرامكة وقاضيه ابو يوسف وشاعره ابو نؤاس ومروان بن ابي حفصة ونديمه العباس

ابن محمد بن عم ابيه وزوجته زبيدة المعروفة بالخيرات العظيمة بنت عمه (١) ومغنيه ابراهيم الموصلي وحاجبه الفضل بن الربيع ابهى الناس واعظمهم. والرشيد (٢) من أجل ملوك الارض وقد بلغ رتبة الاجتهاد وله النظر التام فى العلوم والآداب اخذ الحديث عن سفيان الثوري وغيره من الائمة وروى الحديث عنه ابنه المأمون ، وكان يصلي في كل يوم وليلة مائة ركعة ويحج عاماً ويغزو عاماً ، ويتصدق من خالص ماله كل يوم بألف درهم وكان كثير البكاء عند الوعظ وكان كثير المحبة لسفيان الثوري ، وكان سفيان يعظه فيبكي لوعظه وكان يحب العلم ويوقر أهله.

وروى الامام الغزالي رحمه الله تعالى في احياء العلوم وغيره عن ابي معاوية الضرير انه قال : اكلت مع الرشيد يوماً ثم صب على يدي الماء رجل لا اعرفه ثم قال الرشيد اتدري من يصب الماء على يديك قلت لا ، قال انا الرشيد اجلالا للعلم واهله . . واخبار الرشيد يطول شرحها ومحاسنه لا تحصى ، واما ما ينسب اليه من اللهو فهو من دسائس الرفضة ، وكذا ما ينسب الى اكثر العباسيين حاشاهم عن ذلك .

وكان الرشيد ابيض طويلا جميلا مليحاً عبل الجسم قد وخطه الشيب ولد بالري حين كان ابوه اميراً عليها وعلى خراسان فى سنة ثمان واربعين ومائة وامه الخيزران البربرية بويع له بالخلافة بعد موت اخيه موسى الهادي في الليلة التي توفي اخوه فيها وولد له تلك الليلة ولده المأمون وكانت ليلة عجيبة لم ير مثلها في بني العباس ، مات فيها خليفة وولي فيها خليفة وولد فيها

---

(١) وفاتها سنة ٢١٦ هـ ودفنت بجوار قبر موسى الكاظم عند قبر ابنها الامين .

(٢) ولادته ١٤٨ هـ ووفاته ١٩٣ هـ فى طوس بجانب قبر الرضا .

خليفة ، ونقش خاتمة العظمة والقدرة لله عز وجل ، مات في الغزو بطوس من خراسان ودفن فيها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وله خمسة واربعون سنة وصلى عليه ابن صالح وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين ونصف .

وابو جعفر المنصور الذي بنى بغداد اسمه عبد الله السفاح الذي هو اول الخلفاء العباسيين وكان السفاح قد ولى اخاه ابا جعفر المنصور امارة الحج اتاه خبر الخلافة بمكان يعرف بالصافية فقال صفا امرنا ان شاء الله تعالى فلما حج بهم ورجع بهم الى الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة وكان فحل بني العباس وكان طويلا اسمر خفيف اللحية رحب الوجه كأن عينيه لسانان ينطقان وامه سلامة بشير البربرية ، نقش خاتمه اتق الله تزدد فتعلم وكان ذا هيبة وشوكة وعظمة وشجاعة وجبروت كثير الجمع للمال متجنباً عن اللهو واللعب كامل العقل تام الفهم داهية قتل ظلماً كثيراً حتى استقام امره وملكه .

واول من قتل ابا مسلم الخراساني وضرب ابا حنيفة على القضاء فامتنع ابو حنيفة عن تقلد القضاء ثم حبسه فمات بعد أيام ولقب بالدوانيقي لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات وهو ابو الخلفاء العباسيين كلهم واول خليفة قرب المنجمين اليه وعمل باحكام النجوم واول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والعجمية بالعربية كاقليدس .

قال الذهبي في تاريخه وفى سـنة ثلاث واربعين ومائة شرع علماء الاسلام فى هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جرير بمكة ومالك الموطأ بالمدينة والازاعي بالشام وابن ابي عمرويه وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة وصنف ابن اسحاق المغازي وصنف ابو حنيفة الفقه ثم بعد مدة قليلة كثر تدوين الكتب والعلم

ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ ، وكانت الأئمة في هـــذا العصر تتكلم من حفظها .

وفى سنة ثمان واربعين توطأت الممالك كلها للمنصور وعظمت هيبته في نفوس الناس ودانت له الاقطار والبلاد ولم يبق قطر خارج عن ملكه سوى جزيرة الاندلس فقط فانها كانت قد غلب عليها عبدالرحمن بن معاوية الاموي وبقيت في يد اولاده الى ما بعد الاربعمائة .

وسنة ثمان وخمسين ومائة شكا الناس ضيق المسجد الحرام فاشترى المنازل التي حوله واضافها اليه وعمر مسجد الخنيف بمنى ورخم الحجر وهو أول من رخمه . وسبب وفاته انه لمـــا عزم على الحج وكان يريد قتل سفيان الثوري ، ووصل الى بئر ميمون بعث اليه اناساً وقال ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه وكان سفيان جالسا بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياس ورأس فضيل في حجر سفيان بن عيينة فقيل لسفيان الثوري يا ابا عبدالله قم فاختف فتقدم سفيان الى استار الكعبة واخذها بيده ثم قال برئت منه ان دخلها ابو جعفر ورجع الى مكانه فركب ابو جعفر من بئر ميمون فلما كان بينها وبين الحجون سقط من فرسه واندقت عنقه ومات سابع ذي الحجة وقت السحر سنة ثمان وخمسين ومائة ودفن هناك وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً واربعة عشر يوماً .

الباب الثالث

(فى بيان البيوت القديمـة من ذوي العلم والسيف والقلم والتجارة فى بغداد فى عصرنا هذا .

فمن بيوتها ذات المجد الرفيع الذي اقر بفضله جميع اهل العراق ولا فخر

بيتنا السادة الحيدرية وهو اعظم بيت علم في بغداد وكان افتاء الحنفية والشافعية منحصراً في الحيدرية قبل طاعون بغداد . والآن انحصر افتاء الشافعية فقط فيهم وجميع اجازات علماء العراق تنتمي الى الحيدرية بل بعض اجازات اليوم ايضاً تنتمي الى جدنا العلامة أحمد بن حيدر صاحب المحكمات كما وقفت على اجازة المرحوم السيد احمد صدقي افندي قاضي بغداد وغيره وشهرتهم تغني عن بيانهم ويتصل نسبنا ولله الحمد بموسى الكاظم رضي الله تعالى عنه الى سيد الرسل ﷺ ووفاته في بغداد نهار الثلاثاء ٤ ربيع الثاني ١٣٠١ هـ ، وكان جدنا الأعلى الشريف المشهور بأحمد الاعرابي في بادية الحجاز وهو من اكابر اهل المدينة وكانت اجدادنا تأخذ جزية اليهود والنصارى والصبة [الصابئة المندائية] الذين في البصرة ثم تبدلت الجزية بدراهم معينة يأخذهـا عمي السيد عبد الغفور مفتي الشافعية ببغداد من خزينة البصرة ، وكان لنا قرى كثيرة كشهربان وهبهب وشروين قرب بغداد ، وكان لنا ولبني عمي في نواحي شهرزور وحرير مقدار ثلاثين قرية في ايام السلاطين الاولين من الدولة العلية العثمانية من لدن السلطان الغازي قهرمان الزمان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان الى ايام جدي في ايام المرحوم السلطان عبد الحميد خان - الاول - والمرحوم السلطان سليم والمرحوم السلطان مصطفى والمرحوم السلطان محمود ووالدي في أيام بعض السـلاطين المومأ اليهم الى ايام المرحوم السلطان عبد المجيد خان .

وكادت الآن باب المجد ان تفسد وقواعد الفضل ان تهد وكان امر الله قدراً مقدوراً والسلطان حسن الطويل المشهور الذي ملك بغداد وآمد وخراسان هو جدنا من جهة الام ، وقد تفرق بعض اولاد جدنا الشريف احمد الاعرابي الى نواحي ما وراء النهر ثم تولدت منه السلطنة الصفويـة

وتتصل مع الصفوية في الشيخ صدر الدين بن القطب الشيخ صفي ابي الفتح اسحاق . . واول من ترفض من الصفوية اسماعيل شاه الصفوي بالقاء بعض الزندقة اليه انه بواسطة هذا التعصب الشنيع تكون لعساكره وبلاده حمية القتال مع المرحوم السلطان سليم خان - الاول - ويحصل له التفوق والغلبة ، على ما قاله بعض المؤرخين ، فصار ممن خسر الدنيا والدين نعوذ بالله من سوء المنقلب .

وقد روى رواية شهيرة ان الشيخ صفي الدين رأى في المنام ان قد خرج من يده اليمنى نور امتد الى عنان السماء ومن يده اليسرى كلب فلما أفاق قص الرؤيا على أحد المعبرين فأول النور بأنه سيكون له ولد يتناسل منه العلماء الى انقراض الدنيا ، واما الكلب . فانه سيولد له ولد يتناسل منه اناس رفضة خوارج عن جادة الكتاب والسنة ، وقد وقع ذلك لأن الحيدرية من لدن صفي الدين الى يومنا هذا ولله الحمد لم تنقطع العلماء منهم بل ورثوا العلم من أب وجد ولا فخر .

واسأل الله تعالى ان يمد ذلك الى قيام الساعة كما أول ذلك . . والملوك الصفوية ارتدوا على اعقابهم وترفضوا وتركوا مذهب آبائهم اهل السنة والجماعة فنعم الجدود ولكن بئس ما خلفوا .

ومنهم بيت السادة القادرية الكيلانية وشهرتهم تغني عن مدحهم وهم من بيت فضل وسيادة ومشيخة وارشاد وجدهم الغوث عبد القادر الكيلاني [ولادته ٤٧٠ هـ ووفاته ٥٦١ هـ] انفعنا الله تعالى بعلومه . . وبركاته ومناقبه لا تحصي وقد نشأ فيهم علماء اعلام منهم العلامة اللوذعي السيد عبدالرحمن النقيب فانه اخذ العلم عن جدنا أفضل المتأخرين العلامة الفهامة المحقق السيد صبغة الله الحيدري . . وكذا عمه الفاضل الهمام السيد علي النقيب

اخذ العلم عن جدنا المشار اليه . . ونقباء بغداد من اهل هذا البيت المرفوعة قواعده الى كيت وكيت ، ولكن كانت النقابة منحصرة ومشروطة فى اولاد السيد عبد الرزاق بن القطب الگيلاني الى ايام علي باشا ثم انقرضوا ولم يبق منهم إلا بعض الفقراء فانتقلت الى بعض الفقراء فانتقلت الى بعض اولاد الشيخ عبد العزيز بن القطب الگيلاني .

ومنهم بيت المجد بيت آل شاوي العبيدي الحميري وهو بيت فضل وعلم وشجاعة وكرم ورئاسة ونجابة وأدب وحسب ونسب وكانت لهم الكلمة النافذة فى جميع قبائل العراق ورياسة العرب لدى وزراء بغداد ، كالنعمان بن المنذر عند كسري وقد حازوا العلم والسيف والقلم والشجاعة والرياسة وسائر المفاخر وكان يعيش في كنفهم خلق كثير من كل صنف ولهم الصولة القاهرة بين القبائل وجدهم الاعلى شاوي بك من آل شاهر شيوخ قبيلة العبيد ، وكان لشاوي بيك ولد يسمى عبدالله بيك وهو احنف وقته وكانت له الرياسة الكبرى والصولة العظمى وله من الخيرات والكرم ما لا تحصيه الاقلام ، وقد ولد له اثنا عشر ولداً كل منهم أمير عالم فاضل كريم شجاع شاعر أديب وكانوا ملجأ الخواص والعوام في بغداد وصدقاتهم وعطاياهم للعلماء والشعراء والفقراء كعطايا البرامكة وهم اهل الحل والعقد واليهم تنتهي الأمور ، وأجلهم قدراً واعظمهم فخراً العلامة النحرير والاسد الغضنفر الكريم الشهير الامير بن الامير الحاج سليمان بيك الشاوي الحميري خال والدي طاب ثراهما وكان شاعره محمد كاظم الازري البغدادي وقد مدحه بقصائد كثيرة جمعت ديواناً كبيراً وله وقايع عظيمة فى الكرم والشجاعة وكانت عشيرة العبيد حينئذ تبلغ خمسة عشر الف فارس وهم جميعهم وسائر القبائل الزبيدية كالجبور والدليم والعزة وعزيز وغيرهم في طاعته وامره فهو نعمان عصره وقد غار مع قومه على

تيمر(١) باشا الملي من العراق الى نواحي اورفا ودمره وفرق جمعه واخذ امواله وقد كاد أن تنطفي نار هذا البيت وبقي منهم رجال في بغداد وفي البادية بين عشيرة العبيد . ومن اولاده عبد العزيز بيك الذي ولد له ولد سماه باسم سعود . .

وأجل من بقي منهم الفاضل الاديب والكامل الفطن اللوذعي النجيب احمد بيك نجل عبد الحميد بيك نجل احمد بيك نجل الامير العلامة الحاج سليمان بيك آل شاوي العبيدي الحميري المشار اليه ولهذا الفتى النجيب نظم ونثر رائق ونقد بالشعر الجيد وله آثار حسنة في الآداب . . هذا وقد نظم المرحوم الحاج سليمان بك المشار اليه القطر في النحو لابن هشام وشرح لامية العرب شرحاً لطيفاً . ومن اخوته احنف وقته علماً وعقلا ورأياً وتدبيراً محمد بيك بن عبدالله بيك الشاوي وكذا اخوه الفاضل عبد العزيز بيك رحمهم الله تعالى وتفصيل مآثر رجال هذا البيت لا يسعه المقام .

ومنهم بيت عبدالله بيك الربيعي وهو بيت مجد اركانه مرفوعة ، لهم التقدم التام والقبول العام وبقي منهم بعض النجباء .

ومنهم بيت كوسه دفتردار وهو بيت سيادة وفضل ومجد وسيف وقلم من البيوت المشيدة الاركان لهم الخيرات الوافية والمبرات الكافية وهم من اهالي اسلامبول .

ومنهم بيت القلعبند وهو بيت علم وفضل من البيوت القديمة وكان فيهم رجال اكابر وقد سدت باب بيتهم فلم يبق منهم إلا رجل صالح من طلبة العلم وهو في غاية الحاجة اسمه عبدالغني فسبحان الذي لا يفنى عزه وقد اخذ الفاضل

---

(١) تيمر أو تيمور والعرب تقول تمر باشا استئناساً بالمألوف من الاسماء أو تحقيراً له (الاب انستاس ماري الكرملي) .

القلمبنند العلم عن جدنا العلامة السيد صبغة الله الحيدري .

ومنهم بيت سميكة بالتصغير وهو بيت علم وتقوى وصلاح وخيرات وتجارة وكان منهم العالم الفاضل الكامل العامل الورع الزاهد الحاج سميكة مفتي الحنبلية ببغداد واخذ العلم عن جدنا العلامة السيد حيدر الحيدري مفتي الحنفية ببغداد وعن جدنا الولي العلامة السيد عبدالله الحيدر وكان تاجراً عظيما يزكي كل سنة من ماله مقداراً يفي بأكثر اهل العلم وغيرهم وكان ينفق على أهل القلم من الملبوس والمأكول ما يطول شرحه وما رد سائلا مدة عمره وكان اذا دخل الجامع في يوم الجمعة حمل بيده اناءاً مملوءاً من دهن الورد ورشه على الجماعة بمنديل ليفوح الجامع طيباً على ما حدثني والدي وكان يدرس في مدرسة مرجان من طلوع الشمس الى صلاة الظهر كل فن ويدرس كتب المذاهب الاربعة رضي الله تعالى عنهم ويقصده طلبة الحنابلة من نواحي نجد لرواية مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه فاذا صلى الظهر ذهب الى الخان للتجارة الى صلاة العصر وله من المناقب الجليلة ما يحتمل مجلداً رحمه الله تعالى وقد خمدت نارهم ولم يبق منهم الآن أحد وعلى الدنيا السلام .

وآخر من ادركت منهم الكامل الفقيه الأديب النجيب درويش نجل العالم التقي أو يس عصره الحاج ابراهيم سميكة شقيق الحاج موسى المشار اليه (وفاته سنة ١٢٣١ هـ) وقد انزوى الحاج ابراهيم المذكور في بيته اربعين سنة فلم يخرج منه الى ان خرجت جنازته رحمه الله تعالى .

ومن البيوت القديمة بيت الحاج اسماعيل المفتي وهو بيت علم وفضل ومجد وقبول بين الناس ويااله من بيت كانت قواعده مرفوعة واركانه مشيدة ممنوعة وهو بيت الافتاء ولبيتنا معهم قرابة من جهة النساء ولم يبق منهم الآن أحد وصارت ديارهم بلاقع وعلى الدنيا السلام وهم من اهالي سر من رأى .

ومنهم بيت العلامة الشريف أحمد المفتي الطبقجلي (١) وهو بيت علم وسيادة وفضل وقد اخذ الطبقجلي المذكور العلم عن جدنا العلامة الشريف السيد صبغة الله الحيدري وكان من اجل تلاميذه ولم يبق منهم أحد.

ومنهم بيت الفاضل محمد سعيد المفتى (٢) المشهور ببيت مفتي الحلة وهو بيت علم وفضل وسيادة وقد اخذ محمد سعيد المفتي المذكور العلم عن جدي العلامة السيد الشريف أسعد المفتي ببغداد الحيدري وبقي منهم بعض الطلبة وهم بنو عم الطبقجلي من أهالي حديثة من نواحي عانة.

ومنهم بيت الفاضل العلامة عبدالله بن مرتضى المفتي وهو بيت علم وفضل وقد اخذ العلم عن جدنا العلامة النحرير السيد صبغة الله الحيدري وكان لعبد الله المفتي المذكور ولد فقيه يسمى عبد الفتاح الفقيه وكان افقه اهل عصره ويدعى بأبي يوسف الثاني وله اخ يسمى الحاج احمد نائب بغداد وآخر من ادركت من رجال هذا البيت الكامل الفقيه درويش النائب ببغداد نجل أحمد النائب ولم يبق منهم احد سوى بعض العصبة من اهل الكسب وهم من اهالي بهرز من قرى بغداد.

ومنهم بيت الرحبي وهو بيت علم وقد نشأ فيهم رجال اجلهم الشيخ

---

(١) ولد سنة ١١٥٠ هـ وينتهي نسبه الى ابن عم السيد احمد الرفاعي وتوفي سنة ١٢١٣ هـ ودفن في مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني.

(٢) هو السيد محمد اسعد افندي بن السيد محمد امين كما جاء ثبت اسمه في كتاب المسك الاذفر وهو الاخ الصغير لمحمد سعيد افندي مفتي الحنفية في بغداد وتوفي بالحلة في ٢٠ رمضان ١٢٧١ هـ يوم الاسهال ودفن بمقبرة قرب الوردية خارج بلدة الحلة وقيل انها ليست قرب الوردية بل هي الباب المعروف بباب الحيف (الشيخ ياسين آل باش اعيان).

عبد العزيز الرحبي شارح كتاب الخراج لابي يوسف ولم يبق منهم إلا بعض العامة وهم من اهالي الرحبة .

ومنهم بيت الخطيب وهو بيت فضل وسيادة وهم خطباء الجامع الاعظمي وآخر من ادركت منهم الكامل الداهية السيد احمد الخطيب ولم يبق منهم إلا بعض العامة وهم من اهالي سر من رأى .

واما بيت جميل فهم بيت علم وفضل وآخر من ادركت من هذا البيت عبدالغني واخوته عبد الجليل وعبد الحميد وعبد المحسن . وأما عبدالغني فقد قرأ على جدي الفاضل محمد أسعد مفتي الحنفية الحيدري على ما حدثني بذلك والدي طاب ثراه ثم تقلد عنه عبدالغني إفتاء بغداد في ايام علي رضا باشا فهيج اهالي بغداد على الوزير المشار اليه وبعد مدة اصطلح معه الوزير المذكور .

ومن البيوت القديمة بيت الشيخ ياسين المفتي وهو بيت علم وفضل ولم يبق منهم أحد .

ومنهم بيت رفه وهو بيت فضل وسيادة وتجارة وبقي منهم بعض التجار

ومنهم بيت السويدي وهو بيت علم الحديث والفضل وقد نشأ فيهم رجال اجلهم الشيخ عبد الرحمن السويدي محشي تحفة ابن حجر ولم يبق منهم إلا بعض المكتسبة . .

ومنهم بيت الراوي وهو بيت فضل وتجارة ولم يبق منهم إلا بعض المكتسبة ونشأ فيهم علماء وهم من اهل راوة من نواحي عانة .

ومنهم بيت الشواف وهو بيت فضل وأدب وقد نشأ فيهم رجال كالفاضل اللوذعي الشيخ عبدالعزيز الشواف رحمه الله فانه كان الآية الكبرى في الفهم والذكاء . وآخر من ادركت منهم اخوه الفاضل الاديب عبدالرزاق الشواف رحمه الله تعالى وخلف الشيخ عبدالرزاق نجله الكامل

الاديب طه افندي وفقه الله تعالى وقد اخذ الشيخ عبدالعزيز العلم عن عدة علماء اعلام فأخذ عن جدي العلامة السيد اسعد المفتي ببغداد الحيدري وكمل على الفاضل صبغة الله الزيادي وهم من اهالي الدير أي دير الزور .

ومنهم بيت العلامة بكتاش افندي وقد اخذ العلم عن جدنا السيد صبغة الله الحيدري وهو من أجل تلاميذه وكانت له الفكرة الثاقبة ولم يبق منهم أحد .

ومنهم بيت مدلج وهو بيت فضل وتقوى ولم يبق منهم إلا بعض ذوي الأرحام . . .

ومنهم بيت شطي وهو بيت علم وتقوى وتجارة من البيوت القديمة في بغداد ولم يبق منهم إلا بعض السكان في الشام .

ومنهم بيت احمد النائب وهو بيت فضل ولم يبق منهم أحد .

ومنهم بيت العلامة الفهامة النحرير أفضل المتأخرين الشيخ عبدالرحمن الروزبهاني طاب ثراه فانه كان شيخ العلماء في عصره واخذ عنه كثير من العلماء الفحول لا يحصى عـــددهم من جملتهم عمنا العلامة السيد عبدالله المفتي الحيدري ومنهم علامة الدنيا سند المدققين الخطي وشيخنا العلامة الزاهد العابد احمد الكلالي وشيخنا العلامة الزاهد ابراهيم الرمكي وغيرهم من الفحول وقد ادركته واستفدت منه كثيراً من المنقول والمعقول وكان جليل القدر عند الناس مهاباً ذا حيثية - أي منزلة وقدر - عظيمة اخذ العلم عن العلامة صبغة الله الزيادي عن عمنا العلامة الولي السيد صالح الحيدري وكان في زاوية حضرة مولانا وشيخنا المجـــدد قطب العارفين بالله مولانا الشيخ خالد النقشبندي قدس سره وكان هو وحضرة مولانا خالد كأنهما اخوان ولهما صحبة عجيبة من زمن تحصيل العلم الى اكمالها ولنا مع هذا قرابة نساء وحق هـذا البيت

التقدم على البيوت السابقة إلا ان القلم زل بتأخيره في الذكر وقد خلف نجله الكامل اللوذعي الصالح حبيبي احمد افندي طال عمره وهم من اولاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ومنهم بيت الحاج اسعد افندي وهو بيت علم وفضل وكان للحاج اسعد افندي المشار اليه شأن عظيم ورياسة كبرى في زمن العلامة الحاج داود باشا والى بغداد وقد اخذ العلم من جدي العلامة النحرير السيد اسعد افندي المفتي الحيدري وعن العلامة الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني المشار اليه واخذ جدهم الفاضل الصالح عيسى العلم عن جدنا العلامة الفهامة السيد صبغة الله الحيدري وهذا البيت ايضاً من حقه التقديم . ومنهم الآن الكامل اللوذعي حبيبي احمد افندي واخوه العالم الفاضل العامل الورع حبيبي واخي منذ نشأت ونشأ مصطفى افندي وهم من اولاد ابان بن عثمان بن عفان (١) .

ومنهم بيت فرهاد وهو بيت تجارة وخيرات ومبرات كثيرة وهم من اولاد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من هذا البيت الرفيع العماد المرحوم الحاج سليمان صاحب الخيرات والطاعات فانه بنى جامعاً في بلدة كركوك ومدرسة جعل فيها كتباً كثيرة نفيسة موقوفة ووقف عدة املاك على الجامع والمدرسة لنفقة طلبة العلم وخدمة الجامع واصلهم من كركوك والاصل الاول من عبدلان في نواحي الاكراد .

ومن البيوت الرفيعة العماد بيت اللوذعي عبد الباقى العمري وهو بيت فضل وأدب وقد نشأ منهم شعراء وادباء واجل من ادركت منهم وصحبته ولازمت مجالسته اللوذعي المبتكر عبد الباقي المشار اليه وابن اخته الفاضل اللوذعي الاديب محمد امين العمري كاتب العربية وهذا البيت في الاصل

---

(١) في هامش بعض النسخ اشارة الى اشتهار هذا البيت باسم (نائب زاده) .

من الموصل (١) .

ومن البيوت القديمة بيت عبد الرحمن افندي الاعظمي المشهور ببيت الجلبية وهو بيت مجد ونشأ فيهم عبد الرحمن المشار اليه وكان داهية ولنا معهم قرابة نساء وبقى منهم بعض الناس وهم من القصبة الاعظمية .

وممن نشأ فى هذا البيت الشيخ الحاج عبد الرزاق افندي وكان عليه الرحمة تقياً عازماً للفقه والحديث

ومن البيوت القديمة الرفيعة العماد بيت الامام عبدالله الاعظمي وهو بيت فضل ومجد ولنا أيضاً معهم قرابة نساء وبقى منهم بعض الناس وهم من القصبة الاعظمية .

ومنها بيت جرجيس فى الجانب الغربي وهو بيت علم وتجارة وبقي منهم العالم الكامل الشيخ داود النقشبندي وهم من اهل عانة .

ومنها بيت الآلوسي وقد نشأ فيهم الفاضل محمود الآلوسي [وفاته سنة ١٢٧٠ هـ] وله آثار لطيفة في العلوم منها تفسير روح المعاني وهو فى الاصل من آلوس قرية قرب عانة وقد تقلد الافتاء .

ومنها بيت شيخي وسيدي ولي الله بلا نزاع المرشد الكامل الشريف مولانا السيد عبد الغفور المشاهدي النقشبندي قدس سره خليفة حضرة مولانا خالد قدس سره .

ومنها بيت سيد محمود الارفلي وهو بيت سيادة وتجارة وبقى منهم بعض الناس وبعض ذوي الارحام من الاولاد الباچه چي .

ومن البيوت القديمة الرفيعة بيت أسماعيل كهية وهو من البيوت المشيدة

---

(١) وفاته في رجب ١٢٧٨ هـ وهو شاعر مجيد له ديوان مطبوع واشهر قصائده تخميسه الهمزية ، كيف ترقى الخ . . .

الاركان ومن اكابر الاعيان من ذوي السيف وكان لهم الجاه والثروة التامة

ومن البيوت القديمة الرفيعة بيت محمود كهية المشهور بأبي خنجر ولم يبق منهم أحد .

ومن البيوت القديمة الرفيعة بيت خليل افندي الدفتري وهو بيت عز وكان الافندي المشار اليه من اكابر الرجال الذي لم تزل رجال بغداد تجتمع في مجلسه وبقي منهم نجله الاديب ابراهيم حلمي افندي وهو على سيرة ابيـــه ومن يشابه ابيه فما ظلم .

ومن البيوت القديمة الرفيعة بيت علوش افندي المعروف وهو بيت مجد وعز وكان الافندي المشار اليه من الرجال الثقات من ذوي الهمم العالية وهم من عشيرة القراغول .

ومن البيوت الرفيعة الاركان بيت درويش اغا القائمقام فى بغداد وهو بيت مجد وعز ورياسة ولهم القول بين الناس واجلهم درويش اغا المشار اليه فانه كان ثقة عدلا ذا مروءة ورأي وعقل سديد وكان حافظ القرآن وكان مستشاراً للوزراء في الامور وبقي منهم بعض اولاده النجباء .

ومن البيوت القديمة الرفيعة المشيدة الاركان بيت نعمان أفندي القائمقام فى بغداد وهو بيت مجد وعز وكانت للافندي المشار اليـــه الصولة القاهرة فى بغداد حتى انه قد اشتهر فى لسان اهل بغداد من لم يؤدبه الزمان يؤدبه نعمان ولم يبق منهم أحد .

ومن البيوت الرفيعة العماد المشيدة الاركان بيت بكر كهية وهو بيت مجد وعز وخير وقد ولي اخوه عمر باشا وزارة بغداد خمس عشرة سنة وآخر من ادركت منهم الاديب خليل بك وكان فارابي عصره فى علم الموسيقى ولم يبق منهم إلا بعض النساء .

ومنها بيت العالم العامل أحمد افندي الزندي ونشأ فيهم العالم المشار اليه وكان من العلماء العاملين المشهورين بالصلاح والانزواء عن الناس وقد اخذ العلم عن جدي العلامة السيد اسعد المفتي الحيدري .

وخلف نجله العالم العفيف محمد امين افندي وقد ولي هـذا الافندي نيابة بغداد وافتاءها ثم بعد حين جلب الى دار الخلافة اسلامبول وانعمت عليه الدولة العلية رتبة قضاء مكة المشرفة .

واما الفاضل محمد الزهاوي مفتي الحنفية ببغداد فهو من بلدة السليمانية اتى بغداد وسكن بها . وكانت وفاته سنة ١٣٠٨ هـ .

ومن البيوت القديمة الرفيعة العماد بيت الحاج صالح اغا رئيس الكتاب وهو بيت مجد وعز وخير وبقي منهم البعض .

ومن البيوت القديمة الرفيعة العماد المشيدة الاركان بيت عبد الجليل بك وهو بيت مجد وعز ودولة وخير ومن اعظم بيوت بغداد بل لا يحاذيهم أحد في اطعام الطعام . وكان من اكابر المنتفك وغيرهم اذا وردوا بغداد لا ينزلون إلا عندهم ويقيمون شهوراً واعواماً ، وكان جدهم يوسف پاشـا امير الحاج التوجه من جهـة وهو بيت عظيم القدر جليل الشأن ورثوا الجاه والنجابة كابراً عن كابر وبقي منهم البعض ولنا معهم قرابة نساء من ذوى الارحام .

ومن البيوت الرفيعة بيت الحاج عبدالله اغا قائمقام البصرة سابقاً (١) وكان الاغا المومى اليه من الرجال الثقات الكاملين الاخيار وقد بنى جامعاً عظيما في البصرة وفي بندر ابي شهر .

ومنها بيت عبدالرحمن افندي الارفلي المشهور بينگيچرى افندى وهو بيت عز وكانت للافندى المشار اليه الرياسـة على الينگيچرية في السابق ثم

(١) وفاته في سنة ١٢٢١ هـ وهو متسلم البصرة وليس قائمقاماً .

تقلد منصب الدفترية وكان كاملا وله عدة اولاد . .

ومن البيوت الرفيعة الاركان بيت صارى كهية وهو بيت مجــد قديم ونشأ فيهم رجال كرام ولم يبق منهم احد .

ومن البيوت الرفيعة القديمة بيت حسن بك متولي جامع العدلية وهو بيت مجد وخير وهم من اولاد صالح باشا والي كركوك ولم يبق منهم احد .

ومنها بيت الجرچفچي وهو من بيوت العز ولهم قرابة نساء مع بيت متولي العادلية وبتلك القرابة نالوا تولية الجامع المذكور بعد انقراض بيت حسن بك وبقي من هذا البيت بعضهم .

ومنها بيت طوبق وهو بيت عز وتجاره وجاه ولم يبق منهم أحد .

ومنها بيت نظمي زادة وهو من البيوت القديمة الرفيعة وكانوا اصحاب قلم

ومنها بيت الروزنامه چي وهو بيت عز قديم .

ومنها بيت احمد افندى الموف وهو بيت عز وصلاح وخير وكان الافندى المشار اليه صاحب خيرات وقد بنى جامعاً ومدرسة في بغداد وجعل لها كتباً واوقافا ولم يبق منهم إلا بعض النساء .

ومنها بيت السيد رحمة الله اغا الجيبه چي وهو من البيوت القديمة الرفيعة بيت المجد والعز والسيادة والجاه ولم يبق منهم احد ودارهم صارت لصالح بيك نجل المرحوم سليمان باشا والي بغداد ثم صارت للقنصل الانكليزى (١) .

ومنها بيت عمر اغا الجيبه چي وهو من البيوت القديمة وبقي منهم البعض

ومنها بيت الغرابي وهو بيت فضل قديم ولم يبق منهم إلا بعض الناس

ومنها بيت القشطيني وهو بيت عز ولم يبق منهم احد .

---

(١) شق الشارع هذه البناية فقسم منها الآن دائرة البرق المركزية والآخر دائرة الكمارك .

ومنها بيت مينه وهو بيت عز وتجارة ولم يبق منهم احد .

ومنها بيت عرموش وهو بيت عز وتجارة ولم يبق منهم إلا بعض الناس(١)

ومنها بيت ورنكر وهو بيت عز ودولة وجاه وهو من بيوت المجد القديمة ولما ورد المرحوم السلطان مراد خان بغداد دعوه الى محلهم واجابهم ففرشوا تحت حوافر الخيل من محل السلطان الى محلهم ديباجاً وبقيت القبة التي جلس السلطان فيها مسدودة الى ايام الحاج امين التوكه چي ولم يبق منهم أحد . .

ومنها بيت التوكه چي وهو بيت عز وتجارة وخير ولم يبق منهم إلا بعض النساء .

ومنها بيت الباچه چي وهو بيت عز وتجارة وخيرات ومبرات ودولة وتجارة عظيمة وقد نشأ فيهم الحاج نعمان چلبي ونال من المال ما لم ينله أحد من التجار وكان ذا جاه عظيم وصاحب خيرات كثيرة وكان يطعم جميع فقراء بغداد وغيرهم من الواردين الى بغداد سنة القحط والغلاء وبنى جامعاً وكذا بنى اخوه الحاج أمين جامعاً في بغداد ثم قام مقام الحاج نعمان المذكور الحاج سليم چلبي ابن اخيه وفى حق مقامه وبقي منهم رجال من ذوي التجارة واجلهم فى عصرنا هذا عبدالرحمن چلبي نجل المرحوم الحاج سليم چلبي وهو من اهل الدراية والفهم والصدق والوفاء وهم فى الأصل من اكابر اهل الموصل من السباهية والباچه چيون اخوالهم نسبوا اليهم ولهم سابقة التوطن في بغداد . . .

ومنها بيت الملا عبد الرزاق الحافظ البرزلي وهو بيت تجارة وعز وخير وصلاح وكان الملا المشار اليه من اكابر الناس ومن التجار الصالحين ذا طاعة

---

(١) يطلق على هذا البيت في ايامنا (بيت الملا حمادى) .

وعبادة كثيرة ملازم الجماعات كثير الخيرات وجيهاً عزيزاً بين الناس وبقي منهم بعض التجار .

ومنها بيت دله وهو بيت تجارة وعز وخير نشأ فيهم بعض العلماء كمحمد سعيد دله فانه اخذ العلم عن جدنا العلامة السيد صبغة الله الحيدرى .

ومنها بيت الحاج سعيد البقال وهو بيت تجارة ولهم قرابة نساء مع بيت دله وبقي منهم بعض الاخيار .

ومنها بيت الأدهم وهو بيت سيادة وتقوى وفضل ويتصل نسبنا مع نسبهم فى السيد ابراهيم الملقب بالادهم وهذا البيت من اعظم بيوت الشرف والسيادة ونشأ فيهم السيد عبد الله الادهم وكان مظنة الولاية وافضلهم فى عصرنا هذا السيد عبدالرحمن الادهم وهو من العلماء العاملين .

ومنها بيت سند وهو بيت تجارة وخير ولم يبق منهم احد .

ومنها بيت الوتري وهو بيت صلاح وبقي منهم بعض الناس ونشأ في هذا البيت القديم الرجل الصالح والعالم الفاضل السيد يحي افندى وتقلد التدريس فى جامع الاحمدية في بغداد .

ومنها بيت الامام وهو بيت خير وتجارة وبقي منهم البعض .

ومنها بيت عطاء وهو بيت تجارة وخير وبقي منهم البعض .

ومنها بيت هاشم وهو بيت تجارة وخير وبقي منهم البعض من سكن الشام هذا ما ذكرناه من معاشرنا اهل السنة والجماعة من بعض المشاهير واما الشيعة فكان اعظم بيوتهم من ذوي التجارة العظيمة .

بيت المزرقجي ولم يبق منهم إلا بعض الفقراء .

ومنها بيت كبة وهو بيت عظيم فى التجارة ونشأ فيهم الحاج صالح كبة وهو رجل ثقة له حصة من العلم وصاحب خيرات وافية وبقي منهم عدة تجار

واصلهم من قرية بهرز من نواحي بغداد من اهل السنة والجماعة ثم تشيعوا

ومنها بيت سيد عيسى وهو بيت تجارة وافية ونشأ فيهم السيد محمد علي وكان صاحب اخلاق حميدة ووفاء وبقي عدة تجار وهو من البيوت القديمة العزيزة . .

ومنها بيت شالچي موسى وهو بيت تجارة وأدب واصلهم من عشيرة المهندية من اهل السنة ثم تشيعوا وبقي منهم بعض التجار .

ومنها بيت القيمچي وهو بيت تجارة وعز وبقي منهم البعض

ومنها بيت المراياتي وهو بيت تجارة وأدب وبقي منهم البعض .

ومنها بيت الخاصكي وهو بيت تجارة وعز وهو من أولاد ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم تشيعوا ولم يبق منهم إلا بعض الناس .

ومنها بيت الطالقاني وهو بيت عز وتجارة وبقي منهم البعض .

ومنها بيت الاعرجي وهو بيت تجارة وعز وبقي منهم البعض .

ومنها بيت جلال وهو بيت تجارة وبقي منهم البعض .

ومنها بيت المعملچي وهو بيت تجارة واصلهم من الروم وردوا الى بغداد مع المرحوم السلطان مراد ثم تشيعوا وبقي منهم البعض .

ومنها بيت سيد يحيى وهو بيت متجر وبقي منهم البعض

ومنها بيت القصابچي وبيت هلال وبيت الدامرچي وهي بيوت تجارة بقي منهم البعض .

واما النصارى فمن بيوتها القديمة من ذوي التجارة والترجمانية بيت ميناس من الارمن .

ومنهم بيت كزبرخان وهو بيت تجارة وافية وبقي منهم البعض .

ومنها بيت يوسف جبره من الكاثوليك وهو بيت تجارة قديمة وقد

سبق لاجدادهم خدمة صادقة لاجدادنا من قديم الزمان وقد عاشوا في دولة وصيانـــة ولم يبق منهم الا بعض النساء والاولاد من ذوي الحاجـــة ومن الكاثوليك بيت الذرية وكان ابوهم مقتر الحال .

ومنهم بيت جبره اصفر وهو بيت تجارة وبقي منهم بعض التجار [وهو بيت جبوري اصفر ومحلهم فى البصرة محل كبير مشتهر بالتجـارة ورئيسه الآن البير اصفر] .

ومنهم بيت الياس عيسى وكان بيت تجارة وبقي منهم البعض .

ومنهم بيت اسكندر من الارمن وهو بيت تجارة وافية وبقي منهم البعض ومن الارمن كاثوليك بيت حنا باش وهو بيت تجارة وبقي منهم البعض وغير ذلك من البيوت .

واما اليهود فمن بيوتها القديمة من ذوي التجارة والرياســة على يهود بغداد عزره صراف باشي وبقي منهم البعض .

ومنهم بيت بوضه وهو بيت تجارة وبقي منهم البعض .

ومنهم بيت السوميخ وهو بيت تجارة وافية وبقي منهم البعض من التجار

ومنهم بيت ساسون وهو بيت تجارة وافيـة ومسامحة مع العالمين وبقي منهم بعض التجار .

ومنهم بيت ابي قبلاغ وكانوا بيت تجارة وبقي منهم البعض من اهل الحـــاجة .

ومنهم بيت بحر وهم اهل تجارة وافية وبقي منهم البعض .

ومنهم بيت الگرجي وهو بيت تجارة وبقي منهم البعض وغير ذلك .

وقد اقتصرنا على البعض من كل ملة خوف الاطناب والملال .

الباب الرابع

في بيان عشائرهـــا الجسيمة

فمن أجل عشائرها عشيرة المنتفك ـ وهي ذات كثرة وتتفرع الى عدة قبائل . فمن قبائلها : بنو مالك ، والاجود ، وبنو سعيد ، وبنو ركاب ، والخفاجة ، والطوينات ، والشويلات ، والطوكبه ، والبدور ، والشريفات ، والجميات ، والماجد وآل صالح ، والزهيرية ، وشمر الزوابع ، وشمر العبيدات وبنو سكين ، وبنو تميم ، والسليمات ، والعيايشة ، والبراجعة ، والغزيوي ، والعوينات ، والفضيلة ، وبنو نهد ، وعبوده ، والمجارعة ، وخرسان ، وامارة وربيعة ، وكويش ، وسراج ، وآل دراج . وغير ذلك من القبيلة الكثيرة التي يطول بيانها . وكذا في جهة الغراف قبائل كثيرة للمنتفك يطول بيانهـا . وانما اقتصرنا على بعضها ليعرف عظم عشائر المنتفك واكابرهم آل شبيب واكابر آل شبيب آل سعدون وهم شيوخ المنتفك في عصرنا .

(وذكر صاحب نهاية الارب) ان امراء المنتفك من بني معروف ولم يذكر نسب بني معروف وأنا لم اقف عليه وهم ليسوا من الاشراف وجدهم الذي ورد الى نواحي البصرة يسمى مهنا ولما نزل في جوار عشيرة بني مالك من عشائر المنتفق ووقع النزاع بين بني مالك والاجود في اداء رسوم الحكومة ارسل بنو مالك مهنا المذكور الى الاجود لرفع النزاع بينهما واداء الرسومات الراجعة الى الحكومة فلما وصل مهنا الى الاجود قتلوه وثارت الفتنة بينهما وغلب بنو مالك على الاجود وقتلوا كثيراً منهم ثم صار الصلح بينهم وشرط بنو مالك في قبول الصلح أن يقبلوا رياسة شبيب بن مهنا المذكور على الاجود وعلى جميع عشائر المنتفق فقبلوا ذلك وجعلوا شبيباً شيخاً عليهم .

وكان شبيب في بيت ابن خصيفة شيخ بني مالك فانه ما ان قتل ابوه مهنا ذهبت به امه الى ابن خصيفة وادي حق الشيمة العربية بأخذ ثار أبيه وجعله شيخاً على جميع قبائل المنتفق وجميع قبائلهم بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية وهم بنو المتيفق بن عامر بن ربيعة بن كعب بن عامر بن صعصعة ويقال المنيفق منتفق .

(وبيت السعدون) من اجل العرب في نواحي بغداد وقد نشأ فيهم شيوخ اكابر كثامر وحمود وغيرهم . وشيوخهم من اهل السنة والجماعة على مذهب الامام مالك رضي الله عنه وقبائلهم رفضة .

(ومن اجل عشائر العراق عشيرة اخوالنا العبيد) وهم من حمير سلالة من تبع وهم بنو عبيد بن عدي بن رخباب بن قضاعة قبيلة من حمير بن القحطانية وقضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ويحتج له بما رواه ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الجهني قال قلت يا رسول الله قال ممن يمت قال من قضاعة بن مالك وفي ذلك قال عمرو بن مرة القضاعي الصحابي :

نحن بنو الشيخ الهجان الازهر قضاعة بن مالك بن حمير
ولهم الشجاعة المسلمة لدى القبائل والاقدام المعروف عند العشائر

وقبائلهم كثيرة منها آل علي ، والحربي ، وآل حمد ، والسعيد ، وآل مكلله ، وآل هيازع ، وآل رياش ، وآل طلحة ، والكبيشات وغير ذلك من القبائل الكثيرة ومشائخهم الحمائل آل شاهر مقدار خمسمائة فارس ولا ترى لعشيرة من العشائر حمائل بهذا العدد وآل شاهر ليوث الحروب اذا مشى احدهم مشى مشية الليث وهو غضبان واذا طعن احدهم طعن طعنة كفم الزق وهو ملئان وعلى الجياد المضمرات فوارس مثل الصقور وهم من اشراف

العرب واليهم يشير الاعشى - (ولست من الكرام بني العبيد) . وقد نشأ فيهم اكابر هم كامثال حاتم فى الكرم والجود وفاقوه فى الشجاعة .

ومنهم (العلامة الامير الحاج سليمان بيك) خال والدي رحمه الله . وقد سبق بعض مآثره ماهي تحتمل مجلداً وكذا أخوه الفاضل العاقل المدبر محمد بيك وله تعاليق على حاشية عبد الحكيم الهندي على حاشية عبد الغفور اللاري على شرح الكافية للجامي والصالح النقي الحاج ابراهيم بيك واخوه الفاضل عبد العزيز بيك والصالح النقي عبدالغني بيك والصالح حبيب بك .

وأما الامير الكامل الأديب النجيب الحاج احمد بيك نجل المرحوم سليمان بيك المشار اليه فكان نزهة عصره أدباً وكرماً وثروة وبأساً ومكارم اخلاق وخلف أحمد بيك المذكور أولاداً كراماً نجباء وهم الحاج محمود بيك والكامل داود بيك واخوه الكامل يحيى بيك من اكابر امراء العرب بأساً وكرماً واخوه الاديب النجيب نعمان بيك كان كريم الاخلاق أديباً وخلف عبد الغني بيك نجليه الاميرين الاديبين عيسى بيك وعبد السلام وخلف الامير محمد بيك نجله الامير الكريم الاديب الشجاع جاسم بيك نجله الامير الاديب الكريم لطيف بيك وخلف ابراهيم بيك نجله الكامل النجيب يوسف بيك وخلف عبد العزيز بيك نجله الكريم سعود بيك وخلف حبيب بيك نجله الأديب عبد القادر بيك . وللحاج سليمان المذكور عدة اولاد نجباء كرام غير ما ذكرناهم .

وبالجملة ان رجال هذا البيت الرفيع العماد الكثير الرماد كثيرون وكلهم مع امارتهم علماء وأدباء وشعراء . مآثرهم لا تعد ولا تحصى ومناقبهم لا تستقصى . وكان لهم التقدم على سائر اكابر العرب والرياسة على جميع القبائل والجاه العظيم لدى وزراء بغداد ظهراً بعد ظهر . وكان كل منهم

كالنعمان بن المنذر .

وكان جميع عشائر حمير كالجبور والدليم والعزة وغرير ومفرج وسائر قبائل زبيد فى طاعتهم وتحت امرهم ورايتهم - كيف وهم من حمير بن سبأ - الذي كانت ملوك اليمن التبابعة منه - إلا من تخلل بخلال ملكهم فى قليل الزمن . وكان لحمير من الولد مالك والهيمسع وزيد وعريب . ومسدوح ذوائل وحمير كرب وارسا ودرما وكلهم ملوك .

ومن آل شاهر بيت سعدون المصطفى شيخ العبيد وهو بيت رفيع العماد قوي الاوتاد ورثوا الرياسة كابراً عن كابر - وسعدون المشار اليه من اكابر الرجال الثقات . وكانت اكابر عنيز وغيرهم بقبائلهم يأوون اليه وينزلون بجوارة وحماه كابن كيشيش وأمثاله وله الصولة على عشائر العبيد وهو ابن بنت الامير العلامة الحاج سليمان بيك الشاوي المشار اليه وله عدة اولاد نجباء وابن عمه اسعد الظاهر من اشجع العرب وكذا كنج ابن اخيه عليوي ورشيد بن اخيه محمد .

وبالجملة ان كلا من آل شاهر ليث الوغى وبينهم بين القبائل كالشمس الطالعة فى رابعة النهار وهم اكابر حمير من قحطان العرب العاربة وهم الذين عناهم الاعشى بقوله (واستكثرن من الكرام بني عبيد) .

ومنها عقيل وهو بطن من أسد بن خزيمة من العدنانية .

ومن اكابر عشائر العراق اخوالي عشيرة طي وهم انجب القبائل واكرمهم ، كيف وحاتم منهم وهم عدة قبائل كثيرة منها آل كوكب ، وآل سنبس ، وآل عساف ، وبنو ثعلبة ، وبنو عمر بن غوث ، وبنو عمر سلسلة ، وغير ذلك من القبائل وشيوخهم وحمائلهم آل سيالة وهم اولاد حاتم العرب العاربة . ووالدتي من آل سيالة أصلا ونسباً ، وهى بنت محمد باشا بن

عمر باشا بن عثمان باشا الطائي حاكم كردستان .

ومن اجل عشائر العراق عنيزة وهم عدة قبائل منها بنو وهب وولد على أصحاب الصر ، والطيار ، والفدعان ، والرولة ، والسبعة ، والسلكة ، والعمارات ، والدهامشة ، وآل مفرن ومنهم اكابر نجد . وسيأتي ان شاء الله تعالى بيان نسبهم في بحث نجد ـ وغير ذلك من القبائل ـ وهم اكثر الناس عدداً . وتبلغ قبائلهم مقدار ثلثمائة الف نفس فاكثر رجالا ونساء ، وهم من ربيعة ووائل من عدنان جد النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن اجل عشائر العراق الجبور وهم قبائل كثيرة مشهورة من حمير القحطاني (من العرب العاربة) وهم بنو عم العبيد أولاد جبر شقيق عبيد . ومنها عبادة بطن من عقيل من بني عامر بن صعصعة من العدنانية . وكانت منازلهم بالجزائر الفراتية مما يلي العراق ، ولهم عدد وكثرة وبقي منهم قليل في هذا العصر وغلب منهم قريش بن بدران بن مقلد فى اواسط المائه الخامسة على الموصل وحلب .

ومن أجل عشائر العراق الدليم وهم قبائل كثيرة مشهورين من حمير من العرب العاربة ، وهم أيضاً بنو عم العبيد لأن جدهم ثامر شقيق عبيد .

ومن اجل عشائر العراق شمر وهم عدة قبائل منها الخرصة ، والعمود والصايح ولهم قرابة مع العبيد والنجم ، وأسلم وهو من الصايح والعليان والبريج ، والفداعة ، وعبده ، والفيفيلة ، والعفاريت ، والزكاريط ، والزميل وآل جعفر قوم ابن رشيد شيخ جبل شمر وتبلغ قبائل شمر مائة الف نفس فاكثر وحمائلهم آل محمد من طيء وجميع قبائلهم تعود الى قحطان .

ومن اجلها عشيرة الغرير وهم من حمير ومن قبائلهم آل شهوان وآل بكر

ومن اجلها عشيرة العزة وهم من اولاد عمرو بن معديكرب الزبيدي

الصحابي رضي الله تعالى عنه . وهم عدة قبائل مشهورة كلهم من حمير .

ومنها آل مفرج وهم من الازد من القحطانية بطن من شنوه وهم بنو مفرج بن مالك بن نصر ونصر هو شنوه .

ومنها بنو عز وهم من حمير ، ومنها العمار وهم من حمير ، ومنها الجنابيون ولهم عدة قبائل : آل مهلهل ، وبنو حسون ، والسويضات ، ومنهم الخلاونة وآل مريود ، وآل بيج ، وآل عساكر ، وآل حسان ، والثويرات ، عدة أفخاذ ، وآل صقر عدة افخاذ ، والحكارة عدة افخاذ وحمائلهم آل مرشد وهو بيت رفيع بين العرب وكلهم من قحطان .

ومنها المهدية وهم القصابون في بغداد وهم من زبيد الحميري .

ومنها الندى وهم اولاد قطر الندى من زبيد .

ومنها الجيايلة وهم من زبيد . ومنها الكميدات وهي عشيرة جسيمة ولها عدة قبائل كثيرة كلها تنتهي الى قحطان .

ومن اشراف عشائر العراق (النعيم) فانهم سادات ومن اشرافها المشاهدة وكذا منهم الحياليون فهؤلاء الثلاثة سادات .

ومن اعظم عشائر العراق الضفير وهم قبائل كثيرة يبلغون ثلاثين الف نفس فاكثر . ومنهم بنو حسين من الاشراف ومنزلهم في منازل المنتفك بين نجد والبصرة .

ومن قبائل العراق الكروية وهم اولاد قيس وينقسمون الى كروي جديد وكروي عتيق ، ومنها المجمع وهم سبعة قبائل تجمعوا وتحالفوا ويقال انهم اولاد منصور على ما هو المشهور لكن ذكر في نهاية الارب : بطن من جعفر من قحطان ، وهم بنو مجمع بن مالك بن سعد بن عوف بن جعفر .

ومنها بنو ويس وهم الأوس ولا يعلم انهم الأوس من طابخة العدنانية والله أعلم

ومنها المعامرة وهم لصوص . ومنها بطة وهم من افقر الناس . وجميع ما ذكرناه من العشائر المذكورة فهم من اهل السنة والجماعة . واكثرهم على مذهب الامام الشافعي إلا عنيز وشمر والضفير فانهم على مذهب الامام مالك . والا الكروية الجديد والجمع فانهم على مذهب الامام ابي حنيفة . واما الكروية العتيق ففيهم شائبة الرفض . وقد تركنا كثيراً من عشائر اهل السنة والجماعة خوف الملل .

وأما العشائر العظام فى العراق الذين ترفضوا من قريب فكثيرون . ومنهم ربيعة وهم اولاد ربيعة بطن من بكر بن وائل من العدنانية ، وهم بنو ربيعة بن عجل بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل على ما هو المشهور وفق دعواهم والناس مأمونون على انسابهم والله تعالى اعلم .

وربيعة بطون كثيرة غير ربيعة المذكور ، ومنها ربيعة بطن من شواة بن عامر بن صعصعة من العدنانية أيضاً وهم ربيعة بطن من بني الحارث بن كعب من القحطانية .

ومنها ربيعة بطن من الازد . ومنها ربيعة بطن من تميم من العدنانية وهم بنو ربيعة بن كعب بن سعد بن عبد مناف بن تميم .

ومنها ربيعة بطن من حنظلة من تميم من العدنانية . ومنها ربيعة بطن من خثعم . ومنها بطن من عبدشمس بن عبدمناف من قريش ومنها ربيعة بطن من عذرة بن زيد اللات من القحطانية . ومنها ربيعة بطن من عقيل . ومنها ربيعة بطن من مضر من العدنانية ، وهم بنو ربيعة بن نزار بن مضر . وتعرف بربيعة الحمر .

ثم اعلم ان ربيعة النازلة فى الجهة الشرقية من بغداد ترفضوا مع امارتهم منذ سبعين سنة . واما ربيعة الذين في الجهة الغربية من بغداد فهم

من اهل السنة والجماعة على مذهب آبائهم ، وعنيزة كلهم من ربيعة وهم من اهل السنة والجماعة ولله الحمد على ذلك .

ومن العشائر العظام في العراق بنو تميم وهي عشيرة عظيمة نجيبة من مضر جد النبي صلى الله عليه وسلم وبنو تميم ابن مرة بن اد بن طابخة واسمه عمرو بن الياس بن مضر وسمي طابخة لأنه كان مع اخيه عامر في ابل لهما يرعيانها فاصطادا صيداً وقعدا يطبخانه فعدت عادية على ابلهما فقال عامر لاخيه عمرو : ادرك الابل وانت تطبخ . فادركها عامر وجابها وطبخ عمرو فلما ذهبا اخبرا أباهما بشأنهما . فقال لعامر أنت مدركة . وقال لعمرو : انت طابخة وما أعلم أن بني تميم المذكورين من طابخة بن الياس او من مدركة ابن الياس والله اعلم .

وقد ترفضوا في نواحي العراق منذ ستين سنة بسبب تردد شياطين الرفضة اليهم . وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هناك على البصرة واليمامة وامتدت الى العزى من ارض الكوفة ثم تفرقوا بعد ذلك وورث منازلهم غزية من طي .

ومن العشائر العظيمة في العراق المترفضة الخزاعل وقد ترفضوا منذ اكثر من مائة وخمسين سنة وهي عشيرة عظيمة من بني خزاعة تحرفت وسميت خزاعل وهم من بني عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا من الازد من القحطانية وعمرو هذا أبو خزاعة كلها وتفرقت بطونها فولد له كعب بطن وعدى بطن وعوف بطن وسعد بطن . هذا ما ذكره ابو عبيد وذكر في مواضع أخر : ان خزاعة بنو اسلم ومالك وملكان من بني أقصى بن حارثة ابن عمرو بن مزيقيا . وقال القاضي عياض المعروف في نسب خزاعة : انه عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر وسموا خزاعة على ما قاله الكلبي :

لأن بني مازن من الازد لما تفرقت الازد من اليمن فى البلاد نزلوا على ماء بني زبيد ورفع يقال له غسان وأقبل بنو عمرو بن لحي فانخزعوا من قومهم فنزلوا مكة ثم اقبل بنو اسلم ومالك وملكان بن اقصى بن حارثة فانخزعوا عن قومهم أيضاً فسمي الجميع خزاعة . وكانت مواطنهم مكة ومر الظهران وما بينهما وكانو حلفاء لقريش وكان لخزاعة ولاية البيت بعد جدهم ولم تزل بيدهم الى ان باعها ابو غسان بن قصي بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن العشائر المترفضة عشيرة زبيد وهي كثيرة القبائل وقد ترفضت منذ ستين سنة بترددالرفضة اليهم وعدم العلماء عندهم إلا حمائلهم وهم آل عبدالله ابن وادي بيك فانهم من اهل السنة والجماعة على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه لكن ترفض بعض الحمائل من بني عمه ووادي بيك قد توفى على مذهب أهل السنة والجماعة وكان اميراً كريماً جواداً له من مكارم الاخلاق والافعال والاقوال مالا يسعه المقام وكانت عطاياه كعطايا البرامكة وهو من حسنات الزمان وهم بنو منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك وهو مدحج ابن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان من القحطانية وسمي سعد العشيرة لأنه بلغ ولده وولد ولده مائة رجل يركبون معه فكان اذا سئل عنهم قال : هؤلاء عشيرتي وقاية لهم من العين ويعرف زبيد هؤلاء بزبيد الاكبر وهو زبيد الحار وبنو زبيد أيضاً بطن من زبيد الاكبر من سعد العشيرة المذكور وهم بنو منبه الاصفر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه الاكبر الذي تقدم ذكره وتعرف زبيد هذه بزبيد الاصفر . منهم عمرو بن معد يكرب الصحابي رضي الله تعالى عنه . وعاصم بن الاسقع الشاعر وعشيرة زبيد التي فى نواحي بغداد من زبيد الاصغر . وأما العبيد والجبور والدليم فهم من زبيد الاكبر وكلهم من حمير من القحطانية .

ومن العشائر المترفضة بنو عمير وهم بطن من تميم من العدنانيـة وهم بنو عمير بن مقاعس بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم منهم السليك بن يثرب

ومن العشائر المترفضة الخزرج وبنو الخزرج بطن من بني مزيقيا من الازد ويقال لهم الخزرج الاكبر بن حارثة بن ثعلبة بن مزيقيا واذا اطلق الخزرج فالمراد هؤلاء وهم احد قبيلتي الانصار اخوة الاوس ويقال لكليهما بنو قيلة وبنو الخزرج بن عمرو ونسبهم مندرج في الاوس وبنو الخزرج أيضاً من كلب من قضاعة من القحطانية وهم بنو الخزرج بن زيدة اللاة بن رفيدة بن ثور بن كلب والخزرج هذا اخو عذرة بن زيدة اللات ولا شهرة له وما أعلم ان خزرج العراق من اي الخزرج والله تعالى اعلم .

ومن العشائر المترفضة شمر طوكه وهي كثيرة ويدعون أنهم من قبيلة شمر المشهورة وشمر ينكرون نسبهم .

ومن المترفضة الدوار ومن المترفضة الدفافعة وهم . . . . وابخسهم وقد قتلوا نزيلهم الوزير الكامل الصالح سليمان باشا الصغير والي بغداد حين كسره حالت افندي المأمور من جهة الدولة العلية العثمانية وهرب ونزل عندهم وولي الافندي المومأ اليه عبدالله باشا على بغداد فلما اتوا برأسه الى عبد الله باشا أمر بنهبهم وسبي اولادهم واستحياء نسائهم وكان حالت افندي المشار اليه من دهاة الرجال من ذوي العقل والرأي والفضل والتدبير والكرم .

ومن المترفضة عشائر العمارة آل محمد وهي لكثرتها لا تحصى وشيوخهم آل فيصل من عشيرة العزة وترفضوا عن قريب وتمعدنوا وهم جميعاً من قحطان

ومن المترفضة عشائر الهندية وما اتصل بها الى قرب البصرة ولا يحصي عددهم الا الله تعالى واكثرهم قحطان اصلا ونسباً الا أنهم تمعدنوا .

ومن العشائر العظيمة المترفضة عشيرة بني لام وهي كثيرة العـــدد

والبطون حمايلهم من اكابر الناس كرماً ونجابة وبأساً بطن من طي من القحطانية وهم بنو لام بن عمرو بن علية بن مالك بن جدعان بن ذهل بن سرحان بن جندب بن خارجـة بن سعد بن قطرة بن طي بن ادد بن زيد ابن لشجب بن عريب بن زيد بن كهلان القحطاني والي طي ينسب حاتم الطائي المشهور بالكرم وأخباره أشهر من أن تذكر ومن طي زيد الخيل ابن مهلهل الصحابي رضي الله عنه وفد على رسول الله ﷺ مع وفـد طي فسماه زيد الخيل .

وقال ﷺ ما وصف لي أحد فى الجاهلية ورأيته فى الاسلام الا رأيته دون وصفه غيرك . وكانت منازل بني لام في الاصل فى المدينـة الى الجبلين وينزلون اكثر اوقاتهم مدينة يثرب ثم اتوا الى العراق .

ومن العشائر المترفضة عشائر الديوانية وهم خمسة عشائر آل اقرع ، وآل بدير ، وعفج ، والجبور ، وجليحة ، وكلهم يشربون من ماء الدغارة الآخذة من ماء الفرات والأقرع ست عشرة قبيلة وكل قبيلة كثيرة العدد . وآل بدير ثلاث عشرة قبيلة وهى ايضاً كثيرة العـدد . وعفج ثماني قبائل كثيرة العدد . وجليحة أربع قبائل كثيرة الاعداد . واما الجبور فهم اربع قبائل كثيرة الاعداد وهم فرقة من الجبور الذين كانوا فى الخابور من اهل السنة والجماعة إلا انهم انتقلوا من مدة طويلة الى جهة الديوانية وترفضوا وهذه القبائل المذكورة أهل تعصب فى الرفض لا يخرجون عن طاعة امرهم واكثر تحريكاتهم من تحريكات المتسيد بن المـذكور . والقبائل المذكورة من اهل الشجاعة والاقدام والقوة البالغة والجسارة ولم تزل الحروب والمقاتلة بينهم وفى كثير من الازمان الماضية كانوا يخرجون عن طاعة والي بغداد ويقاتلون العساكر أشد القتال فتارة تحصل لهم الغلبة وتارة يغلبون ومسافة

منازلهم طولا يومان وعرضاً يوم واحـــد واكثر قوتهم من ماء الدغارة فاذا سدت الدغارة ذلوا ودخلوا تحت الطاعة وذهبت قوتهم ولم تسعهم مخالفة الحكام لأن اهوار الدغارة كالحصن لهم خذلهم الله تعالى .

ومن عشائر العراق العظيمة المترفضة من مدة مائة سـنة فأقل عشيرة كعب وهي عشيرة عظيمة ذات بطون كثيرة ومنزلها في المحمرة ونواحيها وكانوا من تبعة الدولة العلية العثمانية ومنازلهم المحمرة من جملة املاك الدولة العلية الى أيام الوزير العلامة الحاج داود باشا لأنها داخلة في سواد العراق الذي هو ملك الدولة العلية وسواد العراق من عبادان الى حديثة الموصل طولا والمحمرة ما دون عبادان بساعتين وعبادان التي هي الحد أيضاً كانت للدولة العلية لكن الدولة الايرانية وضعت يدها على هذه الاماكن وعلى ذهاب من غير حق ودولتنا العلية ادامها رب البرية صرفت النظر عنها في هذه الايام لغرض لم نعلمه والا فقدرتها على الدولة الايرانية كقدرة البطل الفارس الذي ركب جواداً سابقاً وعليه عدة اسلحة على الرجل الذي يمشي على رجليه وليس عنده شيء من الاسلحة وذلك مسلم لدى كل احد . ومن وقف على قضية المرحوم سلطان سليم خان عليه الرحمة والرضوان مع اسماعيل شاه الصفوي الذي هو اعظم شاهات العجم واشجعهم واكثرهم صولة فقد علم فرار اسماعيل شـــاه وانهزامه وتشتت عساكره وقتل غالب جنوده وامرائه ثم ساقت العساكر العثمانية المنصورة من ورائه وكادوا أن يمسكوا اسماعيل شـاه ففر من بين ايديهم وهم ينظرون اليه فغنم السلطان سليم جميع ما في خيمة اسماعيل شاه وخيام عساكره واعطى الرعية الامان وذلك في سـنة عشرين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والتحية . ثم في سنة الثلاثة والعشرين والتسعمائة من الهجرة توجه السلطان سليم الى مصر وفتحها واخذها

من الفوري الجركسي لما كان من المكاتبة والمحبة بين الفوري واسماعيل شاه وولي السلطان سليم خان عليه الرحمة والرضوان قضاء الحنابلة بمصر العلامة أحمد البخاري الحنبلي الانصاري والد الشيخ تقي الدين الحنبلي صاحب الكتاب المنتهى فى فقه الحنابلة وقاضي مصر وهو آخر قضاة الأسلام بمصر من العرب واسماعيل شاه المذكور وهو ابن حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ صدر الدين سلطان المشائخ الشيخ صفي الدين وهو حسيني النسب من الاشراف وبيتهم بيت الارشاد والتصوف والتقوى والعلم ولم تزل آباؤه على ذلك وعلى اظهار شعائر الاسلام واتباع السنة السنية الى أن انشأ اسماعيل شاه وكان اسماعيل شاه في صغره يتردد الى صائغ اسمه نجم في بلاد لاهيجان وهذه البلاد كثيرة الفرق الضالة كالرافضة والزيدية وغيرهم فتعلم اسماعيل شاه الرفض فى صغره من نجم الصائغ المذكور وكان مستخفياً في بيت الصائغ وكان يأتي اليه مريدو أبيه ويأتونه بالنذور ويعتقدون فيه الخير الى أن اغواهم وكثرت داعية الفساد فخرج ومن معه من لاهيجان وأظهر الخروج لأخذ ثار والده وجده اللذين قتلهما شروانشاه وعمره يوم الخروج ثلاث عشرة سنة وكلما سار الى منزل كثرت عليه داعية الفساد واجتمع معه عساكر كثيرة وقصد مملكة شروانشاه لمقاتلته فانهزمت عساكر شروان شاه واسروا شروان شاه واتوا به الى اسماعيل شاه فأمر أن يضعوه فى قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا ثم حصلت له وقايع كثيرة انتصر فيها واستولى على خزائن عظيمة وعلى جميع ممالك ايران وشروان وتفليس وغير ذلك . وكان لا يمسك شيئاً من الخزائن بل يفرقها على العساكر وعلى سائر الناس ثم صار لا يتوجه الى بلد الا اخذها وقتل جميع من فيها ونهب أموالهم الى أن ملك بغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وأذربيجان وتبريز ثم خرج عن جادة الرفض

وادعى الربوبية . وكان يسجد له عسكره وقتل خلقاً لا يحصون بحيث لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية ولا في الامم السالفة مقدار ما قتله اسماعيل شاه من النفوس وقتل عدة من اعاظم العلماء وحرق كتبهم بحيث لم يبق أحد من اهل العلم في بلاد العجم وحينئذ انهزم جدنا العلامـة محشى اثبات الواجب المولى الشريف محمد بن الشيخ حيدر بير الدين الى جهة العراق واختفى في جبال الاكراد في نواحي حرير وكان فيما وراء النهر فسلم على دينه ومذهبه وروحه ولله الحمـــد فحل جدنا المذكور لدى امراء الاكراد وعلمائهم واكابرهم واخذوا عنه العلم ووقروه وآلفت وزراء الدولة العثمانية بعد فتحهم العراق من ايدي العجم اولاده مؤنة معاشهم وتناسل آباؤنا في العراق أحد عشر ظهراً ونشروا العلم وألفوا الكتب المفيدة في كل فن وشهروا العلوم العقلية في العراق خصوصاً بالمنقول مدة طويلة ونالوا من الدولة العلية العثمانية ادامها رب البرية الثروة العظيمة والجاه ومناصب الافتاء . ونبش اسماعيل شاه قبور المشايخ والعلماء واحرق عظامها وكان اذا قتل أميراً من الامراء أباح زوجته وامواله لشخص ما . وكانت عساكره تعتقد فيه الالوهية وانه لا ينكسر ولا يقدر عليه أحد وغير ذلك من الاعتقادات الفاسدة فلما وصلت اخباره الى السلطان سليم خان ـ عليه الرحمـة والرضوان ـ انتدب لقتاله وجهاده فجمع الجموع وكسره وفعل به ما ذكرنا أولا نقلا عن صاحب الاعلام الى بيت الله الحرام شـــكر الله تعالى سعيه على ازالة هذا الكافر الطاغي الخبيث الملعون وهتكه وتمزيق جيوشه الكفرة .

ثم اعلم ان عشيرة كعب بطن من خزاعة من بني مزيقيا من الازد من القحطانية وهم بنو كعب بن عمرو بن ربيعة وهو يحي بن حارثة بن مزيقيا كان له من الولد سعد بطن ومازن بطن وسلول بطن وحبشية بطن.

ومن العشائر المترفضة بنو سعد والسواچن وجعيفر وغيرهم . . . . .
وبالجملة ان عشائر بغداد العربية من الموصل الى البصرة لا يحصي عـــددهم وبطونهم إلا الله تعالى .

واما عشائر الاكراد من اهل العراق فهم كثيرون فمنها عشيرة السورچية وهى كثيرة جداً ونشأ منهم علماء اعلام .

ومنها عشيرة الخوشناو وهي أيضاً كثيرة واهل شجاعة واقدام قتل النفس عندهم بمنزلة شرب الماء ولم يزل القتال بينهم ونشأ منهم علماء فحول منهم العلامة النحرير محمد الخطي .

ومنها عشيرة البالكية وهى كثيرة ونشأ منهم علماء اعلام وصلحاء منهم شيخي العلامة الفهامة الولي أحمد الكلالي .

ومنها عشيرة كوزه وهم كثيرون وأهل اقدام .

ومنها عشيرة الكروية بفتح الكاف وهم كثيرون واهل اقدام وشجاعة ونشأ فيهم علماء أعلام .

ومنها عشيرة الزيبارية وهى كثيرة جداً ونشأ منهم علماء اعلام .

ومنها عشيرة المزورية وهي كثيراً جداً ونشأ منهم علماء اعلام فحول منهم العلامة النحرير جامع المنقول والمعقول حاوى الفرع والاصول الولي الحافظ المعمر شيخي وسندي وشيخ مشايخ العراق بالاتفاق الشيخ يحيى المزوري العمادي العمري النسب وله حاشية على تحفة العلامة ابن حجر الهيتي المكي طاب ثراها .

ومنها عشيرة الصهران وهى فى الاصل امراء جميع الاكراد والصهران من طي نسباً ومنهم حكام كوي سنجق أولاد عثمان باشا . وقد انقرض هؤلاء الحكام وبقي منهم بعض الضعفاء بعد أن كانوا ملوك الاكراد ، والاكراد

يعترفون بذلك وحق هذه الطائفة التقدم إلا أن القلم زل بتأخيرها كما جرت المقادير بزوال ملكها .

ومنها عشيرة دزدي وهى كثيرة جداً ذات اقدام ولهم المخالطة التامة مع طي يتكلمون بالعربية لا يفرقهم السامع عن طي لساناً وهيئة .

ومنها عشيرة البلباص وهى في غاية الكثرة والشجاعة ونشأ فيهم علماء اعلام منهم شيخي العلامة المدقق ابراهيم الرمكي .

ومنها عشيرة الجاف وهى فى غاية الكثرة والشجاعة والاقدام ونشأ منهم شيخنا وشيخ اعلام الدنيا على الاطلاق النحرير العلامة والحبر الفهامة قطب دائرة الارشاد والمرشد الكامل للعباد الولي المجـــدد الراكع الساجد حضرة مولانا ضياء الدين خالد العثماني النقشبندي قدس سره ويكفيهم فخراً نشوء هذا الامام منهم .

ومنها عشيرة الهركي وهى كثيرة ذات أقدام . ومنها عشيرة الشوان وهى كثيرة . ومنها عشيرة زند وهى كثيرة . ومنها عشيرة زكه وهى كثيرة وغير ذلك من العشائر التي لا تحصى وجميع الاكراد في غاية العداوة مع العجم وكلهم من اهل السنة والجماعة على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه فلا تجد في الاكراد أحداً من الرفضة وسائر البدع والضلالات ولا أحداً من سائر مذاهب اهل السنة والجماعة من الحنفية والمالكية والحنبلية رضي الله عنهم سوى عشيرة باجلان فان بعضهم حنفية وبعضهم شافعية والاكراد كلهم على ما فى القاموس من اود كرد بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن ماء السماء .

وذكر صاحب القاموس في مادة مزق ان مزيقيا لقب عمرو بن عامر ملك اليمن كان يلبس كل يوم حلتين ويمزقها بالعشي يكره العود فيها ويأنف أن يلبسها غيره فلذا لقب بمزيقيا .

اقول : فعلى هـذا تكون الاكراد من اشراف العرب واما ما ذكره بعضهم من انهم ليسوا من العرب فهو من قبيل التعصب . وكفى بصاحب القاموس تصحيحاً وشهادة فهم على ما ذكره المجـد من قحطان من العرب العاربة نسباً لأن مزيقيا على ما ذكره علماء النسب من بني قحطان والله تعالى أعلم وتبدل لسانهم لقرب منازلهم من العجم فلسان الكرد ممزق لسان الفرس

واما عشيرة البيات فهم من الاتراك وهم كثيرون وفيهم الاقـدام يتكلمون بالعربية لمخالطتهم مع العبيد لقرب المنزل . قيل انهم اتوا الى العراق مع السلطان مرادخان عليه الرحمة والرضوان بعضهم من اهل السنة والجماعة وبعضهم رفضة وحمايلهم البيكات من اهل السنة .

الباب الخامس

في بيان العلماء الذين ادركت عصرهم من العراقيين

فمن أجل من ادركت عصره جدي العلامـة النحرير والفهامة الذي لا يكفي بتفصيل مناقبه التقرير والتحرير المولى الشريف أحمد صدرالدين مفتي الحنفية ببغداد ابن الولي العلامة الشريف عبدالله الحيدري البغـدادي وكان من الرجال الدهاة ذا هيبة ووقار نال من القبول والكلمة النافذة بين الناس والجاه لدى ولاة بغداد ما لم ينله أحد من العلماء وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ودرس العلوم النقلية والعقلية أربعين سـنة متوالية على ماحدثني والدي عاش وقد قارب عمره ثمانين سنة واخذ عنه العلم عـدة علماء اعلام منهم العلامة الوزير والي بغداد الحاج داود باشا البغدادي فانه لازمه قبل الوزارة سبع عشرة سنة وقرأ عليه المنقول والمعقول حتى فاق اقرانه .

ومنهم والدي طاب ثراه فانه اخذ العلم عن ابيه وعن غيره وكان والدي

من العلماء الصالحين العاملين المفضلين لا يعرف شيئاً من امور الدنيا مقبولا محبوباً عند الخواص والعوام تقلد افتاء الشافعية سنين كثيرة ومات رحمه الله تعالى وقد قارب عمره تسعين سنة .

ومنهم العالم الفاضل الشريف عبدالله بن العلامة الشريف غياث الدين الحيدري البغدادي ابن عم جدي المذكور قد اخذ العلم عنه ولازمه وقد رباه جدي وعلمه العلم واحسن تربيته لوفاة ابيه غياث الدين وهو رضيع .

ومنهم العالم الكامل مصطفى القلعبند نائب بغداد البغدادي .

ومنهم العالم الكامل سلمان السويدي البغدادي . ومنهم العالم الفاضل المحقق مصطفى الجوراني الكردي . ومنهم العالم الفاضل صبغةالله بن العلامة ابراهيم بن العلامة الشريف محشي الخيالي عاصم الحيدري عم والد جدي . ومنهم العالم الكامل محمد السمين الموصلي ومنهم العلامة الولي الجامع للمنقول والمعقول الولي الشريف عمي عبيدالله مفتي الحنفية ببغداد الحيدرى النقشبندي البغدادي وكذلك العلامة الأديب الأريب اللبيب الشريف عبدالقادر الصدفي البغدادي أخذ عنه العلم . ومنهم العالم الفاضل الكامل الأديب الصالح محمد سعيد البغدادي مفتي الحنفية فى بغداد . ومنهم العالم اللوذعي المحقق عبدأغا المشهور بطوپال محمد امين اغا زاده البغدادي . ومنهم العالم الصالح الحاج ادريس أغا . ومنهم العالم الاديب سليم بيك . ومنهم العالم الكامل محمود باشا نجل عبدالرحمن باشا الكردي البلباري . ومنهم العالم الكامل العامل الصالح أحمد الزندي الكردي ومنهم العالم الفاضل الشاعر اللوذعي الأديب محمد اسعد العثماني الكركوكي المشهور بنائب زاده . ومنهم العالم الفاضل عبدالغفور الكركوكي . ومنهم العالم الفاضل عمر الاربيلي . ومنهم العالم الفاضل الالمعي عبدالعزيز الشواف البغدادي ومنهم الاديب عبدالغني جميل مفتي الحنفية ببغداد . ومنهم العلامة الجامع

المنقول والمعقول محمد امين الحلي مفتى الحلة وغير ذلك من الفضلاء مما يضيق المقام بذكرهم لكثرتهم فهؤلاء كلهم اخذوا العلم عن جدي المشار اليه رحمه الله تعالى وله عدة تآليف منها حاشية على تحفة المحتاج للشيخ العلامة ابن حجر الهيتمي المكي طاب ثراه حاكم فيها بين المحشين على التحفة جمع فيها وحقق وادعى ومنها حاشيته على حاشية المحقق عبد الحكيم الهندي على الخيالي وحواشيه على حاشية العلامة اللقاني المصري على شيخ الغزي للتفتازاني فى علم الاشتقاق وحواشيه على حاشية القرباغي فى المنطق وحواشيه على حاشية العلامة الطحطاوي على الدر المختار وشرحه على اللغز البياني المشتمل على علوم شتى وغير ذلك من التعاليق المفيدة وكان رحمه الله تعالى واحد عصره الذي يشار اليه بالبنان علماً وعملا وفضلا وفهماً ودراية وعقلا وهمة وجاهاً ونزوة وثروة وخيراً وكان كثير المحبة معي وهو الذي رباني تسع سنين وعلمني القرآن الكريم لما كان والدي غائباً هذه المدة عن بغداد فى الجبال العراقية لتحصيل العلم وقد ناسب المقام ان اذكر تأليف اجدادنا واعمامنا السادة الحيدرية الذين تنتهي اليهم اجازات علماء العراق بالاتفاق فاما تأليف جدي المشار اليه فقد سبق بعضها ولوالدي المتوجه بكله الى مولاه السيد صبغة الله الحيدري تعليقات وحواشي على شرح الشمسيه فى المنطق وعلى حاشيته لداود الخوافى وعلى القرباغي وعلى شرح العصام على رسالة البيان وعلى حاشية المحقق عبدالحكيم الهندي على المطول وغير ذلك رحمه الله رحمة الابرار وجعل له الجنة خير مأوى وقرار .

وللعلامة الفهامة الولي الكامل الشريف عبدالله بن صبغة الله الحيدري والد جدي المشار اليه حواشي على شرح الجغميني فى الهيئة وعلى حواشي اثبات الواجب وعلى حاشية السيد السند على شرح الشمسية وعلى حاشية داود

الخوافى وعلى حاشية عصام الدين على شرح الكافية للجامي وله شرح جليل
على المسائل الهندية جمع فيها فأوعى وغير ذلك . ولوالد هذا العلامة المشار اليه
علامة الدنيا على الاطلاق الذي وقع على جلالة قدره الاتفاق شيخ مشائخ
العراق خاتمة المحققين المولى الشريف صبغة الله بن ابراهيم الحيدري تآليف
دقيقة عجيبة كأنه قصد الاغلاق فى التعبير وكان قوي العربية كامثال سيبويه وكان فى
المعقول كامثال الفخر الرازي وفي التفسير كامثال الزمخشري فمن تآليفه حاشيته
الجليلة على تفسير البيضاوي وحواشيه الدقيقة على حاشية المحقق عصام الدين
على شرح الكافية للجامي وحواشيه علي الحاشية المسماة بالمحاكمات على العقائد
الدوانية لجده العلامة أحمد بن حيدر وحواشيه الدقيقة العجيبة على الكتب
الحكمية الصعبة المأخذ وله آثار عظيمة فى المعقول بلغ فيها الدقـــة الغامضة
كابن سينا وكان اماماً جليلا فى كل فن أخذ عنه جميع من عاصره من علماء
العراق فلا تجد اجازة علمية عراقية إلا ويتصل به وتنتهي الى آبائه .

ولوالد هذا العلامة المشار اليه العلامة الفهامة المحقق المدقق الولي الكامل
العارف الشريف مولانا وجدنا ابراهيم بن حيدر تآليف كثيرة مفيدة منها
حاشية على تحفة المحتاج للعلامة ابن حجر المكي طاب ثراه . ومنها شرح
الزوراء للدواني ومنها الالهامات الربانية في كل فن وهو كتاب عجيب . ومنها
تفسير القرآن جمع فيه الظاهر والباطن وهي مجلدان وشرح تشريح الافلاك فى
الهيئة والحاشية الدقيقة على حاشية الحاشية قول احمد علي الفناري في المنطق
والحاشية اللطيفة على حاشية الوغ بيك على شرح المسعودي فى آداب البحث
وحاشيته ايضاً الدقيقة على حاشية المحقق ميرزا جان على حاشية السيد السند
على شرح المطالع في المنطق وحاشيته على جمع الجوامع في أصول الفقــــه
وحاشيته على شرح عصام الدين على رسالة البيان وحاشيته على الكواكب

الدرية فى القواعد الجفرية وغير ذلك من التآليف الدقيقة المفيدة .

وقد حدثني الذكي الملا اسماعيل بن الفاضل محمد الكلالي البالكي بأنه قد رأى له حاشية على حاشية المحقق عبد الحكيم الهندي على شرح الشمسية في المنطق ولم اجدها في كتبنا لأن تآليف اجدادنا السادة الحيدرية واعمامنا وبنيهم موجودة عندنا أو لدى بني عمنا وعشيرتنا الحيدرية ويمكن أن تكون قد فقدت من كتبنا لأن الذي حدثني بذلك من الثقات من ذوي العلم .

ولوالد هذا العلامة العارف المشار اليه علامة العلماء واللاج الذي لا يفتهي ولكل لج ساحل . بحر العلوم المحيط بكل منطوق ومفهوم صاحب الكرامات العديدة والتآليف المفيدة شيخ الكل فى الكل مولانا وجدنا المولى الشريف حيدر بن احمد قدس سره عدة تآليف عظيمة دقيقة منها حاشيته العظيمة على شرح مختصر المنتهى فى أصول الفقه وحاشيته على شرح التجريد فى علم الكلام وحاشيته على شرح حكمة العين فى الحكمة وحاشيته على حاشية اللاري على شرح القاضي الرومي على الهداية في الحكمة وحاشيته على شرح العقائد العضدية للمحقق الدواني وحاشيته على حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية للتفتازاني وحاشيته على اشكال التأسيس في الهندسة وحاشيته على شرح عصام الدين على الرسالة العضدية وحاشيته على اثبات الواجب وعلى حواشيه وغير ذلك من التآليف العظيمة الدقيقة وجميع الكتب لا تعرف حق المعرفة إلا بهذه الحواشي المذكورة المتداولة فى ايدي علماء العراق لصعوبتها ودقتها وعلو مطالبها شكر الله تعالى سعيه .

ولوالد هذا البحر الهام المشار اليه العلامة الفهامة الدراكة افضل المحققين ولي الله تعالى بلا نزاع المولى الشريف أحمد بن حيدر قدس سره عدة تآليف منها حاشيته الدقيقة الواقعة على شرح عقائد الدوانية المسماة

بالمحاكمات فانه قد حاكم فيها بين جميع الحواشي الواقعة على الشرح المذكور وصارت جادة عند التكميل فى الديار العراقية وغير ذلك من البلاد .

وحدثني اللوذعي الأديب السيد محمد درويش ابن اختي نجل الفاضل الكامل محمد امين الحيدري عن العالم الفاضل حيدر علي الهندى حين قراءته المحاكمات على الفاضل الهندي المذكور أوان وروده الى بغداد انه قد ذكر له ان المحاكمات المذكورة لجدنا المشار اليه من الكتب المعتبرة المقررة لدى علماء الهند . . .

ومن تآليفه كتاب رد الرافضة وكتاب اثبات غسل الرجلين في الوضوء وابطال المسح وله رسـالة كبيرة في تفسير قوله تعالى « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة الآية » ويالها من رسالة مفيدة جامعة لدقائق لطيفة - ومنها - حاشيته العظيمة على كتاب الشفاء في علم الحكمة لابن سينا الذي حارت افكار فحول العلماء فى حل عبارته المشكلة ومطالبه العالية وقد اجتمع جدنا هذا بالفاضل العلامة المحقق المدقق مولانا عبدالحكيم السيالكوتي الهندي رحمه الله تعالى فى بعض المراكب البحرية وسأل كل منهما عن الآخر ثم تعارفا بعد المباحثة التامة وحصلت بينهما المودة واهدى جدنا اليه نسخة المحاكمات وهو اهدى اليه كتاب المطول بخط مؤلفه العلامة التفتازاني مع حاشيته عليه والمطول المذكور موجود الآن عند بعض بني عمنا وحاشية عبد الحكيم على المطول الذي اهداها الى جدنا هى أول ما وصلت الى الديار العراقية وهذه النسخة ليست في كتبنا الآن .

ولوالد هذا العلامة المشار اليه العلامة الفهامة ولي الله بلا نزاع ومحرر مذهب الشافعي بلا دفاع المولى الشريف حيدر بن محمد خوارق عظيمة وله حاشية عظيمة على تحفة العلامة ابن حجر وكان مفتي الشافعية في خطة العراق

ترجع اليه فحول العلماء في الفتوى وكان يدعى فى العراق بابن حجر الثاني وهو معاصر له .

ولوالد هذا الشيخ العلامة المشار اليه العلامة الفهامة المحقق ناشر العلوم فى العراق المولى الشريف محمد بن حيدر پير الدين طاب ثراه حاشـية على اثبات الواجب وهو اول الواردين من ما وراء النهر الى العراق وقـد نشر العلوم العقلية وتلقته العلماء بالتعظيم واخذوا عنه العلوم وكان يتكلم باللغة التركية الجغطائية وولد ابنه جدنا حيدر المذكور في العراق من امرأة تزوجها من الباشورية من اولاد عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهم بيت علم وفضل وجاه اقدم اهل العلم وغيرهم فى العراق لأن جدهم اتى الى العراق من زمن جدهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وياله من بيت مجد وعلم وفضل .

ولوالد هذا الشيخ العلامة المشار اليه الشيخ العلامة المرشـد الكامل حيدر پيرالدين بن امين الدين خوارق عظيمة وقد جمع بين علم الظاهر والباطن

ولوالد هـذا العلامة المرشد المشار اليه العلامة المرشد الكامل الشيخ أمين الدين كرامات وخوارق عجيبة جمع علم الظاهر والباطن والكل من هؤلاء الرجال العظام اخذ العلم عن ابيه وكمل عليه العلوم إلا احمد بن حيدر صاحب المحاكمات فانه اخذ عن ابيه العلوم النقلية وبعض العقلية واخذ عن غيره بعض العقلية وسمع الحديث عن عبد الملك العصامي عن الشيخ ابن حجر المكي كما هو مذكور في ثبته .

واخذ جدنا محمد العلم والطريقة عن ابيه پيرالدين عن ابيـه العلامة ابراهيم برهان الدين عن ابيه المرشد الكامل الشيخ علي علاء الدين عن ابيه المرشد الكامل الشيخ صدر الدين عن ابيه سلطان المشايخ الشيخ صفي الدين

ابي الفتح اسحاق عن القطب الشيخ احمد اخي حجة الاسلام أبي حامد الغزالي

واخذ جدنا صفي الدين ايضاً عن ابيه الشيخ امين الدين عن والده العلامة الشيخ صالح عن والده العلامة المرشد الشيخ قطب الدين عن والده العلامة الحافظ المرشد الشيخ صلاح الدين رشيد عن والده محمد الحافظ عن والده المرشد الكامل عوض عن والده العلامة الولي الكبير فيروزشاه عن ابيه الولي الكبير محمدشاه عن ابيه الولي المرشد الكامل شرفشاه عن ابيه الشيخ محمد عن ابيه الشيخ حسن عن ابيه الشيخ محمد عن ابيه الولي الجليل الشيخ ابراهيم الملقب بالادهم عن ابيه الشيخ جعفر عن ابيه الشيخ محمد عن ابيه الشيخ اسماعيل عن ابيه المحدث الحافظ احمد الاعرابي عن ابيه المحدث الحافظ الشيخ محمد عن ابيه الامام ابي محمد القاسم عن ابيه الامام ابي القاسم حمزة عن ابيه الامام الهمام موسى الكاظم عن ابيه الامام جعفر الصادق عن ابيه الامام محمد الباقر عن ابيه الامام زين العابدين عن ابيه الامام الشهيد سيد شباب اهل الجنة وقرة اعين اهل السنة أبي عبدالله الحسين عن ابيه الهمام والبطل الضرغام أسد الله الغالب علي بن ابي طالب امير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين عن سيد المرسلين وافضل العالمين ابن عم المصطفى ﷺ فلله الحمد على هذا النسب العالي ولا ترى نسباً كنسب الحيدرية فى أخذ كل منهم عن أبيه وهو من عجيب الاتفاق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولنرجع الى ما نحن بصدده من عد تآليف السادة الحيدرية وللعلامة الشريف اسماعيل الحيدري وللعلامة الشريف فضل الله الحيدري وللعلامة الشريف فتح الله الحيدري وللعلامة الشريف عاصم الحيدري اخوة جدنا العلامة الفهامة الشريف صبغة الله بن ابراهيم بن حيدر حواشي على تفسير البيضاوي ولاسماعيل المذكور أيضاً حاشية على شرح العضدية القوشجي وعلي القرباغي وله أيضاً شرح

لطيف على رسالة الاصطرلاب وحواشي على الجفر الجامع لمحيي الدين العربي قدس سره ولعاصم المذكور حاشية على الخيالي وللعلامة الولى الشريف صالح الحيدري بن اسماعيل المذكور حواشي على خلاصة الحساب وللعلامة الشريف ابراهيم الحيدري بن عاصم المذكور حواشي على حاشية عبدالحكيم الهندي على الخيالي وله شرح نفيس على رسالة مسألة خلق الاعمال لجلال الدين الدواني وللفاضل الجامع الشريف محمد الحيدري بن فضل الله المذكور آثار عجيبة في كل فن وللعلامة الفهامة الولي الشريف خالد الحيدري والعلامة الشريف عمر الحيدري وللعلامة الشريف محمد الحيدري وللعلامة عباس الحيدري والعلامة الشريف حسين الحيدري اخوة جدنـــا حيدر بن احمد صاحب المحاكمات حواشي دقيقة على كتب علم المنقول . ولحسين المذكور أيضاً حواشي دقيقة على حاشية امير ابي الفتح في آداب البحث ، وللشاب العلامة اللوذعي الشريف غياث الدين الحيدري والعلامة الشريف حيدر مفتي الحنفية ببغداد الحيدري والعلامة الولي المجذوب الشريف محمد امين اخوة جدنا عبدالله بن صبغة الله حواشي على سائر الكتب المعقول وخاصة لغياث الدين فان له حاشية عظيمة علي تحفة ابن حجر المكي وعلى جمع الجوامع في الاصول وعلى مختصر المنتهى في الاصول وعلى اللاري في الحكمة وعلى حاشية عبدالحكيم الهندى على حاشية عبد الغفور على شرح الكافية للجامي وعلى حاشية عصام الدين على الجامي وحاشية على قول احمد علي الفناري وحاشية على رسالة محمد أمين في جهة الوحدة وغير ذلك ، ولحيدر المفتي حواشي تفسير البيضاوي ومحمد امين المذكور مع كونه مجذوباً مستغرقاً في فكر الله تعالى وذكره له آثار عجيبة فى العلوم وكرامات عديدة طاب ثراهم .

وللعلامة المحقق الشريف احمد بن حيدر شقيق جدنا ابراهيم بن حيدر

واخيه الآخر العلامة الفهامة المدقق الشريف عبدالله بن حيدر عدة حواشي على كتب المعقول فمن حواشي احمد المذكور حاشيته الدقيقة على شرح عصام الدين على رسالة البيان ومن حواشي عبدالله المذكور حاشيته الدقيقة النفيسة على حاشية اللاري في الحكمة وقد صارت جادة تقرأ في العراق وحاشيته على حاشية قول أحمد التفتازاني وهي أيضاً تقرأ مع كتب الجادة وحاشيته على حاشية امير أبي الفتح في آداب البحث وحاشيته على شرح عصام الدين على رسالة البيان وعلى شرح رسالة الوضع وعلى شرح رسالة الأدب لعصام الدين أيضاً وحاشيته على كتاب الفرائض من تحفة العلامة ابن حجر المكي وحواشيه على حاشية عبد الغفور على شرح الجامي على الكافية وشرحه على الزوراء للدواني وغير ذلك . ولأولاد أحمد المذكور العلامة الشريف عبد الله والعلامة الشريف عبدالعزيز والعلامة خضر حواشي على كتب المعقول ولخضر حواشي على تحفة ابن حجر وكان عبدالغفور المذكور الالمعي الفكرة وله حواشي دقيقة على حاشية قول احمد وللعلامة المحقق الشريف محمد الاخرس بن خضر الحيدري المذكور حواشي على خلاصة الحساب ولولده العلامة الشريف خضر ابن محمد تفسير لقوله تعالى « الله نور السموات والارض » الآية . وهو مجلد ويا له من كتاب جامع لانواع الدقائق وللعلامة المدقق النحرير محمد بن حسين ابن بنت جدنا أحمد بن حيدر حاشية دقيقة على مير ابي الفتح وعلى عصام الوضع وهما من الكتب المفردة وكان محمد بن حسين من اجل العلماء غمر النسب وبيتنا السادة الحيدرية لم يعطوا بنتاً لأحد الى اليوم إلا لوالد هذا الحبر وللفاضل نعمة الله الحيدري واخيه الصالح عثمان ولدي عاصم بن ابراهيم الحيدري آثار كريمة وللفاضل الصالح بن عبدالله بن حيدر آثار كريمة حسنة وللفاضل المحقق الشريف مفتي الشافعية عبدالله بن غياث الدين الحيدري

تعليقات دقيقة على كتب المعقول .

ولولده الفاضل المحقق الشريف محمد امين حواشي لطيفة على حاشية العلامة محمد بن حسين أيضاً على حاشية مير ابي الفتح ، وللفاضل الذكي الشريف ابراهيم بن صبغة الله بن عاصم الحيدري حواشي على حاشية عبدالحكيم على الخيالي وللذكي اللوذعي الاديب محمدامين ابن عمي الشريف عبدالغفور الحيدري مفتي الشافعية تعليقات لطيفة على حاشـــية العلامة المصر اللقاني على شرح التصريف للتفتازاني وعلى القرباغي وغيرهما وله نظم ونثر رائق مات شاباً .

وللعلامة الفهامة جامع المنقول والمعقول المرشد الشريف مولانا عبيدالله الحيدري مفتي الحنفية ببغداد آثار عجيبة فى كل فن . وله نظم ونثر عجيب رائق فائق وكان يدرس العلوم النقلية والعقلية فى اثناء الفتوى ولا يتكلف لذلك وكان مرشداً في الطريقة النقشبندية العلية وهو اول خليفة لمولانا خالد من خلفاه بغداد .

وحمل الماء على جرة على ظهره بأمر حضرة مولانا خالد قدس سره وسبله فى الازقة والاسواق مع علمه وجلالة منصبه وقدره هضما لنفسه وعجب الناس من ذلك توفي وهو ابن خمس واربعين سنة .

وكان جدي كثير المودة له مشغوفاً بحبه توفي فى طاعون بغداد وكان له ولدان فاضلان أديبان شاعران قد بلغا من الذكاء غاية المراتب وهما عبدالحكيم وعبدالحليم وكان من عجائب المخلوقات في الفطنة والحفظ ولهما النظم والنثر الرائق

وقد شرح عبدالحليم وهو الاصغر رسالة الخطيب فى البيان وهو ابن خمس عشرة سنة وقرأت الاجرومية فى صغري على عبدالحليم ابن عمي المذكور رحمه الله تعالى مات هو واخوه شابين في الطاعون بعد ابيهما بمدة قليلة وكاد والدي يرحمه الله أن يموت من حزنه عليهما وعلى ابيهما . وللعلامة الفاضل الذي

لا يبارى والكامل الاديب الذي لا يجارى ذى الاخلاق الكريمة والشمائل اللطيفة صاحب القلم والتحرير والنظم والتقرير المولى الشريف عمي عبدالقادر صدقى الحيدرى وكان نسخة الكمال في كل علم ومعرفة وهو من حسنات الزمان له آثار عجيبة بديعة في المراسلات والانشاءات والصكوك العربية والتركية والفارسية مما يتعجب منه الناظر املاء وانشاء وخطاً وله كتاب نفيس فى بحث المكفرات كقواطع العلامة ابن حجر المكي وكان كثير المحبة لي ولوالدى توفى فى البصرة ودفن قرب الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه وهو اكبر سناً من اخيه عبدالله وكان رحمه الله تعالى كثير المزاح منطيقاً فصيحاً بليغاً كريماً بهياً حسناً قوى الجدال يألف الكبير والصغير والغني والفقير في غاية التواضع طاب ثراه وجعل الله الجنة مثواه ولجدى اسعد المشار اليه أخ اصغر منه وهو العالم الاديب الشريف عبدالسلام الحيدرى وكان عالماً بالتواريخ والانساب وله الوقوف التام على اخبار الامم السالفة وكان ملازماً لوالدى كثير المحبة له ، وللفاضل سعد الله الحيدرى والفاضل شهاب الدين الحيدرى والفاضل عبدالوهاب الحيدرى والفاضل احمد الحيدرى المشهور بالملا الكبير اليد الطولى فى العلوم العقلية .

هذا وترجمة جميع علماء السادة مع تآليفهم لا يسعه هذا المقام بل نحتاج الى مجلد كامل مستقل وهم يبلغون مقدار ثلثمائة عالم مؤلف ولكن ذكرنا بعضهم وبعض تآليفهم ليعلم الناس جلالة هذا البيت المرفوعة قواعده الى كيت وكيت .

وأما تآليفي وأنا الفقير ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله بن السيد اسعد الحيدرى فكثيرة ولله الحمد فمنها فصيح البيان فى تفسير القرآن التزمت فيه المحاكمة بين المفسرين ، وأعلى الرتبة شرح نظم النخبة فى أصول الحديث

وامداد القاصد للنووى ، وحاشية على الجزء الاول من تحفة المحتاج للعلامة ابن حجر المكي طاب ثراه في فقه الشافعية ، وحاشية على الاشباه والنظائر الفقهية للسيوطي ، وحاشية على الدر المنتقى فى شرح الملتقى فى فقه الحنفية التزمت فيها سياق الفاضل ابن عابدين الدمشقي فى حاشيته على الدر المختار وشرح مقامات الحريرى ، وحاشية على كتاب سيبويه وشرح المقامة الطيفية للسيوطي ، وشرح ديوان أبي العلاء المعري ، وشرح ديوان ابي تمام ، وحاشيته على حاشية عبدالحكيم الهندي على حاشية عبدالغفور اللاري على شرح الجامي على الكافية وحاشيته على حاشية عبدالحكيم على شرح الشمسية فى المنطق وحاشية على حاشيته أيضاً على المطول وحاشية على حاشية جدنا أيضاً على المطول وحاشية على حاشية جدنا خاتمة المحققين المولى الشريف احمد بن حيدر المسماة بالمحاكمات الواقعة على شرح العقائد العضدية للعلامة المحقق جلال الدين الدواني وفك الاشتباك شرح تشريح الافلاك في علم الهيئة وراحة الارواح شرح الاقتراح في اصول النحو للحافظ السيوطي وشرح منظومة آداب البحث والسنوحات فى التصوف وشرح رسالة خلق الاعمال لحضرة مولانا وشيخنا المجدد خالد النقشبندي قدس سره وحاشية على حاشية العلامة المحقق محمد بن حسين بن بنت جدنا احمد بن حيدر على حاشية امير ابي الفتح على شرح رسالة الحنفية في آداب البحث وحاشية على حاشية القرباغي على شرح الايساغوجي فى المنطق وكتاب الحسب في النسب جمعت فيه انساب العرب وما آثرهم واصول الخيل والابل والعلامات الجيدة والردية فيها والصراط المستقيم في الرد على النصارى وكامل التوقيع في فن البديع وامعان الالباب فى الاصطرلاب وحاشية على شرح الشافية للجاربردي في علم الصرف وحاشية على الفية ابن مالك للحافظ السيوطي وتعليقات على مغني اللبيب وعلى حكمة

العين وعلى حاشية اللاري على شرح الهداية في الحكمة وتمليقات على شرح مختصر المنتهى في الاصول وعلى حاشية الوغ بيك على شرح المسعودي فى آداب البحث وعلى حاشية المصري على شرح التصريف وعلى حاشية امير ابي الفتح على شرح التهذيب للدواني فى المنطق وعلى الفاكهي وعلى قول أحمد وعلى شرح السراجية للسيد السند فى الفرائض وعلى غالب كتب المقدمات وغير ذلك من الرسائل المفيدة والالغاز والانشاءات والحمد لله تعالى حمداً يوافى نعمه ويكافي مزيده .

وقد اخذت العلوم عن عدة اعلام سيأتي ان شاء الله تعالى بيانهم ولنرجع الى ما نحن بصدده من بيان علماء العراق الذين ادركت عصرهم واخذت عنهم فأجل من ادركت عصره وانا صغير شيخنا ومقتدانا قطب دائرة الارشاد المرشد العارف بالله الكامل الاستاذ مجدد العصر والاوان شمس الحقيقة والعرفان علامة الدنيا على الاطلاق المشهور في جميع الآفاق صاحب الولاية الكبرى والانفاس القدسية والالهامات الذوقيه الربانية قدوة العارفين وسند الواصلين جامع المنقول والمعقول حاوي الفرع والاصول حجة الاسلام وشيخ الخاص والعام الراكع الساجد - ضياء الدين - حضرة مولانا خالد النقشبندي المجددي العثماني الشافعي قدس سره واعاد علينا بره فاني قد ادركت عصره وجلست في ختمه الخواجكاني بجنبه ودعا لي ولله الحمد فان خليفته عمي العلامة الشريف عبيدالله الحيدري المفتي هو الذي اجلسني بجنبه حين قراءة الختم الشريف وأنا مريض وكان شفائي ببركة جلوسي بجنبه وبدعائه ثم اخذت الطريقة العليه النقشبندية الخالدية من خليفة ولي الله بلا نزاع والمستغرق في فكر مولاه قدوة العارفين ومرشد الكاملين الولي النبوي والسيد الشريف العلوي فقيه عصره مولانا ومقتدانا السيد عبدالغفور المشاهدي الشافعي قدس سره

وكان محبوباً لحضرة مولانا خالد ومن اعظم خلفائه العارفين الكاملين المرشدين ولهذا السيد شيخنا المشار اليه كرامات ظاهرة شاهدت منها كثيراً وكان محبوباً مقبولا معظماً لدى الخواص والعوام وله من مكارم الاخلاق ما يتحير منه الناظر وهو قد سلك اولا على يدي عمنا العلامة الشريف عبيدالله الحيدري المشار اليه ثم خلفه حضرة مولانا خالد قدس سره .

ومن جملة خلفاء حضرة مولانا خالد العالم الولي الكامل العارف المرشد الذي اجمع على حبه والاعتقاد به مولانا الشيخ موسى الجبوري الشافعي والولي العارف العالم الكامل المرشد مولانا الشيخ محمد الجديد الحنفي البغدادي وقد ادركتهما وفزت بدعائهما ونظرهما الاكسيري وهما أيضاً قد سلكا اولا على يدي عمنا الشريف عبيدالله الحيدري المشار اليه ثم خلفهما حضرة مولانا خالد وصارا كشيخنا السيد الشاهدي ومن اعظم خلفاء حضرة مولانا خالد وكان هؤلاء المشايخ الثلاثة العظام مع عمنا المشار اليه كأنهم روح واحدة وعليهم مدار الارشاد في بغداد بعد توجه حضرة مولانا خالد الى الشام وعمي المشار اليه توجه بخدمته الى الشام ثم امر بالعود الى بغداد وخلفاء حضرة مولانا خالد كلهم علماء اعلام ولا يحصى عددهم لكثرتهم في البلاد .

ثم ان علوم حضرة مولانا خالد وخوارقه وكراماته وكرمه ومكارم اخلاقه واتباعه للسنة وجلالة قدره وعلو شأنه وانقياد العلماء الفحول له ومناقبه لا يسعه هذا المقام بل يحتاج الى مجلد ضخم . ثم لما كمل العلوم ودرسها مدة ترك اهله ومدرسته وذهب الى دلهي من بلاد الهند وسلك على يدي قطب العارفين الولي الاكبر مولانا شاه عبد الله الدهلوي فخلفه مع العارف الولي الشيخ ابي سعيد الهندي في يوم واحد وامر حضرة مولاناه خالد بالتوجه الى بغداد للارشاد فعاد وصار له من الشأن ما صار كالشمس في رابعة

النهار وانتفع به من الامم ما لا يحصي عددهم الا الله تعالى وكان قدس سره كثير المحبة لجدى اسعد الحيدرى وجدى من اعظم المخلصين له ونحن معاشر الحيدرية الذين روجنا امر حضرة مولانا خالد فى بغـــداد وخدمناه ابتغاء لمرضاة الله تعالى وقد أخذ حضرة مولانا العلم عن عـــدة علماء منهم العلامة صالح الترماري عن العلامة الولي الشريف عمنا صالح الحيدرى .

ومن اعظم من ادركت عصره واخذت عنه شيخي علامة العلماء واللج الذى لا ينتهي ولكل لج ســاحل ، جامع المنقول والمعقول حاوى الفروع والاصول شيخ الكل فى الكل حجة الاسلام سند العلماء الاعلام الولي الكامل العارف الذى قد بلغ من مكارم الاخلاق وتواضع النفس حداً لم نره فى أحد من المعاصرين مولانا ومقتدانا الشيخ المزورى العمادى قدس سره وقد قرأت عليه صحيح البخارى واجازني بـــه وبجميع الكتب الصحاح وسائر العلوم وقرأت عليه شرح النخبة في اصول الحديث والاشباه والنظائر الفقهية للحافظ السيوطي ولازمت خدمته وفزت بنظره ودعائه وكان كثير المودة لي يعدني كأحد أولاده وكانت له حقوق عظيمة مع جدى العلامة الشريف اسعد الحيدرى وبينهما محبة عظيمة كأنهما اخوان أخـذ العلم عن عدة مشائخ أعلام منهم العلامة الشريف عاصم بن ابراهيم الحيدرى عم جدى المشار اليه وله تآليف عديدة منها حاشيته على تحفة العلامة احمد بن حجر المكي تصدى فيها للجواب عن اعتراضات العلامة ابن قاسم العبادى على الشيخ ابن حجر ومنها حاشيته على شرح عصام الدين على الرسالة الوضعية ومنها شرحه على المسائل الحسابية فى آخر خلاصة الحساب التي تحير فى حلهـا الحكماء وغير ذلك من التعاليق المفيدة واخذ عنه جميع علماء العراق ممن في عصره وهو شيخ مشايخ العراق وكان عندهم بمنزلة الشيخ ابن حجر وقد قرأ تحفة المحتاج للشيخ ابن حجر

اكثر من ثلاثين مرة و بلغ من العمر قريباً من مائة سنة وقرأ تفسير البيضاوى مع حواشيه كذلك ودرس العلوم النقلية والعقلية وكتب الحديث سبعين مرة وقد اخذ الطريقة النقشبندية عن شيخنا قطب العارفين حضرة مولانا خالد قدس سره وكان حضرة مولانا خالد كثير المحبة والاحترام له .

وقد حدثني العالم العامل الشريف الشيخ اسماعيل البرزنجي وكان البرزنجي من خدام حضرة مولانا خالد - بأن العلامة المزورى كان قد نام يوماً قبل الظهر في حجرتي فأتى حضرة مولانا خالد الى زيارة المزورى في حجرتي فرآه نائماً فقبله من فمه ثم خاطبه بقوله : متعنا الله بحيانه .

ومن اجل ما استفدت منه وكنت ملازماً لمجلسه العلامة الفهامة النحرير صاحب اليد الطولى في العلوم العقلية مع التقرير شيخ علماء العراق المشهور في الآفاق فهامة الزمان محقق العصر والاوان العالم العامل الورع التقي النقى مولانا الشيخ عبدالرحمن بن حسين بيك الروزبهاني طاب ثراه وكان من اكابر العلماء العاملين المحترمين ذا جاه ووقار وتؤدة وبهاء وكرم أخذ العلم عن العلامة صبغةالله الزيادي الكروى عن العلامة الولي صالح الحيدرى وأخذ عنه علماء فحول كثيرون وانتفع به الناس انتفاعاً عاماً ودرس العلوم اربعين سنة متوالية وله من التحقيقات ما يكتب على العيون وهو خاتمة المحققين وقد قام فى مقام حضرة مولانا خالد قدس سره ومدرسته في بغداد .

وكان حضرة مولانا خالد يعده في منزلة اخيه لما بينهما من الحقوق القديمة من اوان التحصيل وبالجملة ان حضرة مولانا خالد وجدى العلامة اسعد الحيدرى والعلامة شيخنا المزورى والعلامة شيخنا الروزبهاني المشار اليه كانوا بمنزلة الاخوة في المحبة والعلم والفضل والحقوق إلا أن حضرة مولانا خالد صار رئيسهم لما نال من الولاية الكبرى وهم فى غاية الطاعة والانقياد

والخدمة لحضرته وهو فى غاية الاحترام والتوقير لهم ولا سيما لجدي طاب ثراهم وجعل الله الجنة مأواهم .

هذا وكنت اسأل عن شيخنا العلامة الروزبهاني عن المواضع المشكلة من تحفة العلامة ابن حجر المكي وغيرها من كتب المعقول الدقيقة المأخذ فكان يشفي غليلي شكر الله تعالى سعيه وكان حلال المشكلات لأهل العلم وانطفت بموته انوار العلم فى بغداد وتهدمت قواعد الفضل والرشاد وكان كثير المودة لي ولبيتنا السادة الحيدرية وهو كأنه من بيتنا ولنا معه قرابة نساء كما سبق .

وقد نشأت مع نجله العالم الفاضل النجيب الكريم أخي وحبيبي احمد منذ ايام التحصيل وقرأنا معاً ولم نفترق طال عمره ، وكانت لشيخنا العلامة الروزبهاني المشار اليه اليد الطولى في علم الاصول والكلام والحكمة والمنطق والرياضي وكان فائقاً فى الرياضي على كل أحد ولنجله المشار اليه الفكرة الدقيقة في الرياضي وقد بقي شيخنا المذكور مع شيخنا المزوري كثيراً و بقيا مدة طويلة بعد موت حضرة مولانا خالد قدس سره وجدي ثم بقي الروزبهاني مدة طويلة بعد المزوري .

ومن اجل من ادركته وانتفعت به شيخي وقدوتي العلامة الفهامة النحرير والحبر الذي لا يفي بتفصيل فضائله ومناقبه التقرير والتحرير الولي الزاهد العابد الراكع الساجد الصائم مولانا أحمد بن علي الكلالي البالكي وكان طاب ثراه صائم الدهر لم يزل ساجداً في المحراب أخذ العلم عن عدة علماء منهم العلامة الفهامة المدقق محمد الخطي والعلامة الفهامة ابو بكر الامير رستمي والعلامة الذكي علي الوشي وغيرهم وكمل العلوم على شيخنا العلامة النحرير ومولانا الشيخ عبدالرحمن الروزبهاني المشار اليه وقد لازمت شيخي الكلالي

المذكور عدة سنين وقرأت عليه مغني اللبيب وكتاب سيبويه وخلاصة الحساب وتحفة المحتاج لابن حجر المكي واواخر الاشباه والنظائر الفقهية للسيوطي وحكمة العين مع حاشية السيد السند إلا مباحث الرياضي منها وبعضاً من فن المعاني وجميع فني البيان من المطول مع حاشيته للفاضل المحقق عبدالحكيم الهندي واشكال التأسيس وجمع الجوامع مع حواشيه لابن ابي شريف وشيخ الاسلام زكريا الانصاري إلا اوائله وشرح مختصر المنتهى مع حاشيته للسيد السند والخيالي مع حاشيته لعبدالحكيم إلا أوائله واثبات الواجب وتفسير القاضي البيضاوي وشرح العقائد العضدية للمحقق الدواني مع حاشيته لجدنا العلامة الشريف احمد بن حيدر المسماة بالحاكمات وشرح المطالع مع حاشيته للسيد السند إلا بعضاً من اوائله وشرح المحقق الدواني على تهذيب المنطق مع حاشيته لامير ابي الفتح إلا بعضاً من أوائله وشرح الاندلسية في العروض وشرح الايساغوجي مع حاشيته لمحيي الدين وشرح الالفية للسيوطي وبعضاً من شرح الكافية للجامي وشرح التصريف للتفتازاني وغير ذلك من المقدمات التي قرأتها عليه في عنفوان الشباب شكر الله تعالى سعيه وجزاه عني خير الجزاء وكنت استغرق الوقت حين الدرس من بعد صلاة الصبح الى المغرب سنين كثيرة وكان رحمه الله كثير السعي معي بحيث لا يقرأ عنده أحد الا برخصة مني وكان اهل العلم يحسدونني على ذلك وهو يعتذر عني بأن لي حق عليه مشيخة آبائي واجدادي .

وبالجملة انه لا يستفيد منه أحد غيري من اهل العلم الا اذا سافر الى محل آخر او اغتلس وقتاً وكان في بعض الاحيان يختفي عني في بعض زوايا المسجد للعبادة فكنت افتش عليه والقاه ساجداً في زاوية خفية فاذا فرغ من العبادة قام الى الدّني وكان من حاله انه في اثناء الدرس يقوم ويصلي نفلا ثم

يعود الى الدرس دفعة بعد دفعة وكان يقوم الليل ويصوم النهار ولم أر مثله علماً وعملا وكان لا يتكلم إلا بذكر الله تعالى والعلم .

وقرأ شيخنا هذا تحفة ابن حجر وغيرها على شيخنا حجة الاسلام الشيخ يحيى المزوري والروزبهاني من المفرطين فى حبه واحترامه وكذا سائر العلماء ولما سمعت بموته كدت ان اموت حزناً عليه طاب ثراه وجعل الجنة مثواه وعلى العلم والعبادة السلام وكان بحراً زاخراً في كل العلوم النقلية والعقلية لا يعرض عليه شيء من المشكلات إلا حله بادنى التفات ونظر وهو آية من آيات الله تعالى بين أهل العلم نفعني الله تعالى بعلومه الشريفة وحشرني معه يوم القيامة .

ومن اجل من ادركته واخذت عنه العلم شيخي وسندي الولي العلامة المحقق والفهامة اللوذعي المدقق العالم العامل والورع الصالح الصامت الكامل مولانا ابراهيم بن حسين الرمكي وكان منزوياً عن الناس لا يتكلم بكلام الدنيا مشغولا بالعلم والعبادة اخذ العلم عن عدة اعلام منهم العلامة النحرير محمد الخطي والعلامة علي الرستي وغيرهما وكمل العلوم على العلامة الفهامة شيخنا عبد الرحمن الروزبهاني وقد لازمته أيضاً عدة سنين واستفدت منه وقرأت عليه الفناري مع حواشيه لقول أحمد وعبدالله بن حيدر واخيه ابراهيم بن حيدر الحيدري وبرهان الدين ورسالة جهة الوحدة للفاضل محمد امين مع حواشيها للعلامة الشريف غياث الدين الحيدري وقرأت عليه شرح التهذيب لعبدالله اليزدي مع حاشيته لعبداللطيف وشرح رسالة البيان لعصام الدين مع حواشيه للعلامة الشريف احمد بن حيدر ولأخيه العلامة عبدالله بن حيدر الحيدري وللفاضل المحقق حسن الزهباني وللفاضل الشرانشي وشرح الرسالة الوضعية لعصام الدين مع حواشيه لجدنا العلامة النحرير حيدر ولابن اخته

العلامة محمد بن حسين وللفاضل الشرانشي وقرأت عليه حاشية أمير ابي الفتح في آداب البحث مع حواشيه للعلامـــة الشريف عبدالله بن حيدر الحيدري وللعلامة المدقق محمد بن حسين بن عمته وشرح المسعودي مع حاشية ابن الوغ بيك وحاشيتها لعبد اللطيف في آداب البحث وشرح الشمسية مع حواشيها للسيد السند وداود الخوافي وبعضاً من المطول مع حاشيته لعبدالحكيم الهندي وبعضاً من جمع الجوامع وحواشيه ونبذة من الاشباه الفقهية للسيوطي وجزء من شرح المنهج لشيخ الاسلام زكريا الانصاري وشرح مقدمة الحضرمية لابن حجر ونبذة من تحفة ابن حجر والفوائد المدنية للفاضل المحقق محمد ابن سليمان المدني وحاشية العلامة المصري اللقاني على شرح التصريف للتفتازاني مع حواشيها للعلامة ابن قاسم العبادي وللفاضل المحقق احمد الكردي وحسين الالمعي البرزنجي وقرأت عليه أيضاً حواشي شرح الجامي على الكافية للفاضل عبدالغفور اللاري وعبد الحكيم الهندي وعصام الدين وشرح الشافيـة للجاربردي مع حاشيته لابن جماعة وغير ذلك شكر الله تعالى سعيه .

وكان شيخنا هذا أيضاً كشيخنا العلامة أحمد الكلالي في غاية الشفقة علي والسعي معي وكانا هما كأنهما اخوان وفي الدرس والتحصيل رفيقان فاذا غاب احدهما عني لازمت الآخر قدس الله تعالى روحهما وقـد سافر الى حج بيت الله الحرام وزيارة خير الانام عليه الصلاة والسلام ثم الى مصر ثم الى حلب وتوفى فيهـا وحزن اهل العلم على موته . . . . فانا لله وانا اليه راجعون .

ومن اجل من ادركته واخذت عنه شيخي الولي العلامة الجامع للمنقول والمعقول الزاهد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم مولانا احمـد بن رسول الكراوي المشهور بالواعظ في أربل وكان ينام في المدرسة على الارض ولا

يذهب الى بيته إلا ليالي الجمعة وكان عالماً عاملا واعظاً متعظاً مهاباً عند الخواص والعوام كأنه أسد ضرغام لشدة تقواه وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر وزجره عما لا يرضي الله تعالى ولو كان المرتكب أميراً وكان يأكل الخبز وحده مع الماء غالب الاوقات ولا يقبل من الامراء شيئاً ومناقبه لا تحصى لازمته وقرأت عليه نصفاً من شرح المطالع مع حواشيه للسيد السند والمحقق ميرزا جان ونصفاً من شرح التهذيب للدواني مع حاشيته لأمير ابي الفتح وكان كثير المودة لي ولله الحمد أخذ العلم عن عدة علماء منهم والده الفاضل ومنهم الفاضل عبدالله الكردي والفاضل الشريف صبغة الله بن ابراهيم بن عاصم الحيدري وغير ذلك .

ومن اجل من ادركته واخذت عنه العلم الولي العالم العامل والفاضل الكامل الورع العابد والصالح الزاهد ابو بكر الملقب بكچك الاربلي وكان من اكابر العلماء العاملين ذا جاه واحترام اخذ العلم عن عدة اعلام منهم أبوه الفاضل الصالح عثمان عن العلامة الشريف صالح الحيدري ومنهم الفاضل الذكي عبدالرحيم الزباري ومنهم العلامة المشير داود باشا البغدادي والي بغداد سابقاً وكمل العلوم على شيخنا العلامة الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني وقرأت عليه حاشية القرباغي على شرح الايساغوجي في المنطق وبعضاً من حاشية داود على شرح الشمسية .

ومن اجل من ادركته الفاضل الذكي محمد فيضي السليماني الكردي مفتي الحنفية ببغداد ولهذا الفاضل اليد الطولى فى العلوم العقلية وله قوة الجدل والمناظرة وقد جادل كثيراً من علماء الشيعة وابهتهم وقد اخذ العلم عن عدة اعلام منهم العلامة محمد الذكي الصاوچبلاغي عن العلامة النحرير الشيخ يحيى المزووي عن العلامة الشريف عاصم الحيدري والعلامة الشريف صالح الحيدري

ومن اجل من اخذت عنه العالم الفاضل الكامل المحقق محمود العمر كنيدي وكانت له اليد الطولى فى العلوم الرياضية قرأت عليه تشريح الافلاك فى علم الهيئة واوائل الخيالي مع عبد الحكيم أخذ عن والده الفاضل محمد عرب عن العلامة أحمد الطبقجلي عن جدنا العلامة عبدالرحمن الروزبهانى فهؤلاء من اخذت عنهم العلم واجازوني به - أما من اجازنى - فمن اجلهم الفاضل الجامع للمنقول حاوي الفروع والاصول فقيه الزمان ونخبة الاعيان شيخ الاسلام ومفتي الانام العالم العامل الفاضل والورع التقي العفيف الكامل صاحب الاخلاق المحمدية والشمائل الحسنة المرضية مولانا ومقتدانا حضرة محمد رفيق افندي فاني قد تشرفت بلقائه فى دار الخلافة قسطنطينية والتفت إلي التفات مودة وشفقه ونزت بنظره الاكسيري واجازني بجميع مروياته وكان اذ ذاك أمين الفتوى ثم ولي مشيخة الاسلام ولم أر أحداً بمكارم اخلاقه وتواضعه ومحبته لاهل العلم والطريقة والفقراء وهو من المخلصين لحضرة مولانا خالد قدس سره ومن مريدي بعض خلفائه وله اليد الطولى في العلوم الدينية والاطلاع التام على مذهب ابي حنيفة رضى الله عنه كثير الورع والتقوى والعفة متعنا الله بحياته

ومن اعظم مشايخي ومن اجازنى بجميع العلوم شيخي العلامة النحرير المشير والحبر الذي لا يفي بتفصيل فضائله لسان التقرير جامع المنقول والمعقول حاوي الفروع والاصول صاحب الخيرات والجوامع والمدارس ومن شيد كل فضل دارس حضرة الحاج داود باشا شيخ الحرم الشريف النبوي والوالي فى بغداد سابقاً البغدادي فانه اجازنى بجميع العلوم كما أجازه شيخه جدي العلامة النحرير اسعد الحيدري مفتي الحنفية ببغداد واجازنى بالحديث باجازته عن العلامة «باحسن زين جمل الليل المدنى» وقد درس هذا المشير قبل وزارته وفي اثنائها العلوم النقلية والعقلية ثلاثين سنة واخذ عنه عدة اعلام منهم والدي

رحمه الله تعالى فانه من أخلص ملازميه وطالبيه سنين كثيرة وهو كان كثير المودة لوالدي لأنه اخذ العلم عن ابيه كما قررناه وكان وفياً لم يزل يبر والدي ويكاتبه منذ عزل عن بغداد الى أن توفى رحمه الله تعالى رحمة الابرار واسكنه الجنة دار القرار وكذلك كان يكاتبني ويرسل لي الهدايا خاصة من المدينة المنورة على مشرفها افضل الصلاة والسلام .

وممن أجازني من علماء الروم العالم الفاضل الكامل عبد الرحمن كاملي البرسوي .

واما من قرأت عليه فقه الشافعية والحنفية وعلم الفرائض وكتب النحو والصرف والادب في صغري فمنهم العالم الفاضل الأديب الفقيه محمد سعيد المفتي الحلي وغير ذلك والعالم الفاضل الصالح محمد أروزبهاني والعالم الكامل الصالح عبد الله الداغستاني وغيرهم رحمهم الله تعالى والعالم الفاضل الذكي الأديب محمد الأربلي .

ومن أجل من ادركت عصره العلامة المحقق والفهامة المدقق صاحب الذهن الوقاد والفكر النقاد وشيخ العلماء الورع الصالح اللوذعي محمد الخطي الكردي وكان من اعظم علماء العراق وقد انتفع به خلق كثير وصار شيخ عصره في كل فن وكانت له اليد الطولى في التحقيق والتدقيق اخذ عنه علماء اعلام منهم شيخنا العلامة الولي أحمد الكلالي وشيخنا العلامة الزاهد ابراهيم الرمكي وغيرهم مما لا يحصى عددهم وهو قد اخذ العلم عن عـــدة اعلام منهم علامة الدنيا على الاطلاق مولانا محمد بن آدم ومنهم العلامة أبو بكر الأمير الرستمي وغيرهم وكمل العلوم على شيخنا العلامة الفهامة عبدالرحمن الروزبهاني وقد شرحت تشريح الافلاك وارسلته اليه فاستحسنه غاية الاحسان وقرضه وكان كثير المحبة لي لما بيننا من الحقوق القديمة له آثار دقيقة على بعض كتب

المعقول وله رسالة عجيبة في مسألة العلم من علم الكلام رحمه الله تعالى متبحراً في كل علم منقول ومعقول تشد اليه الرحال من كل جانب .

ومن اعظم من ادركت عصره وأنا صغير وهو نزيل عند جدي العلامة اسعد الحيدري طاب ثراه علامة الدنيا على الاطلاق الفائق على جميع مشائخ العراق صاحب التآليف العديدة والتقريرات المفيدة شيخ الكل في الكل مولانا محمد بن آدم الكردى طاب ثراه وقد قرأ عليه حضرة مولانا خالد قدس سره واخذ عنه كافة فحول العراق وكان جدى العلامة وشيخنا العلامة يحيى المزورى وشيخنا العلامة عبدالرحمن الروزبهانى الذين هم مشايخ علماء العراق كافة يعترفون بفضله وتقدمه وعلمه المحيط وكان بمنزلة الفخر الرازى له اكثر من مائة تأليف فى العلوم النقلية والعقلية وشرح اثبات الواجب الذي هو ارق كتب الكلام من حفظه بدون استمداد من كتب الكلام وكان الآية الكبرى في عصره ولو عدمت كتب العلوم لاستطاع أن يؤلف مثلها من حفظه وهذا ليس على سبيل المبالغة بل بيان للواقع الذى اعترف به جميع علماء العراق وكان كثير الاسفار قوى الدين الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم أخذ العلم عن العلامة الولي عبدالله البايزيدى عن جدنا أفضل المتأخرين العلامة الفهـامة شيخ مشايخ العراق بالاتفاق الولي الشريف صبغة الله الحيدرى قدس سره .

ومن اجل من ادركت عصره العالم الفاضل العلامة ابو بكر الامير رستمي الكردى وكان من مشايخ العلماء المتبحرين أخذ عنه العلامة الخطي وشيخنا العلامة احمد الكلالي وشيخنا العلامة الزاهد ابراهيم الرمكي وغيرهم من الفحول وهو قد اخذ العلم عن العلامة الفهامة الولي جنيد عصره عبدالرحمن الجلبي عن العلامة النحرير الشريف محمد بن خضر الحيدرى وله حواشي دقيقة مفيدة على اكثر كتب

المعقول ولا سيما على حاشية العلامة عبدالحكيم الهندي على شرح الشمسية من المنطق وله اليد الطولى في علم البلاغة وله رسالة فى البيان ورسالة فى علم الوضع وهما من احسن الكتب فى الفنين المذكورين وقد صارا من الكتب الجادة لدى طلبة العلم فى العراق وقد حدثني شيخي العلامة احمد الكلالي وشيخي العلامة ابراهيم الرمكي عن ابي بكر المشار اليه بأنه حدثهما - أنه لما ألف الرسالتين المذكورتين نسبهما للطلبة الى السادة الحيدرية ليحصل تروجهما لما لأهل العلم في العراق من الرغبة التامة فى تآليف الحيدريـــة ولما شاعا وانكب الطلبة على العلم اعلن نفسه .

ومن اجل من ادركت عصره العلامة الذكي احمد المبركي الكردي وكانت له اليد الطولى فى علم آداب البحث أخذ عنه كثير من العلماء وهوأخذ العلم عن العلامة الشريف صالح الحيدري والعلامة الشريف ابراهيم بن عاصم الحيدري .

ومن أجل من ادركت عصره العلامة الفهامة المعمر عبدالله الكلالي الكردي أخذ عنه كثير من الفحول كشيخنا العلامة أحمد الكلالي وشيخنا العلامة ابراهيم الرمكي وغيرهما وهو أخذ العلم عن العلامة الفهامة النحرير محمد ابن آدم عن العلامة الفهامة النحرير محمد بن عبدالله البايزيدي عن افضل المحققين العلامة الهمام الشريف جدنا صبغة الله الحيدري .

ومن اجل من ادركت عصره العلامة المرشد علي الوساني الكردي اخذ العلم عن العلامة النحرير محمد بن آدم وهو من خلفاء حضرة مولانا خالد قدس سره وله حاشية جيدة على حاشية القرباغي .

ومن اجل من ادركت عصره العلامة الفهامة الذكي الأديب اللوذعي الشريف عمي عبدالقادر صدقي الحيدري البغدادي وقد سبقت ترجمته أخذ العلم

عن جدي العلامة الشريف اسعد الحيدري عن العلامة النحرير رسول الشوكي عن جدنا العلامة الولي الشريف عبيدالله الحيدري والد جدي أسعدالحيدري.

ومن اجل من ادركت عصره عمنا العلامة الجامع للمنقول والمعقول المرشد الشريف عمي الشيخ عبيدالله الحيـــدري المفتي النقشبندي البغدادي قدس سره وقد سبقت ترجمته أخذ العلم عن جدي العلامة الشريف اسعد الحيدري وعن العلامة شيخنا عبدالرحمن الروزبهاني وعن شيخه القطب العلامة حضرة مولانا خالد قدس سره وعن العلامة السيد ابراهيم البرزنجي عن جدنا العلامة الولي الشريف عبيدالله الحيدري والد جدى العلامة أسـعد الحيدري واخذ عنه عـدة رجال منهم الفاضل اللوذعي حسين بن سلوم چلبي وعيسى البندنيجي وغيرهم .

ومن اجل من ادركت عصره وأنا صغير العلامة الفهامة المحقق الشريف أحمد المشهور بالكبير نجل عبدالله الحيدري الماوراني أخذ عن ابن عمه جدنا العلامة الولي الشريف عبيدالله الحيدري واخذ عنه والدي وكثير من فحول العلماء

ومن اجل من ادركت عصره العالم الفاضل المحقق الشريف صبغة الله ابن ابراهيم بن عاصم الحيدري الماوراني أخذ العلم عن العلامة صالح الحيدري وكمل العلم على جدي العلامة اسعد الحيدري .

ومن اجل من ادركت عصره العالم الفاضل المحقق الشريف السيد محمدأمين نجل عبدالله الحيدري مفتي الشافعية البغدادي .

ومن اجل من ادركت عصره العالم الفاضل الذكي الشريف السيدابراهيم ابن صبغة الله بن ابراهيم بن عاصم الحيدرى الماوراني .

ومن اجلهم العالم الجامع لانواع الفنون الفاضل الشريف محمد بن خضر الحيدرى الماوراني .

ومن اجلهم الفاضل الشريف عبد العزيز الحيدري الماوراني واخوه الفاضل عبدالغفور الحيدرى .

ومن اجلهم عمنا الفاضل الذكي الشريف عبدالسلام الحيدرى البغدادى

ومن العلماء الذين ادركتهم عمي الفاضل الذكي الشريف عبدالغفور الحيدرى البغدادى مفتي الشافعية طال عمره ووالده الفاضل الأديب الأريب اللبيب السيد محمد أمين وقد توفي شابا رحمه الله تعالى فهؤلاء الذين ادركت عصرهم من العلماء السادة الحيدرية .

وأما الطلبة الذين ادركت عصرهم اولاد عمنا السادة الحيدرية فيبلغون اكثر من خمسين طالباً ذكياً لوذعياً وقد اقتصرت على تراجمهم لأن شهرتهم تغني عن مدحهم وسبق بيان بعض العلماء من غير الحيدرية ولنتم البيان ببعض غير الحيدرية .

فمن أجل من أدركت عصره العالم الفاضل الذكي الجدلي محمد الشوكي الكردى

ومن اجلهم العالم الفاضل المحقق الصالح حسين الاكوى الكردى .

ومن اجلهم العالم الفاضل الذكي محمد القاضي الماوراني الكردى .

ومن أجلهم العالم الفاضل الذكي الأديب محمد الأربلي .

ومن أجلهم العالم العامل محمد الكركوكي .

ومن اجلهم العالم الفاضل عمر العسكرى الكردى .

ومن اجلهم العالم الفاضل المحقق عمر الخيالي الكروى .

ومن اجلهم العالم الفاضل داود الديرى الكردى .

ومن اجلهم العالم الفاضل المرشد الكامل الشيخ هداية الأربلي النقشبندى خليفة حضرة مولانا خالد قدس سره وكان من اكابر العلماء المحترمين وكانت له قوة الفطنة والذكاء أخذ عنه كثير من العلماء وهو أخذ عن حضرة مولانا

خالد قدس سره .

ومن اجلهم العالم الفاضل المحقق اللوذعي الشريف الشيخ عبداللطيف البرزنجي وابن عمه الفاضل الاديب الشريف شيخ اسماعيل البرزنجي وجميع هؤلاء اخذوا العلم عن الحيدرية اما بالذات أو بالواسطة .

ومن أجل من ادركته الفاضل الفهامة اللوذعي علي الموصلي أخذ عن أبيه الفاضل يوسف عن العلامة جرجيس الاربلي عن جدنا العلامة النحرير الشريف صبغة الله الحيدرى وكان حديد المزاج سيء الخلق كثير الدعوى وهو مع فضله وذكائه فيده في العلوم العقلية ليست طويلة واخذ عنه بعض العلماء منهم العالم الاديب محمود الآلوسي .

ومن اجلهم العالم العامل محمد الموصلي وكان مرضي الأخلاق وكانت بينه وبين علي الموصلي عداوة عظيمة ما تلاقيا في مجلس الا تضاربا ومنشأ ذلك ان الناس يميلون الى محمد المذكور لصلاحه اكثر وان كان علي اعلم منه .

ومن اجلهم العالم الفاضل الذكي اللوذعي الاديب الاريب عبدالعزيز الشواف البغدادى وكان حسن الاخلاق اخذ العلم عن العالم الفاضل احمد الزيادى وعن جدنا العلامة الشريف اسعد الحيدرى المفتي البغدادى وكانت له اليد الطولى في العلوم العربية واخذ عنه الفاضل الآلوسي وغيره وكان شقيقه واخوه العالم الكامل الاديب عبدالرزاق الشواف من اهل الفطنة والذكاء وقد ادركته .

ومن اجلهم العالم الفاضل اللوذعي الاديب محمدامين الحلي وكان صاحب فكرة نقادة أخذ العلم عن جدى العلامة الشريف أسعد الحيدرى البغدادى وعن شيخنا العلامة عبد الرحمن الروزبهاني وعن الفاضل علي الموصلي وأخذ عنه الفاضل الآلوسي .

ومن اجلهم العلامة المحقق الصالح أحمد العمر كنيدى الكردى وكان من اجل العلماء المحققين من ذوى الورع والصلاح أخذ العلم عن شيخنا العلامة عبدالرحمن الروزبهاني واخذ عنه كثير من الافاضل وله حواشي لطيفة على كثير من كتب المعقول وشرح جيد جامع على الصغرى فى المنطق للسيد السند

ومن اجلهم العالم الفاضل الذكي الاديب محمود الآلوسي وكان كثير الفاقة ثم ولاه علي باشا والي بغداد افتاء الحنفية أخذ العلم عن الفاضل عبدالعزيز الشواف والفاضل محمد امين الحلي ثم لازم الفاضل علي الموصلي وكمل عليه العلوم وكانت له اليد الطولى فى العلوم النقلية وله النثر العجيب وفكرته فى العلوم العقلية ليست كطول باعه فى العلوم النقلية وقد فسر القرآن وعلق على شرح القطر حاشية وله آثار لطيفة في العربية وكان كثير الحفظ مستحضراً ذكياً لا يمل من مجالسته وكان واعظاً عجيباً كأمثال ابن الجوزى يجتمع في وعظه خلق عظيم .

ومن اجلهم العالم الاديب محمد الطبقجلي البغدادى اخذ العلم عن شيخنا العلامة عبدالرحمن الروزبهاني .

ومن اجلهم العالم الذكي الاديب عيسى البندنيجي اخذ العلم عن عمنا العلامة الشريف الشيخ عبيدالله الحيدرى البغدادي والفاضل حسين الكركوكي ثم لازم شيخنا العلامة عبدالرحمن الروزبهاني وكمل العلوم عليه .

ومن اجلهم العالم الفاضل الفقيه الاديب محمد سعيد افندى المفتي البغدادى أخذ العلم عن جدنا العلامة الشريف اسعد المفتي الحيدرى البغدادى وعن شيخنا العلامة عبدالرحمن الروزبهاني وعن ابيه الفاضل محمدأمين وكانت له اليد الطولى في العلوم العربية والوقوف التام على مذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى وكان جليل القدر واخوه العالم الكامل محمدأسعد من الصالحين وقد ادركته .

ومن اجلهم العالم الفاضل الذكي عبدالله أغا المشهور بطوبال محمدأمين اغا زاده البغدادي وكان صاحب فكرة دقيقة وله حواشي لطيفة على بعض كتب المعقول أخذ العلم عن جدي العلامة أسعد الحيدري المفتي البغدادي .

ومن أجلهم العالم الكامل الاديب حسين بن سلوم چلبي البغـدادي وكان ذكياً أخذ العلم عن جدنا العلامة الشريف الشيخ عبدالله المفتي الحيدري البغدادى وكذلك العالم الاديب محمود بن عمر كاتب الديوان البغدادي اخذ العلم عن عمنا المشار اليه وكانا بمنزلة الاخوين لا يفترقان درساً وصحبة .

ومن اجلهم العالم الكامل درويش بيك البغدادى أخذ العلم عن الفاضل عبدالله مفتي الشافعية ابن غياث الدين الحيدرى البغدادى .

ومن اجلهم العالم الذكي حسين البشدرى الكردى أخذ العلم عن الخطي والمفتي الزهابى .

ومن اجلهم العالم الذكي محمود الدعلانى الكردى أخذ العلم عن الفاضل أبي بكر الاربلي .

ومن اجلهم العالم الكامل الأديب الشيخ داود النقشبندى وهو من خلفاء شيخنا الولي الكامل السيد عبدالغفور المشاهدى قدس سره اخذ العلم عن عدة اعلام منهم شيخنا العلامة عبدالرحمن الروزبهاني .

ومنهم الفاضل الشريف عبدالله الحيـدرى مفتي الشافعية ببغداد ومنهم الفاضل أحمد العمركنبدى وغيرهم .

ومن أجلهم العالم الفاضل البيتواني الكردى أخذ العلم عن العلامة الخطي وغيره ومنهم الذكى محمد أمين الشيخاني . ومنهم العـــالم الصالح الشيخ طه السورسورى والعالم الفاضل محمد الهرشمي .

ومن أجلهم العالم الفاضل الذكى الصالح النجيب أسعد الحلي الكردى .

ومن اجلهم العالم الفاضل الذكى أحمد الشيخ محمود الكردى .

ومن اجلهم العالم الفاضل عبد الله الشيخ محمود الكردى . ومنهم العالم الفاضل محمد البالكي وغير ذلك من الافاضل الذين ادركتهم ممن يطول الكلام بذكرهم ولنقتصر على هذا المقدار وجميع اجازات هؤلاء العلماء وغيرهم من علماء العراق يتصل باجدادنا السادة الحيدرية اما بالذات أو بالواسطة .

الباب السادس

فى بيان انهار بغداد التي فى الجانب الشرقي منها والغربي

فاما التي في الجانب الغربى فمنها الكرخ وهو نهر يجرى بين المحال والدور وكان يأخذ من نهر عيسى بن علي ونهر عيسى وهو يحمل من الفرات وكان عند فوهته قنطرة وعلى جانبيه قرى وضياع كثير حتى اذا انتهى النهر الى المحول تفرعت منه الانهار التي تخرق مدينة السلام ثم يمر الى قرية الباصرية وعليه هناك قنطرة ثم يمر الى الرومية وعليه هناك قنطرة تعرف بالرومية ثم يفضي الى الزياتين وعليه هناك قنطرة ثم يمر الى موضع باعة الاشنان وعليه هناك قنطرة ثم ينتهي الى موضع باعة الشوك وعليه هناك قنطرة ثم يصير الى موضع باعة الرمان وعليه هناك قنطرة ثم يصير الى قنطرة البغيض ثم يمر الى قنطرة البستان ثم الى قنطرة المعيدى ثم الى قنطرة بني زريق ثم يصب في دجلة

ومن انهار بغداد : الصراة وهو نهر يأخذ من نهر عيسى فوق المحول ويسقي ضياعاً كثيرة وتتفرع منه انهار كثيرة الى أن يصل بغداد فيمر بقنطرة العباس ثم يمر بقنطرة الصينيات ثم يمر بقنطرة رحا البطريق وهي قنطرة الزبد ثم يمر بالقنطرة العتيقة ثم بالقنطرة الجديدة ثم يصب في دجلة ويحمل من الصراة نهر يقال له الخندق يدور حول سور مدينة السلام مما يلي

الحربية الى ان يصل الى باب الانبار وهناك عليه القنطرة ثم يمر بباب الحديد وعليه هناك قنطرة ثم يمر بوسط قطيعة أم جعفر ويصب في دجلة ويحمل من نهر عيسى نهر يقال له كرخايا أوله تحت المحول ويمر في وسط طسوج بادوريا وتتفرع منه أنهار كثيرة تنبت في ضياع على جانبيه الى أن يدخل بغداد من موضع يقال له أبو قبيصة ويمر الى قنطرة قطيعة اليهود ثم الى درب الحجارة وقنطرة البيمارستان وباب المحول ويتفرع منه انهار الكرخ كلها .

فمن انهار الكرخ نهر يقال له نهر رزين يؤخذ في ربض حميد فيدور فيه ثم ينتهي الى سويقة أبي الورد ثم يمر الى بركة زلزل فيدور فيها ثم يمضي الى باب طاق الحرابي ثم يصب في الصراة اسفل من القنطرة الجديدة ويحمل من نهر باب سويقة ابي الورد نهر يعبر منه على عبارة على القنطرة العتيقة ويمر الى شارع باب الكوفة فيدخل من هناك الى مدينة المنصور ويمر النهر من باب الكوفة الى شارع القحاطبة ثم الى باب الشام ويمر في شارع الجسر الى الزبيدية ثم يمر نهر كرخايا من قنطرة البيمارستان فاذا صار الى الدرابات سمي هناك العمود وهو الذي تتفرع منه انهار الكرخ الداخلة فيمر النهر من هناك الى موضع يعرف بالواسطين ثم الى موضع يسمى الخفقة فيحمل منه هناك نهر البزازين فيخرج في شارع المنصور ثم يمر الى دار كعب ثم يخرج الى باب الكرخ ثم يدخل البزازين ثم يمر الى الخزازين ويدخل في اصحاب الصابون ثم يصب في دجلة ثم يمر النهر الكبير من المخفقة الى طرف مربعة الزيات فيقطف منه هناك نهر يقال له نهر الدجاج فيأخذ الى أصحاب القصب وشارع القيارين ثم يصب في دجلة عند سوق الطعام ويمر النهر الكبير من مربعة الزيات الى دوارة الحمار فيقطف منه هناك نهر يقال له نهر قطيعة الكلاب حتى يصب تحت قنطرة الشوك في نهر عيسى ويمر النهر الكبير من دوارة الحمار

الى موضع يقال له مربعة صالح فيقطف منه هناك نهر يقال له نهر القلايين ثم يمر الى السواقين ثم الى اصحاب القصب ويصب في نهر الدجاج فيصيران نهراً واحداً ويمر النهر الكبير من مربعة صالح الى موضع يعرف بنهر طابق ثم يصب في نهر عيسى عند دار البطيخ فهذه انهار الكرخ .

واما أنهار الحربية فمنها نهر يحمل من دجيل يقال له نهر بطاطبا أوله عند أسفل فوهة دجيل بست فراسخ يسقي ضياعاً وقرى كثيرة في وسط مسكن ويحمل منه نهر اول أسفل جسر بطاطبا بشيء يسير ويجيء نحو مدينة السلام فيمر على عبارة قنطرة باب السلام ثم يدخل بغداد فيمر في شارع الأنبار والى شارع الكبش ويحمل من نهر بطاطبا نهر أسفل من الاول يجيء نحو بغداد فيمر على عبارة يقال لها الكرخ بين باب حرب وباب الحديد فيدخل بغـــداد من هناك ويمر في شارع دجيل الى مربعة الفرس فيحمل هناك منه نهر ويمر النهر الكبير من مربعة الفرس الى قنطرة أبي الجوز فيحمل منه من هناك نهر الى كتاب اليتامى والى مربعة شبيب ويصب في نهر الشارع ويمر النهر الكبير في قنطرة ابي الجوز الى الشارع وقصر هاني ثم الى البستان ويصب في النهر الذي يمر في شارع القحطانية ويمر من نهر بطاطبا نهر أوله اسفل من قناة الكرخ يجيء بغداد ويمر على عبارة قنطرة باب حرب فيدخل من هناك في وسط الشارع باب حرب ثم يجيء الى مربعة أبي الفضل العباس ثم الى مربعة شبيب ثم الى باب الشام فيصب في نهر باب الشام وهذه الانهار كلها مكشوفة إلا التي في الحربيـــــة فانها قنوات تحت الارض واوائلها مكشوف .

أقول وبغداد المذكورة كانت في الجانب الغربي من الرصافة وما بقي منها الآن إلا القليل بالنسبة الى القديم وقد أمحت آثارها القديمة وما سبق

من محلة الانبار محاليل بغداد القديمة فهو في عصرنا محلة من محاليل قصبة موسى الكاظم رضي الله تعالى عنه بينها و بين الجانب الغربي الموجود الآن صحراء مسافة نحو ساعة ولكن في تلك الصحراء بساتين والجانب الغربي الموجود الآن ممتد على شاطيء دجلة بعضه الكرخ وبعضه الكريمات ومابعدها الكرادة مشتملة على بساتين كثيرة وكانت في الاصل من بغداد واكثر الانهار السابقة التى كانت تجري فى بغداد وقد صارت اليوم مقاطيع ومزارع وبعض الانهار جارية وبعضها مندرسة وقد تبدلت اسماؤها فى عصرنا .

ومن الانهار الموجودة الآن في الجانب الغربي المحمودية واسكندرية ورضوانيـة وابو غريب والدجيل والمسيب وأنهار الجانب الغربي الموجودة الآن كثيرة يشق عدها وغيرذلك من المقاطيع العظيمة ولا حاجة لنا بذكرها لأنها معلومة وانما الغرض بيان الانهار القديمة .

واما الانهار التي فى الجانب الشرقى فمنها نهر موسى يأخذ من نهر بين الى أن يصل الى قصر المعتضد بالله المعروف بالثريا فيدخل القصر ويدور فيه ويخرج منه ويصير الى موضع يقال له مقسم الماء فينقسم هناك ثلاثة أنهار يمر الأول الى باب سوق الدواب ثم الى دار الباتوجة ويفنى هناك ويدخل بعضه الى العلافين فينصب فى نهر حضرة المعتضد ويمر شيء منه الى باب سوق الغنم ثم الى خنـدق العباس بباب الحرم ويبز فى دجلة ويمر نهر موسى أيضاً الى قنطرة الانصار فيحمل منه هناك ثلاثة انهار يصب أحـدها فى حوض الانصار والثاني في حوض هيلانـة والثالث في حوض . ويمر نهر موسى أيضاً الى قصر المعتصم بالله فيحمل منه هناك نهر يمر الى سوق العطش في وسط شارع كرم العرس ويصب فى دار علي بن محمد الغراب الوزير ويفنى هناك ويمر نهر موسى أيضاً ملاصقاً لقصر المعتصم الى أن يخرج الى شـارع عمر

الرومي ثم يدخل بستان الزاهر ويسقيه ويصب فى دجلة أسفل البستان ثم يمر النهر الثاني من المقسم الى باب بيرز فيدخل البلد من هناك ويسمى نهر معلى ويمر بين الدور ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة ويمر النهر الثالث من المقسم الى باب قطمة موشجير ثم يدخل الى القصر الحسني فيدور فيه ثم يصب في دجلة .

قال النويري في التاريخ : ويحمل من نهر الخالص نهر يقال له نهر الفضل الى أن ينتهي الى باب الشماسة فيأخذ منه نهر يقال له نهر المهــدي ويدخل فى المدينة في الشارع المعروف بشارع المهدي ثم يجيء الى قنطرة البردان ويدخل دار الروميين ويخرج الى سويقة نصر بن مالك ثم يدخل الرصافة ويمر في المسجد الجامع الى بستان حفص ويصب في بركة فى جوف قصر الرصافة ويحمل من هذا النهر نهراً أوله في سويقة نصر ثم وسط شارع باب خراسان الى أن يصب فى نهر الفضل بباب خراسان فهذه من جملة انهار الجانب الشرقي القديمة .

فاقول واما فى عصرنا هذا فليس في الجانب الشرقى من تلك الانهار الداخلة فى البلد القديمة شيء سوى نهر الخالص وهو نهر عظيم تخرج منه انهار كثيرة بعيدة عن بغداد مقدار سبع ساعات حوله قرى كثيرة ذات نخيل وأشجار وبساتين كثيرة وهو مقاطعة جسيمة .

ومن الانهار الموجودة الآن فى الجانب الشرقي نهر دياله وهو نهر عظيم يخرج منه نهر الخالص ونهر خريسان وحول نهر خريسان قرى وانهار كثيرة ونهر خريسان مقاطعة جسيمة .

ومن الانهار الموجودة الآن فى الجانب الشرقى نهر مهروت وهومقاطعة جسيمة وشهربان والهارونية ونهر بندنيسج ونارين وغيرها .

وأما نهر شروين فقد أحياه جدي العلامة الشريف أسعد الحيدري مفتي بغداد بماله ورجاله في ايام الوزير العلامة داود باشا (١) بعد أن كان مندرساً مدة طويلة وصار مقاطعة جسيمة وكان فى تصرفنا الى الطاعون ثم غصبه منا علي رضا باشا والي بغداد (٢) وهو موجود الى الآن إلا أنه بعد غصبه منا آل الى الخراب لأن منفعته ليست كالاول .

هذا ما وقفت عليه من أحوال بغداد مدينة السلام .

---

(١) تولى بغداد من سنة ١٢٣٢ — ١٢٤٤ هـ ١٨١٧ — ١٨٢٨ م

(٢) الذي وقع سنة ١٢٤١ هـ (١٨٣١ م) .

احوال البصرة

الباب الاول

في بيان مدينة البصرة القديمة والجديدة ومسافتها وبنائها وبانيها وبعض احوالها

قال بعض المؤرخين بناها المسلمون على عهد الصحابة رضي الله عنهم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم خطها وبناها وساق اليها سبعين الف بيت من اشراف العرب من سكان البادية واسكنهم فيها وهي بلدة عظيمة عامرة قرب البحر كثيرة النخيل والاشجار والانهار ملحة الماء سبخة التراب كان فيها خلق لا يحصي عددهم الا الله تعالى واحصى من كان فيها من المساكن فكان مائة الف وستون الف واحصيت مساجدها فكانت مائة وسبعة عشر الف وفيها نخيل وبساتين متصلة نيف وخمسون فرسخاً كانها غرست في يوم واحد واحصيت انهارها فكانت مائة وعشرين الفاً منها ما يجري فيه الزورق ومن عجائبها انك لو التمست ذبابة واحدة على رطبها في البساتين او على معاصرها ما وجدتها وكذلك الغربان لا توجد فيها فلا تجد غراباً ساقطاً على نخلة من نخيلها في جميع الدهر واني قد امعنت النظر حين خروجي الى الجنوب وقت التمر فلم اجد ذباباً ولا غراباً وهذا من عجائب الأمور وهو من لطف الله تعالى ولولا لطفه لتساقطت ثمرات النخيل بنقر الغربان لان ثمر البصرة مع كثرته التي لا تحصى سريع السقوط . وذكر بعضهم ان ذلك لطلسم عليها ولا يبعد

وكان فيها جامع عظيم علق على جداره سبعون الف حلقة من حديد لربط خيل من يدخل الجامع من اشراف العرب واكابر الناس والواردين من النواحي للاستفادة وآثاره موجودة وفيه كان مجلس الخليل وسيبويه وحسن البصري وابن سيرين وحماد وامثالهم من الأئمة العظام لافادة العلم وكان فيها من العلماء واهل الفضل والمجتهدين والتجار والصنائع والعمارة والاموال ما لا يمكن الاحاطة به وهي من اعظم بلاد الاسلام بل لم يخلق مثلها في البلاد وسكانها لا يحتاجون الى ركوب الخيل اذا ساروا الى الجنوب وما حاذاه من النواحي لانهم يركبون الزورق ويسيرون في الانهار ومن فوقهم الاشجار مظلة وهو من عجائب الدنيا واني قد رأيت اكثر البلاد كمصر والشام وسائر البلاد العربية والرومية فلم أر بلدة مثل البصرة ويا لها من بلدة يتحير الناظر من عجائب ما فيها من البساتين والانهار (وما راء كمن سمعا) . .

وهي بندر بلاد الهند ومعدن التجار والعلوم ومنشأ المجتهدين الاعلام كامثال ابن سيرين وحسن البصري وحماد والخليل ويونس وسيبويه والاخفش وغيرهم من الفقهاء والمفسرين واهل العربية والزهاد والصحابة وكبار التابعين رضي الله عنهم ممن لا يحصى عددهم وكانت تسمى خزانة العرب وقبة الاسلام كما كانت الكوفة تسمى قبة الاسلام .

وكان فيها نهر عظيم يجري في وسطها حفره عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمى نهر عمر ورسومه موجودة وكانت في ايام العباسيين في غاية العمارة وحاصرها اصحاب نافع بن الازرق ونهبوها واخرجوا كثيراً من اهلها ثم حاصرها المهلب واخرج بقية اهلها منها وهزمهم الى الفرات ثم الى الاهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان . . ويحكى انهم عادوا اليها ولكن خرب بعضها ثم خربت بالطواعين وكان خرابها سنة سبعمائة وواحدة من الهجرة النبوية

وطولها مقدار ست ساعات وعرضها مقدار ثلاث ساعات ورسومها باقية ودفن فيها من الصحابة رضي الله تعالى عنهم خلق كثير منهم الزبير بن العوام وطلحة وانس بن مالك وعتبة ومن التابعين رضي الله عنهم كثير منهم حسن البصري وابن سيرين وحماد ممن لا يحصى عددهم وقد زرت هـذه المشاهد وآثار البلدة موجودة وهذه هي البصرة القديمة .

واما البصرة الجديدة فهي بعيدة عن القديمة مقدار ساعتين . . ومقدار طول ما حول سورها ساعتان ونصف وقد خرب اكثرها ولم يبق إلا نبذة قليلة خربتها الطواعين . .

وكانت غاية عمارة الجديدة في ايام الوزير الكامل العاقل الحادي عشر سليمان باشا والي بغداد المشهور بالكبير رحمه الله تعالى ، فانه قبل وزارته كان متصرفاً في البصرة فبسط فيها بساط العدل وكذا فى بغـداد فحكم فى العراق اربعاً وعشرين سنة وعمر البلاد وكثرت العلماء والتجار والاموال والحرث والعمارة والامن في ايام دولته بحيث صارت بغداد وما حولها كحالها فى ايام هارون الرشيد « شكر الله سعيه » .

وبعد وفاته هاجت الفتن في العراق فلم يستقر وزير في بغداد مدة بل كان بعضهم يقتل بعضاً الى أن ولي الوزير العلامة الكامل المهاب داود باشـــا رحمه الله تعالى فحكم فيها خمس عشرة سنة وقتل كثيراً من اهل الفساد فاستقر امره وزادت بغداد في وقته علماً وفضلا وعمارة .

وكان كثير الاحترام لاهل العلم على سيرة المرحوم سليمان باشا المشار اليه الا انه في آخر أيامه ازداد طمعه فى اموال الرعايا وساءت سيرته معهم .

واما عصيانه على الدولة العلية فلم يكن حقيقة بل من الحاح الدفتردار الذي ورد اليه من الدولة العلية فانه طلب الخروج من بغداد الى الدولة العلية فابى

الدفتردار وطلب قتله وعالجـه اياماً على الخروج فلم يستقر رأي الدفتردار الى على قتله فاضطر الى قتل الدفتردار فقتله . . ومع ذلك فله آثار حميدة وعمارات عجيبة ، بنى جوامع ومساجد ومدارس كثيرة وجعل عليها اوقافا كثيرة . وكان له على ابي وجدي من الايادي والنعم ما لا يحصى ، رحمه الله تعالى رحمة الابرار واسكنه الجنة دار القرار .

ثم صار الكامل الفاضل عبدالله اغا متصرف البصرة بعد الوزير المشير سليمان باشا رحمه الله تعالى ، فانه لما ولي وزارة بغداد جعل الآغا المشار اليه متصرفا في البصرة فاحسن السيرة فيها وسعى في بقاء عمارتها وعامل اهلها باحسن المعاملة على سيرة الباشا المشار اليه ، وبقيت عمارة البصرة الجـديدة الى أيام المرحوم داود باشا ثم خربت بالطاعون وصار اكثرهـا بلاقع ولم يأت الى البصرة متصرف يقوم بأعباء عمارتها بعد المرحوم سليمان باشا سوى عبدالله اغا المشار اليه رحمه الله تعالى .

وفي سنة الف وثمانية وسبعين دخلت البصرة في تصرف دولة آل عثمان ارسل السلطان محمد وزيره قره مصطفى باشا فاخذها فى تلك السنة من بعض امراء البصرة ثم تغلب عليها فرح بن مطلب صاحب الجزيرة فتوجهت اليه عساكر دولة آل عثمان فاخرجوه منها وملكوا البصرة فى سنة احدى عشرة ومائة والف . .

ولخرابها اسباب منها الطاعون ومنها وخامة الهواء الحاصلة من انكسار سد الجزائر واحاطة الماء بها ولكن هواءها قد اعتدل الآن وقلت امراضها وصح مزاجها ولم اقف على سببه .

ومنها كثرة المظالم فيها ، واهلها فى غاية السكانة والبلاهة بمنزلة الانعام توارد كثير من المتصرفين الى البصرة وظلموا أهلها واخذوا منهم اموالا كثيرة

لا تحصى ولا سيما الملعون سليمان بك ، ولم يشتك أحد منهم حاله الى والي بغداد مع كثرة المظالم عليهم بحيث بلغ الجور عليهم عنان السماء على ما تواترت بذلك الاخبار .

واهل البصرة والجنوب من اهل السنة والجماعة على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه . . واما سكنة شط العرب فهم رفضة ، والرفضة الذين في البصرة ليسوا من اهل البصرة بل من العجم والبحرين وبعض اهل البادية من شط العرب وغيرهم ممن ترفض فان كل بصري الأصل سني وكذا كل جنوبي سني وترفض اهل شط العرب وغيرهم من نواحي البصرة انما هو لعدم العلماء في البصرة ونواحيها . .

والبصرة بعد أن كانت دار العلم ومعدن المجتهدين والفضلاء ـ وكانت أقوال البصريين مرجحة على اقوال الكوفيين ـ صارت اليوم دار الجهل ، فانه لا يوجد فيها في عصرنا هذا عالم ولا طالب يقرأ الآجرومية اصلا ، وليس فيها من له قابلية التعلم لغلبة البلادة على اهلها سوى بعض التجار من آل زهير ونجد فان فيهم فطنة وذكاءاً حاذقاً فسبحان الذي يغير العالم ولا يتغير . .

وقد بعدوا عن التمدن غاية البعد إلا بعض من ذكرنا ممن سافر الى البلاد ورأى الناس . .

وهم محتاجون الى التعليم والتربية والى سوق العلماء وبناء المدارس والمكاتب وبث الصنايع والمعارف فيهم .

وأما الجنوب ففيه بعض من يقرأ مقداراً من فقه الشافعية ولذا لم تعترهم شائبة الرفض بل هم اهل ديانة وكرم ومكانة . .

واما قصبة سيدنا الزبير رضي الله عنه قرب البصرة ـ وهي في الاصل من محاليل البصرة القديمة ـ فاهلها كلهم من اهل السنة والجماعة على مذهب الامام

احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ، وفيهم بعض علماء الحنابلة وكثير من طلبة الفقه على مذهب ابن حنبل من ذوي الفهم والذكاء ولهم الصلابة التامة في مثل اهل السنة والجماعة والديانة وملازمة الجماعات والعبادات والصناعة ومع ذلك فهم من أهل الشجاعة والاقدام وكلهم من نجد ذوي البأس الشديد الذي ذكره الله فى كلامه القديم . .

وبالجملة ان اهل الجنوب من أهل البصرة من اكرم الناس ومن ذوي الطبائع السليمة والاخلاق السهلة الانيسة . . . الغريب لديهم مكرم والنزيل عندهم محترم . . امارة النجابة العربية عليهم ظاهرة ودلائل الشيم العربية عليهم باهرة ، ان اوذوا تحملوا وان كلفوا بما لاطاقة لهم به قبلوا وان غدروا سامحوا وان ظلموا سكتوا . . الاحتيال لديهم مفقود وصفاء الخاطر فيهم موجود .

واني قد درت اكثر البلاد المحروسة ووقفت على محالهـــا المندرسة والمأنوسة فلم اجد اناساً كالجنوب من اهل البصرة في تلك الطريقة فهذا حال من هو من اهلها لا مجازاً بل على الحقيقة الا انها قد استولى عليها الخراب كما ذكرنا فعادت بلاقع وسكنها كثير من لئام المواقع ، ولم ار بلدة ولا قرية بمثابة البصرة في خراب دورها وتسلط الاجانب عليها وعلى اهلها وفي عدم اهل العلم فيها وانهدام جوامعها ومدارسها . . بعد ان كانت معدن علم الدنيا فيا لها من مصيبة يحزن عليها المسلمون فانا لله وانا اليه راجعون .

وقد زاد في خرابها متصرفها سليمان بك فانه ظلم اهلها واخـذ منهم ما لا تحصيه الاقلام وسرق اموال الدولة العلية وباع كثيراً من املاك الدولة العلية الى الاهالي والاعاجم ودمر الخزينة ولعب بالبصرة لعب الاولاد بالطين وقد عرضت احواله الى تقي الدين باشا والي بغداد سابقاً فورد الامر بالامتزاج معه ، وعرض بعض الناس احواله الى نامق باشا فلم يفد ايضاً .

هذا والبساتين الموجودة فى البصرة ونواحيها ذات النخيل والاشجار والانهار حدها من القرنة الى رأس البحر المسمى بالفاو ويبلغ مقدار ثلاثين ساعة بسير الفارس . . اما الماشي فالمسافة بالنسبة اليه اكثر . . والفرج بين ذلك الخالية عن النخيل ثلاثة يسيرة من البصرة الى الدواسر ، ومن القرنة الى الكوت الفرنكي اكثر ولكنها بالنسبة الى المتصلة بعضها ببعض مقدار عشرين ساعة طولا على طرفى شط العرب ، واما عرضها ففى الجنوب يبلغ اكثر من ثلاث ساعات وهى ذات نخيل واشجار وفواكه لا تحصى كثرة . .

وحد البساتين شرقاً فهو من اكتيبان سبع قصبات وجنوباً الى الفاو وشمالا الى العنبري .

هذا وان الكويت من ملحقات البصرة فهي منها مسيرة ستة وعشرين ساعة وقد امتلأت اليوم من التجار النجادة المسافرين الى الهند وصارت محل التجارة الوفية ، وفيها خلق كثير وسفن بحرية كثيرة . . ولا يزالون يترددون على البصرة ولبعضهم املاك فى البصرة وكلهم من اهل السنة والجماعة ، بعضهم شافعية وبعضهم مالكية وبعضهم حنبلية ، وهم من نجد اجتمعوا هناك وارضها سبخة لا انهار فيها ولا اشجار وانما يشربون ماء المطر وهي على ساحل البحر واهلها اهل ثروة تامة . .

وفيها بعض أهل العلم من الشافعية والحنبلية وليس فيها شيء من الرسومات سوى الكمرك لشيخهم . . ومع ذلك فلشيخهم وظيفة سنوية مقدار مائة كارة تمر من الدولة العلية وهم مع كونهم تبعة الدولة العلية ومن ملحقات البصرة بعيدون عن احكام السياسة ولكن لا فائدة فى بلدهم سوى التجارة ، واجتماعهم هناك على صلاح .

الباب الثانى

فى بيان بيوت البصرة الرفيعة

فمن بيوتها الرفيعة العماد بيت المفتي الحلي ، وهو بيت فضل ومجد قديم وقد خمدت نارهم ولم يبق منهم احد وهذه دورهم بلاقع . .

وكان افتاء الحنفية منحصراً فى بيتهم أباً عن جد مقدار ثلاثمائة سنة فانقرضوا وعادت اموالهم واملاكهم العظيمة لبيت المال ، إلا أن نقيب البصرة عبدالرحمن واخاه محمدسعيد استوليا عليها لأنهما من افاضلها واشرافها وساداتها

ومنها بيت الرفاعي وهو بيت مشيخة وشرف وفضل وقد نشأ فيهم رجال ادركت منهم الكامل الكريم الصالح الشيخ رجب نقيب البصرة .

وذلك حين قدومه الى بغداد ونزوله فى بيتنا ايام وزارة العلامة داود باشا وانا صغير السن . . وبيتهم بيت خير وطريقة .

وكان الشيخ المذكور من ذوي الخير والجاه الكبير وصاحب الحلقة ، وكان يطعم الطعام للفقراء ويقرى الضيف ، وهو من خيار الناس رحمه الله تعالى

وقد بقي من هذا البيت عدة اناس منهم فى البصرة ومنهم فى الجنوب ومنهم في الكويت . .

ومن البيوت الرفيعة العماد بيت الزهير وهو بيت مجد وتجارة ورياسة وخير وصدقات ، ولهم الثروة التامة والتقدم والجـاه كابراً عن كابر وكانت لاسلافهم الصولة فى البصرة ولهم وقايع عظيمةمع عشيرة كعب حيث ان كعباً هجموا على نهب البصرة بعد عزل داود باشا عن بغداد وقبل ورود علي رضا باشا اليها فقاتلهم آل زهير مع عشيرة النجادة ودحروهم ومنعوهم عن البصرة وهذه همة عالية وخدمة صادقة للدولة العلية . .

وقد نشأ فيهم رجال ثقاة كبار منهم الشيخ علي وكان احنف عصره في العقل والرأي والهمة من دهاة العرب وكذلك اخوته الشيخ عبد الرزاق وعبد العزيز وعيسى وعبدالوهاب وعبداللطيف وغيرهم فهؤلاء كلهم من الرجال الدهاة ولهم الجاه والحيثية التامة ولهم الخدم والتعلقات الوافرة وكانت لهم عطايا كثيرة وكان ابوهم الحاج يوسف من اكابر الناس وخيارهم ذا تقوى وصدقات واخوه الحاج سليمان من الكاملين الابرار وكان متوطناً في حلب وقد بنى جامعاً قرب بيته ، وشقيقه يوسف المشار اليه كان في قصبة سيدنا الزبير رضي الله عنه وله بيت في البصرة أيضاً وكانا خليطين ثم بعد وفاة الشيخ علي المذكور استولى عيسى شيخ المنتفك على البصرة وقتل منهم الشيخ عبدالرزاق وعبدالوهاب وخالد واحمد ومصطفى ظلماً وأخذ اموالهم وغصب املاكهم وجعل بيوتهم خاوية ويا لها من حادثة تضيق منها صدور المسلمين من ذوي المروءة ..

وتشتت اولادهم في البلدان وانطفت نارهم مدة قليلة ثم اتى عبداللطيف الزهير من حلب الى بغداد فحصل له الجاه وتقلد رياسة التجارة في بغداد .

ثم قام منهم في البصرة الآن محمد چلبي بن عثمان من آل زهير باحياء بيتهم القديم وجمع الاولاد وآواهم وسعى في عمارة الآثار القديمة فوفق لذلك فاحيا ما اندرس من آثار آبائهم وعاد بهم كالاول لأن اسلافهم من الاخيار والله يستحي ان ينزع السر من اهله .

ومحمد چلبي المذكور من دهاة الرجال من ذوي الصدق والهمة والخير كان احنف عصره رأياً وادباً ووقاراً وهمة وبقي منهم أيضاً الشيخ سليمان ابن الشيخ عبدالرزاق المذكور شيخ السجادة في قصبة الزبير رضي الله عنه ، وله الاخلاق الكريمة ، ذو خير ووفاء وادب وكرم ..

وهو من أكابر العرب يقرى الضيف ويبذل الطعام لكل وارد ،

بشوش كريم وفي حليم . .

ومنهم الرشيد الكامل الهميم المنطيق قاسم چلبي نجل محمد چلبي المشار اليه وهو من الافراد فى الهمة والرشادة والذكاء .

وبقي منهم أيضاً عدة أخيار واصلهم من حرب على ما حدثني الصاحب النجيب محمد العبدالوهاب النجدي من العارض موضع في نجد ثم سكنوا قصبة الزبير والبصرة وسكن بعضهم في بغـــداد وبعضهم فى حلب ، ولهم الاعتبار والشهرة في جميع هذه المواضع ولنا مع هـــذا البيت حقوق عظيمة موروثة من الآباء . .

ومن البيوت الرفيعة في البصرة بيت الرديني وهو بيت شرف وسيادة وفضل ومجد ونشأ فيهم رجال كرام منهم الكامل الفاضل السيد محمد الرديني فانه بنى مدرسة فوقف عليها كتباً كثيرة من كل فن تبلغ مقدار ثلاثة آلاف فأكثر وقد اندرست المدرسة وتفرقت الكتب بزوال العلم من البصرة .

وبقي منهم عدة اخيار كرام ، واصلح من بقي منهم السيد يعقوب . .

ومنها بيت الكواز وهو بيت مجد رفيع وفضل وخير وافر ، ونشأ فيهم عدة رجال اخيار كرام كامثال الشيخ احمد والشيخ درويش وكانا من اكابر الناس من ذوي الخير والجاه والمال الوافر والصدقات ، وكان جدهم الاعلى الشيخ أنس من الاكابر وهم من اولاد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما . .

وبقي منهم بعض الناس . .

وقد نزل جدي العلامة الشريف اسعد الحيدري مفتى الحنفية ببغداد فى بيت الشيخ احمد فاحترمه واجله وخدمه بما يتحير به الناظر على ما ذكره الفاضل عثمان بن سند في تراجم علماء بغداد ولنا معهم أيضاً حقوق موروثة عن الآباء حيث ان تعلقنا بالبصرة قديم لأن جزية البصرة كانت لاجدادنا

من القديم . .

ومنها بيت السادة الطباطبائية وهو بيت علم وصدق وسيادة وأدب قد شهدت بصحة سيادتهم الطبقات وكتب التواريخ كابن خلكان وغيرهم ،

وجدهم الاعلى الشريف ابراهيم طباطبا كان نقيب الاشراف فى مصر وكان من اكابر اهل عصره ومن اجل الاشراف ، وكان الثغ يسمي القبا (طبا) فقال لغلامه طبا طبا لما سأله غلامه عن القباء الذي امر باتيانه على ما في تاريخ ابن خلكان . .

وهو بيت عظيم الشرف والفضل وقد نشأ فيهم عدة رجال منهم الفاضل الشريف السيد ياسين والفاضل الشريف السيد عبدالجليل وكانا من العلماء الفضلاء ولهم النظم الفائق ولكل منهما ديوان شعر رقيق ، وقد رأيت ديوان السيد ياسين وفيه من المباحث العلمية والادبيات مايدل على فضله رحمه الله تعالى

وقد بقي اناس اخيار فى البصرة والكويت وممن بقي منهم فى الكويت الفاضل الفقيه الصالح التقي السيد احمد وهو من اشراف العلماء وله الاطلاع التام على مذهب الأمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ، يدرس في الكويت . . وليس في الكويت ولا في البصرة ونواحيها اعلم منه فى عصرنا هـذا وقد اجتمعت به حين قدومه الى البصرة لزيارة بعض اقربائه وتبركت بدعائه الشريف متع الله تلك البلاد بطول حياته . .

ومن اجل الفقهاء الذين ادركتهم فى قصبة سيدنا الزبير رضي الله تعالى عنه على مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه العالم الكامل المعمر الشيخ احمد النجدي رحمه الله تعالى وكان يعد من السلف الصالح من يرجى دعاؤه ولما ورد صاحب الدولة نامق باشا الى الزبير اجله غاية الاجلال وطلب منه صالح الدعاء . .

ثم توفي وقام مقامه ولده الفقيه الصالح الشيخ محمد مدة قليلة فتوفى رحمه الله تعالى ولحق اباه وخلف ولده الذكي الصالح الشيخ عثمان فشرع بعد وفاة ابيه فى قراءة بعض كتب الحنابلة والعربية على وفقه الله تعالى .

ومن العلماء الموجودين فى قصبة الزبير المحدث الفقيه الصالح الشيخ ابراهيم الغملاس(١) الحنبلي النجدى وهو ممن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وفى قصبة الزبير جملة من اهل الفقه والصلاح من النجادة .

واما البصرة ففيها كثير من الجهلة وليس فيها من يعرف اسم العلم ولا رسمه

ومن البيوت الرفيعة القديمة فى البصرة بيت رزق وهو بيت مجد وفضل وتجارة وخير . . وكانت لهم الصدقات الكثيرة والآثار الحميدة والثروة التامة والعز الكامل ، وقد صارت ديارهم بلاقع وبقي الكامل محمد من الاخيار في الكويت وأصلهم من نجد .

ومنها بيت الحاج عبدالواحد وهو بيت عز وتجارة وخير وثروة تامة وبقي منهم اخيار وهم من ابي الخصيب واصلهم من بني خالد .

ومنها بيت عبدالرزاق وهو بيت مجد وعز وتجارة وقد انطفت نارهم في البصرة وبقي منهم الكامل النجيب محمد بن عبد اللطيف في الهند وبعض الاخيار في الكويت واصلهم من نجد . .

ومنهم بيت جمال وهو بيت مجد وخير وتجارة وعز ولم يبق منهم أحد فى البصرة وسكن بعضهم بلدة مسقط .

ومنهم بيت الفداغ وهو بيت تجارة وثروة وعز وخير وبقي منهم بعض الناس واصلهم من نجد وغير ذلك من البيوت القديمة التي اندرست آثارها وانطفت نارها . . واما التجار الموجودون في البصرة فى عصرنا هذا الذين

---

(١) راجع كتابه « ولاة البصرة ومتسلموها » المطبوع فى هذه الدار

توطنوا فيها فنهم النجيب الاديب والكامل الذكي اللبيب محمد بن عبد العزيز أبن عبدالوهاب الرياضي النجدي وهو من اكابر اهل نجد وبيتهم في نجـد من بيوت المجد الرفيعة الاصيلة ، ولهم الحيثية التامة لدى آل سعود امراء نجد.

ومحمد المشار اليه من اكابر الناس اخلاقاً وذكاءاً وكرماً وفطنة ، وبيته مأوى لاهل نجد وغيرهم وقد صحبته فوجدت صحبته ارق من النسيم ، وحصلت بيننا المودة التامة والالفة القلبية وله بيت فى البصرة وبيت في الزبير وبيت فى الاحساء ، ويتردد على بلاد الهند للتجارة زاده الله تعالى عزاً ومالا وعمرا . . .

وهو من عشيرة عائذ من الازد من القحطانية وهم بنو عائذ بن الاسود ابن الجمر بن عمران بن عمرو مزيقيا ملك اليمن بن عامر ماء السماء ملك اليمن الحميري . .

ومنهم فوزان النجدي وهو من التجار الاخيار واصله من عنزه وهو من الثقات . .

ومنهم سالم البدر الكويتي وهو من الثقات الاخيار ، له من الثروة التامة والمراسلات الى الهند وغيرها ولاهل سواحل البحرين من مسقط والبحرين والكويت وبر فارس وغيرها بالمراجعة والتردد اليه ، ذو نفس كريمة ومعاملة حسنة لم يزل بيته مأوى لكل وارد من البحر وهو من اهل الكويت وله اخ صالح من التجار فى الكويت يسمى سليمان البدر واصله من عشيرة يقال لها جناعة وهو من تحريف المولدين والظاهر انه قنعة لأن عرب البادية في يومنا هـذا يبدلون القاف جيما ، وقنعة بطن من العدنانية وهم بنو قنعـــة بن سبع بن بكر بن اشجع بن ليث بنى غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بالعين المهملة بن مضر . .

وكان لاشجع المذكور من الولد بكر وسليم وعمر ومنهم جعدة بن هبيرة الاشجعي الصحابي رضي الله عنه وكانوا عرب المدينة النبوية وكان سيدهم معقل بن سنان الصحابي ..

قال فى العبر وليس الآن أحد منهم بنجد إلا بقايا حول المدينة ، وبالمغرب الاقصى ، فهم حي عظيم يصفون مع عرب المعقل .. وقد اوضحت هذا النسب لرفع شبه بعض من طعن فيه لعدم الأطلاع على انساب القبائل من عزو الناس الى آبائهم ..

ومنهم ابراهيم المنديل النجدي وهو من التجار ذو مكر وشيطنة وخدعة يراسل الى الهند وله بيت فى البصرة وبيت فى الزبير وهو من عشيرة الدوس من عشائر نجد ، وهو مستحدث النعمة

ومنهم عبد العزيز الصالح النجدي وهو كريم الاخلاق حسن الوفاق من التجار الخيار ومن الثقات الاذكياء وله المراسلة الى الهند وغيرها ، ذو نفس كريمة لطيفة وله اخ صالح يسمى عبدالرحمن فى الكويت وهو فى بلدة تسمى مجمعة من بلاد نجد في العمار ..

ومنهم عبدالله العودة النجدي وهو من التجار الاخيار من ذوي النجابة ذو ثروة تامة وله مراسلة الى الهند وغيرها ، واصله من عشيرة عنيزة ..

ومنهم عبداللطيف العون النجدي وهو من التجار الاخيار ذوي الثروة وله مراسلة الى الهند وغيرها واصله من عشيرة عنيزة ..

ومنهم المانع النجدي وهو من التجار الاخيار له مراسلة الى الهند وغيرها

ومنهم محمد الفارس النجدي وهو رجل من الاخيار ذوي النجابة وتجارته الى الهند واصله من بني حنيفة ومسكنه فى قصبة الزبير رضي الله تعالى عنه .

ومنهم الحاج سليمان الخصيبي وهو من التجار المراسلين الى الهند ولكنه

مستحدث النعمة من اهل الثروة .

وأما بيت الحاج عبدالواحد فقد سبق بيان اصله وهم من اكابر التجار من ذوي الثروة التامة ، لهم المراسلة الى بلاد الهند ولهم املاك جسيمة وهم من اهل الخير ، وكان والدهم عبدالواحد من اخيار الناس واخير اولاده النجيب الحاج محمود ولهم بيت في البصرة وبيت في ابي الخصيب .

ومن التجار الاخيار محمد بن الحاج نعمة وهو رجل من ذوي الحياء والصدق له المراسلة الى بلاد الهند وله الثروة التامة والاملاك الجسيمة ، واصله من عشيرة كعب من اهل السنة والجماعة .

واما محمد الياسين أمين النفوس فهو من اهالي ابي الخصيب وله نفس كريمة وأدب ولم يزل يقرى الضيف من كل جانب .

ومن التجار عبدالرحمن الرفاعي وله مراسلة الى الهند وغيرهم من التجار واهل البصرة اكثرهم من النجادة .

واما السيد عبد الرزاق مفتي البصرة فهو من اهل بغداد من بيت يقال لهم السادة من ذوي الطريقة القادريـــة انتقل هو وابوه السيد عبدالرحمن واخوه من بغداد الى البصرة منذ مدة تزيد على خمس واربعين سنة .

الباب الثالث

في بيان أنهار البصرة

أنهار البصرة الموجودة فى هذا العصر الكبار المحصورة والصغار التي لا يحصى عددها ويجري فيها الماء من شط يقال له شط العرب وهو مجتمع دجلة والفرات ويحصل لهذا الشط ولجميع الانهار المد والجزر فى اليوم والليلة مرتين مرة في الليل ومرة فى النهار .

وتختلف ساعات المد تقديماً وتأخيراً والانهار الكبار لم تزل مملوءة من الماء إلا العشار فانه يخلو من الماء حالة الجزر . . واما الصغار فانها خالية اثناء الجزر فاذا حصل المد امتلأت الصغار وازدادت الكبار التي تجري فيها السفن ، وجميع الانهار الكبار خارجة من شط العرب وبعض الصغار وباقي الصغار من الكبار .

فاول الانهار الكبار ابتداءاً من البصرة نهرالعشار المشهور الداخل الى البصرة وهو نهر عظيم تجري فيه المراكب والسفن وحوله بساتين كبيرة وبيوت وهو من المحال الجسيمة ، ومحل الحكومة على جانبه وكذا سوق السيمر وكثير من البيوت والقهاوي والخانات وتجري منه انهار كثيرة .

والثاني نهر المناوي وهو نهر عظيم حوله بساتين كثيرة وبيوت وفيه محال العساكر البحرية وتجري منه انهار كثيرة .

والثالث نهران تابعان لنهر المناوي يقال لاحدهما (خورة) وللآخر (مويلح) وحولها بساتين كثيرة وتجري منهما انهار كثيرة . .

والخامس نهر البراضعية الكبيرة وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة .

والسادس نهر البراضعية الصغيرة وهو كبير حوله بساتين وتجري منه انهار كثيرة .

والسابع نهر المحاويل وهو ستة انهار حولها بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة .

الثامن نهر السراجي وهو نهر عظيم وهو اعظم المحال وحوله بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة .

التاسع نهر الفريبج وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجري منه

انهار كثيرة .

العاشر نهر الوقف وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجرى منه انهار كثيرة .

الحادي عشر نهر الوقف أيضاً وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة .

الثاني عشر نهر المحولة وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجرى منه انهار كثيرة .

الثالث عشر فجة العرب وهو سبعة انهر كبار لها بساتين كثيرة وتجري منها انهار كثيرة .

الخامس عشر فجة الحاج نعمة وهو نهران كبيران حولها بساتين كثيرة وتجرى منهما انهار كثيرة .

السادس عشر فجة ابن عامر وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة .

السابع عشر نهر يوسف وهو من اعظم الانهر والمحال حوله بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة .

الثامن عشر نهر حمدان وهو من أعظم الانهر والمحال حوله بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة .

التاسع عشر نهر اليهودي وهو تسعة انهار كبار حولها بساتين عظيمة كثيرة وتجري منها انهار كثيرة وهو من اعظم الانهار والمحال ومن توابعه السبيليات ولها نهر كبير حوله بساتين كثيرة .

العشرون نهر خوز بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بعدها زاء معجمة وهو سبعة انهر كبار وحولها بساتين كثيرة وتجري منها انهار كثيرة .

ومن توابعة نهر أبي مغيرة وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة .

الحادي والعشرون نهر ابي الخصيب ويتفرع خمسة عشر نهراً كباراً حولها بساتين عظيمة كثيرة وتجرى منها انهار كثيرة وهذا النهر اعظم الانهار والمحال واعمرها وارغبها وفيه اناس كرام وبعض طلبة العلم وبعض النقشبندية وفيه عدة جوامع وتقام فيه الجمعة والجماعة اكثر من سائر الجنوب .

والاملاك فيه مرغوبة وقيمتها اكثر من سائر الاملاك وسكانه اهل ثروة ودولة كبيت الحاج عبدالواحد وهو من خيار البيوت على ما سبق بيانه عند عد بيوت البصرة . واملاكهم مع كثرتها فهي عديمة النظير فى العراق ولهم المراسلة الى بلاد الهند ، وعندهم مركب بحري وكان ابوهم الحاج عبد الواحد من خيار الناس وكرمائهم .

وبالجملة أن فى ابي الخصيب عـــدة أشراف وسادات وطلبة علم وتجار واهل املاك من ذوي الخير وكلهم من خيار الناس وكذا سائر الجنوب من الاخيار واهل ديانة وخير ومكارم اخلاق . .

الثاني والعشرون نهر ابي الفلوس وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة وهو من ملحقات ابي الخصيب .

الثالث والعشرون نهر العامية وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجري منه أنهار كثيرة .

الرابع والعشرون نهر الفياضي وهو نهر كبير حوله بساتين كثيرة وتجري منه انهار كثيرة .

الخامس والعشرون نهر بلجان وهو كبير حوله بساتين كثيرة وتجري منه أنهار كثيرة .

السادس والعشرون نهر الزين وهو من العظام وتجري منه انهار كثيرة وحولها بساتين كثيرة . وهو عبارة عن خمسة عشر نهراً كلها مشحونة بالبساتين

السابع والعشرون نهر المطوعة وهو نهران عظيمان حولهما بساتين كثيرة وتجري منها انهار كثيرة .

الثامن والعشرون نهر القطعة وهو ثلاثة انهر كبار تجري منها انهار كثيرة

التاسع والعشرون نهر خورة السيحان وهو كبير تجري منه انهار كثيرة حولها بساتين كثيرة ،

الثلاثون الدواسر وهو من المحال الجسيمة وفيه بساتين كثيرة ومزارع الرز . وانهارها الكبار التي لها اكوات ثلاثة احدها الخست وهو نهر السيبة والثاني نهر كوت بندر والثالث نهر كورا الخليفة ، فهذه الانهار الكبار للدواسر

واما الأنهار الصغار الواقعة في الدواسر فقد تبلغ ستين نهراً منها نهر الشليشية ونهر الجالي ونهر الحايل ونهر الحدة ونهر قاع العنبر ونهر الربضة ونهر الجالدة ونهر المحيلة ونهر الخوص ونهر الزبال ونهر الشبيجي ونهر الوقف ونهر الديويب ونهر المرابحي ونهر خوز عباس ونهر ابن جلاوي ونهر الوقف أيضاً ونهر باب الهوا ونهر كوت الخليفة أيضاً ونهر قاع محمد السلطان ونهرا العشيرة والخشنام .

وفي حوالي جميع هذه الانهر بساتين كثيرة عظيمة وهذه عدة انهر الدواسر الكبار .

واما الجداول والسواقي الصغار فتبلغ اكثر من مايتين وطول الدواسر تقابل طول المقاطيع الجنوبية السبعة جميعاً ، واما ما وراء الدواسر فجزيرة الفداغية ونهران وحولها بساتين كثير ، ودورة ابن ابراهيم وهي عشرة انهر كبار حولها بساتين كبيرة وهي من توابع الدواسر .

الحادي والثلاثون نهر المخراق وراء الفداغية وهو نهر يخرج الى البادية ليس في نواحيه نخيل واشجار .

الثاني والثلاثون نهر المعامر وراء المخراق وهي من المحال الجسيمة فيها خمسون نهراً كباراً تجري من تحتها السواقي الكثيرة حولها بساتين عظيمة جداً

الثالث والثلاثون الفاو وهو من المحال الجسيمة كثير البساتين والنخيل والانهار ، وكان من توابع المعامر التي هي ملك النجيب راشد السعدون والد النجيب الكريم ناصر باشا فأكرمه راشد المشار اليه الى شيخ الكويت والآن جميع الفاو في تصرف شيوخ الكويت ، ويمتد الفاو الى ساحل البحر وفيه اكثر من خمسين نهراً كباراً حولها البساتين الكثيرة العظيمة ، وجميع ماذكرنا من الانهار الى الفاو واقع في جنوب البصرة إلا العشار فانه يمر بها ، الا أن الجنوب حسب عرف اهل البصرة عبارة عن المحال السبعة وهى السراجي ومهيجران ويوسفان وحمدان واليهودي ونهر خوز وابوالخصيب وجميع هذه الانهر المعدودة من الجنوب وغيرها مشتملة على قرى ذات مساجد ، واهلها من اهل السنة والجماعة . .

واما الانهار التي في جهة شرق شط العرب فهي ثلاثة وسبعون نهراً عظاماً كباراً ، نهر (كتيبان) وهو من المحال الجسيمة فيه عدة انهار وفيه بساتين عظيمة كثيرة جداً ونهر (ابي چلاب) وهو من التي يتفرع منها انهار كثيرة وحولها بساتين كثيرة ونهر (الشلة) وهو من الكبار التي يتفرع منها انهار كثيرة حولها بساتين كثيرة ونهران كبيران جزيرة الصقر وتسمى جزيرة العين ويتشعب النهران المذكوران الى اثني عشر نهراً وحولها بساتين كثيرة ، ونهر الخراب وهو نهران كبيران يتفرع منهما انهار حولها بساتين كثيرة ، والنهر الدائر على المقاطعات الجسيمة اعني الكبامي الكبير

والكباسي الصغير والحوطة والريان ، وكل من هذه المحال يشتمل على انهار كثيرة وبساتين عظيمة . .

ونهر حسن وهو نهران كبيران يتفرع منها انهار وحولها بساتين كثيرة ، ونهر كوت السادة وهو ثلاثة انهر كبار حولها بساتين كثيرة ، وگردلان وهو اربعة انهر كبار حولها بساتين كثيرة ، وتنومة نهران كبيران وحولها بساتين كثيرة ، وكوت الجوع اربعة انهر كبار حولها بساتين كثيرة ، ونهر كوت الباشا وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة وكوت ابن نعمة وهو ثلاثة انهر كبار حولها بساتين كثيرة وكوت زعير(١) اربعة انهر كبار حولها بساتين كثيرة ، وكوت الگوام والموحية خمسة انهر كبار حولها بساتين كثيرة ، وكوت غضبان وكوت الشيخ والحبابة تسعة انهر كبار حولها بساتين كثيرة ، ونهر جاسم وهو عشرة انهر كبار ، ونهر الدعيجي وهو من الكبار التي يتفرع منها انهار حوله بساتين كثيرة ونهر البوري وهو من الكبار التى يتفرع منها أنهار وحوله بساتين كثيرة وجزيرة البوارين اثنا عشر نهراً كباراً حولها بساتين كثيرة .

هذا والعمارة فى جهة الجنوب اكثر من غيرها . .

واما الانهر التي في جهة الشمال فمنها نهر الخندق وهو من الكبار التي يتفرع منها انهار حولها بساتين كثيرة ، ونهر الرباط الصغير وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة ، والمطابيج نهران كبيران حولها بساتين كثيرة ، ونهر الجبيلة الصغيرة وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة ، وكوت الفرنگي وهو ستة انهر كبار حولها بساتين كثيرة وهو من المحال الجسيمة ، ونهر كوتة علي وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة ، ونهر كوتة ماجد وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة ، ونهر العنبري وهو من الكبار حوله بساتين

(١) قال صاحب الرياض انه كوت زهير نسبة لعائلة آل الزهير المشهورة في البصرة

كثيرة ، والهارثة وهي من المحال الجسيمة ذات الانهار والبساتين الكثيرة وهي من توابع اراضى المنتفق الا انه لما كان لبعض أهل البصرة فيها أملاك ذكرناها ، ويتصل بها الملك الذي تحت يد متصرف المنتفق وهو ملك عظيم جسيم مشتمل على بساتين لا تحصى ومزارع لا تستقصى . .

وأما الجزائر التي فى وسط شط العرب المشتملة على البساتين ومزارع الرز فنها (المحمودية) وفيها بساتين ومزارع و (ام الخصاصيف) وفيها مزارع الرز وبساتين و (ام الجيابي) وفيها بساتين ومزارع الرز و (ام الرصاص) وفيها مزارع الرز وغيره و (الزيادية) وهى كبيرة جداً وفيها بساتين ومزارع الرز و (الفداغية) وفيها بساتين ومزارع الرز وجزيرة العين وفيها بساتين ومزارع الرز و (الصالحية) وفيها بساتين ومزارع الرز والحنطة و (الگليصاوية) وفيها مزارع الحنطة وبعض الصيفيات و (جزيرة المحلة) وهي عظيمة وفيها بساتين عظيمة ومزارع الرز وجميع هذه الجزائر واقعة فى شط البصرة .

واستخلص جابر المرداو جزيرة المحلة من املاك الدولة العلية وتصرف بها من غير حق لأنها واقعة في البصرة وقربها وهى مقاطعة جسيمة تبلغ قريباً من الف كيس وغفل عنها المتصرفون فى البصرة . .

واما الانهر والجداول المتفرعة عن تلك الانهر المذكورة فتبلغ اكثر من عشرة آلاف نهر والعشائر الساكنة فى هذه المحال بين البساتين لا يحصى عددها

هذا والبصرة ونواحيها من عجائب البلدان التي لم يخلق مثلها في البلاد فى كثرة البساتين والانهر كونها معدن التجارة وبندر بلاد الهند ومن اقوى اسباب عمارتها ترتيب الجريب على املاك اهاليها لأن التزام محالها أو أخذ الخمس منها قد اضر باهلها ضرراً كلياً لكثرة المظالم ولكون الحرص يوجب

تأخير قص التمر وفساده فى غالب السنين فيوجب تأخير بيعه الى أهل الموسم الواردين من اليمن والسواحل وعمان وبر فارس والهند فيلحقهم بذلك ضرر كلي واكثر اهل الموسم يذهبون الى المحمرة ونواحيها لشراء التمر ويبقى اهل البصرة في الحسرة والحيرة كما شاهدت ذلك منهم ، على أن في الخرص غدراً وظلماً يشق حمله وقد تكاسلت ارباب الاملاك عن العمارة بسبب كثرة المظالم وآلت محال البصرة الى الخراب .

ولو وضع عليها رسم الجريب لعادت عمارتها اضعاف ما فيها من المعمور لأن رسم الجريب معلوم معين فاذا اعطاه تصرف في ملكه كيفما يشاء ويختار . ومتى شاء قص الثمار وباعها فى اوان الموسم فتزداد بذلك الرغبة في العمارة وتكثر الحواصل وتكثر الواردات الميرية ويحصل الثروة العامة للرعايا على أن رسم الجريب قد يستوي فيه الشريف والوضيع وقد يكون الملتزم من اشراف اهل البصرة فيخرص كيفما شاء املاك الفقراء وتنجو املاكه وقد يكون الملتزم من غير اشرافها بمساعدة الاشراف فلا يتعرض لملك الأشراف . .

ولذا ترى بعض اعيان البصرة يأبى عن ترتيب رسم الجريب وبالجملة أن في ترتيبه كف ايدي الظلمة والمتغلبة عن املاك الفقراء وسائر الرعايا ويستوي فيه الكبير والصغير والشريف والوضيع والفقير والغني . .

هذا ومن جملة ما وقع في الجهة الشرقية من البصرة عبادان وقبان وهما داخلان في حدود البصرة ومن سواد العراق فالمحمرة وعبادان وقبان ودورق ستان كلها داخلة فى ملك الدولة العلية الى موضع يقال له البنية وهو أيضاً للدولة . .

وقد ذكر الشيخ مال الله بن احمد القباني انه كان في قبان تسعون مسجداً ومدارس كثيرة وعلماء وكان خرابه بعد الالف ومائة وسبعين من

الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام .

هذا من جهة الدورق ومما يدخل في جانب جزيرة عبادان من الجهة الغربية من املاك الدولة العلية قديماً ام الجريدية والحدة ونهر الشيخ وحوش المامر وجزيرة المحلة والشطيط والبريم والبويردة والمنجوحى وقصبة القصار وهي آخر جزيرة عبادان وسميت قصبة لأنها منبت القصب .

وأما ما على جانب جزيرة عبادان من الجهة الشرقية فنهر الحياج وكوت شسنة ونهر الحدادين ونهر مهيوب والصونبخ فهذه كلها معمورة والبواقى لا غرس فيها . .

وما بازاء نهر الدعيجي فنهر خميسة وسعيدان ونهر يوسف والشاخورة والمعمورة والدربند والختيني وجزيرة عبادان محمودة الارض قليلة الآلام وهي منبر العراق على ما قاله بعض العلماء وكان فيها كثير من العلماء والأولياء . ومنهم العلامة قاسم العبادي محشي تحفة ابن حجر المكي الهيتمي طاب ثراهما وله عدة تآليف فائقة اخر منها حاشية على جمع الجوامع فى الاصول المسماة بالآيات البينات ومنها شرحه على العناية في فقه الشافعية ومنها حاشيته على حاشية اللقاني المصري على شرح التصريف للتفتازاني ، ومنها حاشيته على حاشية عصام الدين على شرح الكافية للجامي وغير ذلك من الكتب المفيدة التي بلغت من التحقيق غايته .

وكان اهل عبادان ونواحي المحمرة في القديم كلهم على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه كالبصرة ونواحيها ثم ترفض جميع اهل عبادان ونواحي المحمرة في القديم كلهم وما بقي منهم أحد من أهل السنة والجماعة سوى بعض الافراد من الدورق من عشيرة كعب .

وكانت عبادان فى القديم على ساحل البحر وليس وراءها قرية كما يقال

(ما وراء عبادان قرية) والآن قد ظهر من البحر ارض واسعة وصار وراء عبادان قرى كثيرة واما النهر المسمى بهمشير الحاجز بين عبادان والمحمرة فهو يدور على جزيرة عبادان من جهة الشرق الى ان ينتهي الى البحر فجزيرة عبادان المذكورة على جهة النهر المذكور الغربية وعلى جهته الشرقية جهة قبان وشاطيء نهر بهمشير المقابل لرأس جزيرة عبادان من جهة الشمال المحمرة المشهورة الآن . .

واما المحمرة المشهورة الآن فقد اتخذها عشيرة كعب وسكنوا فيها وسموها محمرة واهلها كناسة الارض . .

وقد حدثني الشيخ المعمر علي بن محمود النقشبندي الخصيبي بأنه قد رأى هذا الموضع المسمى الآن بالمحمرة أرضاً خالية ليس فيها أحد ولا بناء ثم سكن فيها محيسن بن كعب وتجمعوا وسكنوا فيها وتواطأوا على النهب وقطع الطرق والافساد حتى كثرت اموالهم وعمت اذيتهم ولا سيما على اهل البصرة ونواحيها وحصلت لهم القوة وشيخهم جابر المرداو وهو وعشيرته المذكورة من توابع كبار عشيرة كعب الساكنين فى الدورق المسمى بالفلاحية .

ثم عصى جابر المذكور عن طاعتهم بعد أن كان من جملة خدامهم ومنعهم عن الوصول الى المحمرة وبارزهم وحصلت له الشهرة والترويج من اكابر الدولة الايرانية وقد تحول جابر المذكور عن المحمرة الى موضع يقال له الفيلية وهو ذو ثروة عظيمة ودولة لا تحصى .

وذكر لي الشيخ علي المذكور منشأ دولته وهو أن المحمرة سنة ١٢٤٧هـ قد صار فيها طاعون عظيم أفنى من فيها من التجار فاستولى على اموالهم ومع ذلك لما كثرت الفتنة بين آل ناصر استولى على مائة قرية فأكثر وكان لا يعطي العجم إلا شيئاً قليلا فهذا سبب كثرة امواله واملاكه وسفنه وصار

لدى الدولة الايرانية اجل من اكابر كعب ومقدماً عليهم ..

هذا وقبل انحناء بهمشير الى البحر نهر يقال له الحفار وهو كبير واسع وعليه قرى عديدة وهو يسقي القبان وفي جانب النهر المنحني الجاري من كارون المذكور الغربي نهر كبير منقطع عن نهر عبادان المسمى بهمشير الشرقي ، وفي جانبي هذا النهر الكبير نهران احدهما ينتهي الى قرب البحر والثاني الى قرب الحفار وتنشق منه انهر كثيرة شرقا وغربا وسواقي كثيرة فهذا في الجهة الغربية من نهر قبان والجهة الشرقية كذلك وما في جهة الشمال يصل الى نهر كارون وهو المسمى بالسليمانية وما في جهة الجنوب يصل قرب نهر دورقستان وحافته الشمالية هي ارض قبان وحافته الجنوبية خمس جزائر أحد طرفيها في نهر دورقستان والطرف الآخر في البحر ..

واسماء الجزائر هي : ميان والسليك والمويلح واما التفاح وجزيرة دورقستان التي يظن الناس ان فيها معادن اكسيرية وفي مقابل هذه الجزيرة نهر يذهب الى قبان من جهة الشرق ثم يذهب الى الشرق وجوانبه شمالا وجنوباً هي محال دورقستان وينتهي الى نهر الدورق المسمى بالبزية الذاهب الى البحر ..

وحول نهر البزية انهر كثيرة تتصل بنهر الجراحي عليها مزارع الرز وهي مسدودة الرؤوس ولو فتحت رؤوسها لغرق الدورق المسمى بالفلاحية ولذهب الماء الى قبان فأحياه كما كان ..

وفي الجهة الشرقية من نهر البزية نهر الجراحي وهو نهر قوى المـاء كنهر كارون يصل الى قبان ويذهب الجراحي الى بلاد العجم .

وما وراء البزية انهار كثيرة وفي جهتها الشمالية مساكن كثيرة منها موضع يقال له جفال ومنها الخزاعية وغير ذلك من المساكن العديدة التي

نهايتها البقية المذكورة ، ويتطاول هذا النهر الى بهبهان وعلى حافة نهر كارون الجنوبية قريــــة تسمى السماعبني وهى فى مقابلة الخزعلية التي على الجانب الشمالي من الجراحي وعلي هذه الحافة من كارون محل يسمى الاهواز وهو مكان عال من الارض . .

والاهواز مقابل لمحل فى الجراحي يسمى غريبة ، والبنية فى مقابل محل من كارون يسمى العمير .

ونهر كارون يجري الى ششتر ودسبول ، ونهر بهمشير الذي هو نهر عبادان والمحمرة ماؤه بين العذب والمالح .

قال اليافعي رحمه الله تعالى فى روض الرياحين ، جزى الله اهل عبادان خيراً على صبرهم بشرب الماء المالح . . ويأتي الماء الى بهمشير من نهر المسرهد الآخذ عن الشط . . والمسرهد فى موضع يقال له سوق الشيوخ المشهور . .

وقد خلط سليمان الكعبي ماء كارون بماء الحفار فجري فى نهر عبادان الذي هو نهر المحمرة ثم يجري الى البحر فصار هذا الماء اعذب وابيض فسماه العجم بهمشير ، وجميع ما ذكر من البزية والدورق ستان وجزيرته والقبان وجزائره وعبادان فهو ملك الدولة العلية العثمانية أيدها رب البرية فضلا عن المحمرة . .

الباب الرابع

اسماء بعض المحال الواقعة في جنوب البصرة

فاما السراجي فنسبته الى رجل سراجي كان يعمل السروج فى المحل المذكور لآل راشد الذين ملكوا البصرة بعد تاريخ السبعماية وواحد من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام .

وأما مهيجران فهو موضع هجار آل راشد . . ويوسفان كان لرجلين اسمهما يوسف . . وحمدان قيل حفره رجل من آل حمـدان . . واليهودي حفره رجل من اليهود . . وابومغيرة حفره المغيرة بن شعبة الصحابي رضي الله تعالى عنه . . والسبيليات كانت ملك الامير فارس الجد العاشر للامراء الذين هم اعيان ابي الخصيب فوقفه وسبله على وجه البر للفقراء والمشائخ الرفاعية لاطعام الطعام ، فسميت سبيليات أي مسبلة ، فاستولى عليها النقيب عبدالرحمن باستيلائه على البصرة فجعلها ملكا له . .

وابو الخصيب بالخاء المعجمة سمي بذلك لكثرة ما فيـــه من الخصب والبساتين ، وقيل اصله بالغين المعجمة ، وغصيب كان عبداً من عبيد هارون الرشيد الخليفة العباسي سكن في المحل المذكور وبنى فيه حصناً ، وآثار الحصن المذكور موجودة الآن في المحل الذي يسمى بريم .

وجيكور(١) اسم اعجمي بمعنى مكان الاعمى . والعامية سميت بذلك لأنهم لمـا عمروها واشتغلوا بتعميرها صارت العملة تشتغل فيها وفي غيرها من المحال التي عمرت بعدها ، وكان اذا سئل احدهم اين تشتغل اجاب بأنه يشتغل في العامية أي في التي عمرت العام فسميت بذلك .

والفياض قيل لـكثرة فيضه ، وقيل كان لرجل اسمه فياض .

وبلجان كما ذكر أهل التواريخ انه في الاصل بولجان وهو نهر واسع وكان يأخذ من نهر جندب الذي هو نهر البصرة القديمة .

وجندب هو ابو ذر الغفاري الصحابي رضي الله تعالى عنه وهو مدفون بجانبه الشمالي ، وآثار نهر جندب ظاهرة والقبر المنور ظاهر ، وبلجان المذكور هو ذنب نهر جندب .

وقيل لما غضب الله تعالى على ابليس امر بهبوطه الى ارض بلجان فوقع

---

(١) يقال ان اصلها چبكور - أي اعور اليسار .

فى النهر المذكور ، وسكان بلجان الى الآن ابا ليس البصرة على ما حدثني بذلك الشيخ علي الخصيبي .

والزين كان لرجل صاحب جمال وحسن وهو من طائفة من العرب يقال لهم الباوية .

والمطوعة كانت فيه امرأة تقري الاولاد وتعلمهم الفقه وتطوعهم وهى فى الاصل على وزن اسم الفاعل ثم بكثرة الاستعمال غيرها المولدون الى اسم مفعول

والدواسر محل عمره طائفة الدواسر وسكنوه وهم من عرب نجد وسيأتي ان شاء الله تعالى ذكرهم في بيان قبائل نجد فنسب اليهم ولم يبق أحد من ذريتهم فى عصرنا هذا .

وانما سكنة الدواسر فى هذا الزمان من سائر العرب ، توطنوا فيه واستغلوا كثيراً من مواضعه وهو مقابل جزيرة عبادان .

والمعامر كانت ارضاً خالية عن الغرس فاشتراها راشد السعدون والد ناصر باشا من بيت المال وعمرها سنة الألف ومائتين وست وعشرين من الهجرة النبوية ، وكذا اشترى المطوعة واشترى البهادرية والفاو ووقف البهادرية على فقراء المدينة المنورة واكرم الفاو على شيخ الكويت ، والفاو - وهو آخر العمران - يمتد الى البحر .

احوال نجد

الباب الاول

في بيان موقع نجد وحدوده وبعض احوال اهله
مع بيان جزيرة العرب وما فيها من البلاد والمحال

ان النجد في اصل اللغة ما ارتفع من الارض وما خالف الغور أي تهامة فاعلى نجد تهامة واليمن واسفله العراق والشام واوله من جهة الحجاز ذات عرق فهو بين تهامة واليمن والعراق والشام والحجاز وهذه الاقاليم الخمسة جوانبه على ما ذكره مجد الدين .

وذكر صاحب نهاية الارب ان نجداً هي الناحية التي بين الحجاز والعراق والحجاز هو ما بين نجد وتهامة وهي جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام ويسمى حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة فعلى هذا لا يكون اعلاه تهامه كما ذكره مجدالدين لوقوع الحجاز فاصلا بينها وبين نجد وهو من احسن الاقطار واعدلها مزاجاً وارقها هواء واعذبها ماه واخصبها ارضاً وابنيتها ازهاراً ونباتاً اوديته كالرياض واغواره كالحياض قليل الامراض وقد تمثل الشعراء المجيدين بطيب هوائه ومحاله وفيه بعض البلدان والقرى واكثر اراضيه صحارى وقفار فيها قبائل من العرب لا يحصى عددهم الا الله تعالى معاشهم من الابل والخيل والغنم ولا يستقرون في محل واحد بل يرحلون من ناحية الى ناحية ومن دار الى دار وماؤه مع قلته فى غاية العذوبة واللطافة والخفة ولهم

بطون وقبائل وشعوب لا تحصى ولكل عشيرة منهم شيخ نافذ الكلمة بينهم ولم تزل الحروب والمقاتلة بينهم ويجورون على اهل البلدان والقرى ويقطعون العراق احياناً فيغزوهم ابن سعود وقد يمنع بعضهم عن بعض ويعاقب اهل العدوان ويقتل منهم اناســاً ويحبس بعضهم الى ان يستقيم الامر وهم اشجع العرب بل سائر الناس واشدهم بأساً كيف وقد وصفهم الله تعالى بشدة البأس بقوله تعالى ستدعون الى قوم اولي بأس شديد الآية . .

ومع شجاعتهم وشدة بأسهم فهم اهل انفة وغيرة وصدق وكرم وذكاء مفرط وفطنة وقدرة على سرعة الجواب المسكت بقول وجيز ولهم مكارم اخلاق كاكرام الجار واجارة المستجير بهم ولا يدور الكذب على السنتهم ولا يشهدون الزور ولا يهذون بكثرة الكلام .

هذا ومساكن العرب القديمة الذين تفرقوا فى الاقطار كانت بجزيرة العرب الواقعة فى وسط المعمور وهذه الجزيرة متسعة الارجاء ممتدة الاطراف يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث البلقاء الى ايلة ثم بحر القلزم الآخذ من ايلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر الى الحجاز الى اطراف اليمن حيث طي وزبيد وما داناهما ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم من جهة الجنوب الى عدن الى اطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند الى جهة الشمال الى بلاد البحرين ثم الى البصرة ثم الى الكوفة من بلاد العراق ومن جهة الشمال الفرات آخذاً من الكوفـة على حدود العراق الى عانة الى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية الى البلقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء والحاصل ان السائر على حدود جزيرة العرب مبتدئاً من البلقاء جنوباً الى ايلة ثم يسير الى شاطيء بحر القلزم وهو مستقبل الجنوب والبحر على يمينه

الى مدين الى البقيع الى البروة الى جدة الى اول اليمن الى زبيد الى اطراف اليمن من جهة الجنوب ثم يعطف مشرقاً ويسير على ساحل اليمن وبحر الهند على يمينه حتى يمر على عدن ويجاوزها حتى يصل الى سواحل ظفار من مشاريق اليمن الى سواحل مهرة ثم يعطف شمالا ويسير على سواحل اليمن وبحر فارس على يمينه ويتجاوز سواحل مهرة الى عمان من بلاد البحرين الى جزيرة اوال الى القطيف الى كاظمة الى البصرة الى الكوفة ثم يعطف الى الغرب ويفارق بحر فارس فيسير والفرات على يمينه الى سليمة الى البلقاء حيث بدأ على ما ذكر صاحب السلطان عماد الدين حماد في تقويم البلدان سبعة اشهر واحد عشر يوماً تقريباً بسير الاثقال فمن البلقاء الى الشراة ثلاثة ايام ومن الشراة الى ايلة نحو ثلاثة ايام ومن ايلة وهو فرضة المدينة النبوية الى الحجاز نحو عشرين يوماً ومن الحجاز الى ساحل الجحفة وهي فرضة مكة المشرفة ثلاثة ايام ومن جدة الى عدن نحو شهر ومن عدن الى سواحل مهرة نحو شهر ومن مهرة الى عمان البحرين نحو شهر ومن هجر الى عبادان من العراق نحو خمسة عشر يوماً ومن عبادان الى البصرة نحو يومين ومن البصرة الى الكوفة نحو اثني عشر يوماً ومن الكوفة الى باليس نحو عشرين يوماً ومن باليس الى سلمة نحو سبعة ايام ومن سلمة الى مشاريق حوران دمشق نحو اربعة ايام ومن مشاريق غوطة دمشق الى مشاريق حوران نحو ثلاثة ايام ومن مشاريق حوران الى البلقاء نحو ستة ايام .

ثم اعلم ان الجزيرة في أصل اللغة ما ارتفع عنه الماء آخذاً من الجزر ضد المد ثم توسع فيه فأطلق على كل دار عليه الماء ولما كان هذا القطر يحيط

به بحر القلزم من جهة المغرب وبحر الهند من جهة الجنوب وبحر فارس من جهة المشرق والفرات من جهة الشمال اطلقت عليه الجزيرة واضيفت الى العرب لنزولهم بها ابتداء ومساكنهم فيها .

قال المديني وجزيرة العرب تنقسم الى خمسة اقسام تهامة ونجد وحجاز وعروض ويمن فتهامة هي الناحية الجنوبية من الحجاز ونجد هي الناحية التي بين الحجاز والعراق ، والحجاز وهو ما بين نجد وتهامة على ما سبق وهى جبل مقبل من اليمن ممتد ومتصل بالشام وسمي حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة على ما سبق والعروض هى اليمامة الى البحرين ويدخل فى جزيرة العرب قطعة من بادية الشام وفي كل قسم من هذه الاقسام الخمسة مدن وبلاد .

فاما الحجاز الذي هو وما حوله من الاماكن افضل البقاع واعدلها لأن الكعبة وتربة اشرف الخلائق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في اراضيه ففيه من البلاد المشهورة المدينة النبوية على مشرفها اشرف الصلاة واكمل السلام والتحية قيل هى من نجد والراجح انها من الحجاز واما تهامة ففيها من البلاد المشهورة مكة المشرفة وقيل هى من الحجاز وفيها ايضاً من البلاد ينبع واما نجد فسيأتي ان شاء الله تعالى بيان ما فيه من البلاد فى بابه المخصوص به واما العروض فيشتمل على ناحيتين الاولى اليمامة وقيل هى من الحجاز وهى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم في المقدار بينها وبين البصرة ستة عشر مرحلة وبينها وبين الكوفة مثل ذلك وهى اكثر نخيلا من سائر بلاد الحجاز وبها كان مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه والناحية الثانية بلاد البحرين وهى قطر متسع مجاور لبحر فارس كثير النخيل والأنهر والمياه واسع التجارة بحرها معدن اللؤلؤ الفاخر وعدد بلدانها يزيد على سبعين لا يوجد مثلها في الممالك وهى قريبة من بر القطيف مسافة

خمس ساعات وعن قطر اربع ساعات فى السفن وعن العقير سبع ســاعات مع الريح المعتدل والمتولي عليها ابن خليفة من وائل ويسكن احياناً فى بلدة المنامة واحياناً فى بلد المحرق وهى من ممالك الدولة العلية العثمانية ولكثرة تردد الانكليز عليهم فهم على وجل منهم ولا يدعون إلا الانتساب الى الدولة العلية إلا ان الدولة لم تسكت عنهم إلا لبعدهم مع كثرة مشاغلها المهمة التي هى اهم من البحرين ومع ذلك فاهلها فى حيرة من الانكليز والعجب من ولاة بغداد كيف غفلوا عن هذه البلاد العظيمة مع كونها داخلة في جزيرة العرب التي هى ملك الدولة العلية وكانوا قبل هذا تحت يد ابن سعود امير نجد الذي هو من تبعة الدولة العلية العثمانية وكيف لا يمنعون احتجاجات الدولة الانكليزية عنهم مع وجود صداقتهم التامة بين الدولة الانكليزية انهم مع صحة صداقتهم مع الدولة العلية كيف يتجاسرون على حركات تستدعي التصرف فى امور البحرين مع ظهور انها ملك الدولة العلية .

واما دعوى الدولة الايرانية للبحرين فهي من قبيل دعوى ان مكة والمدينة لهم وان جزيرة العرب من ايران .

واما انتساب بعض اهل البحرين في بعض الاحيان الى الدولة الايرانية خوفاً من تسلط الانكليز عليهم فهو من قبيل الغريق يتشبث بالحشيش لانهم يستطيعون دفع عساكر الدولة الايرانية ولا يستطيعون منع مراكب الدولة الانكليزية فينسبون انفسهم الى الدولة الايرانية لعدم خوفهم منهم يبتغون بذلك الخلاص من تعرض الدولة الانكليزية بهم وكانت دعوى نسبتهم الى الدولة الايرانية بعد ان نادوا باعلى صوت من كل جانب بتبعية الدولة العلية فلم يجبهم أحد ومع هذا فهم الآن معترفون بتبعيتهم للدولة العلية ومتأسفون على اعراض الدولة العلية عنهم وبمساعدة قنصل بندر ابو شهر عزل محمد بن

خليفة عن البحرين ونصب محله أخاه علي فذهب محمد الى الكويت وهو من بني عم شيوخ الكويت فالتمس شيخ الكويت من علي عود اخيه الى البحرين فعاد ومعه اثناء الدخول محمد بن عبد الله من بني عمه فاستقبله علي بموكب الحرب ومعه ولد محمد بن عبدالله فلما رأى علي محمداً بن عبدالله مع اخيه محمد ابن خليفة قال لولد محمد بن عبدالله والدك من الخائنين معي فتضاربا وقتلا معاً فذهب محمد بن خليفة الى بيت اخيه علي ثم حبس وصار محمد بن عبدالله شيخاً على البحرين وهذه وقعة عجيبة .

هذا ومن أعظم بلاد البحرين واشهرها هجر بفتح الهاء والجيم وهي التي كانت قاعدة البحرين في الزمن المتقدم خربها القرامطة عند استيلائهم على البحرين وبنوا مدينة الاحساء ونزلوها وصارت قاعدة البحرين وسيأتي بيانها انشاء الله تعالى. واما اليمن فهواقليم عظيم متسع الارجاء متباعدالاطراف وكانت قاعدته القديمة مدينة صنعاء وهي مدينةعظيمة تشبه مدينة دمشق فى كثرة مياهها واشجارها وانهارها وجداولها معتدلة الهواء عذبة الماء وهى من اعدل البلدان واسهلها معاشاً واحسنها مزارعا وكان لاهلها قوة عظيمة وامراؤها من الاشراف على ما هو المشهور وهم أئمة الزيدية وقد ارتفعت الامارة في هذا العصر عن الاشراف لنزاعهم وغلبة اهل البادية عليهم فصار اميرهم احد عرب البادية يحكم بينهم بقوة العرب وغلبتهم وهى من البلاد القديمة قيل اول من اختطها سام بن نوح عليه السلام وفيها مساجد ما يزيد على ثلثمائة ومن الحمامات مايزيد على المائتين وغالب اهلها واهل باديتها واشرافها زيدية واهل السنة فيها قليلون وكانت فى تصرف الدولة العليـــة من القديم ثم صرفوا عنها النظر وقد استحدث امام الزيدية عليها حصناً عظيما في الجبال مطل على التهائم واراضي زبيد وفوقه منتزه يقال له صهلة قد ساق اليـه المياه من الجبال التى

فوقها وبنى فيه ابنية عظيمة فى غاية الحسن في وسط بستان وهو منزل بني رسول ملك اليمن . .

ومن بلاد اليمن الشهيرة زبيد بفتح الزاء المعجمة وهى قصبة التهائم وموضعها فى مستو من الارض وفيها نخيل كثيرة ولها سور دائر فيه ثمانية ابواب و بينها وبين البحر خمسة عشر ميلا وهى من البلاد القديمة وفيها شجر البن قيل وتوجد فيها المعادن . واول بنادر اليمن من جهة مكة المشرفة هى الليث والقنفذة وجيزان والحية وكمران والحديدة ومخا وهى قريبة من باب المندب وباب المندب وهو مضيق فى البحر واقع فى جهة الغرب من بر اليمن دون شرقي السومال والباب المذكور بغاز اليمن . وقد اخبرني بعض من اثق به من اكابر تجار نجد بان الانكليز قد سكنوا فى الغاز المذكور من مدة ثلاث سنين بحجة ان يجعلوا فيه منارة وعلامة لاهتداء المسافرين في البحر مع كونه من املاك الدولة العلية والله اعلم بعاقبة مرادهم وفي اليمن امم وقبائل كثيرة من العرب وقد قلت اموالهم ولم تتصل بهم انظار الدولة العلية وحسن سياستة وعدالته فآلت بلادهم الى عدم العمارة التامة واما بنادر الحجاز فجدة وينبع ورابغ والقصير

ومن مشاهير بلاد اليمن عدن وهى فرضة اليمن قديماً وحديثاً ويقال لها عدن اليمن سميت باسم بانيها وهى مدينة على ساحل بحر الهند جنوبي باب المندب يميل الى المشرق مورد مراكب الهند ومصر وغيرهما بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل واقعة في ذيل جبل كالتنور عليها وتمام الجبل سور الى البحر ولها باب الى البر وباب الى البحر الا انها قشفة يابسة ينقل اليها المـاء على ظهور الدواب بحسب العهد القديم . واما فى عصرنا هـذا فقد صارت بلدة عظيمة محصنة غاية التحصين معمورة مزينة قل ان يوجد مثلها على السواحل وهى من بر العرب ومن املاك الدولة العلية وسكانها وشيخهم ويقال له الفضلي فطلبت

الانكليز منه من مدة اربعين سنة أن يضعوا عنده ذخائر المراكب الانكليزية ويبقون عليها نفرات منهم لمحافظتها ثم بعد مدة اشتروا عدناً من الشيخ الفضلي المذكور بالف وخمسمائة ريال على ما تواتر وتولوها وعمروها وصرفوا عليها خزائن كثيرة وحصنوها بالقلاع تحت الجبل ثم طلبها الفضلي منهم فامتنعوا من تسليمها اليه ثم حاربهم فلم تحصل له الغلبة وايس منها وبقيت في ايديهم وقد صارت الآن بسبب خراب بلاد اليمن لما اجروا فيها من حسن المعاملة مع اهلها ومع المترددين اليها وابطلوا المكارك والرسومات فيها وحصلت لاهلها الرفاهية والثروة ورغب أهل اليمن الى السكنى فيها من كل جانب مع ان اليمن لو حلت فيه السياسة العادلة والحرية التامة لكان فى غاية العمارة والمنفعة ومن البلاد الشهيرة في اليمن بندر السحل وبندر مكلا وهما بندران لبر حضرموت واكثر أهله من الحضارمة القحطانيين واول بلدان حضرموت مسافة مرحلة عنها وغاية البعد عنهما سبع مراحل وقاعدة حضرموت بلدة يقال لهـا اتريم وفيها السادة الحضارمة وهم من الاشراف الصحيحي النسب ومن ذوي الصلاح وفيهم كثير من العلماء وكلهم شافعية واهل حضرموت اهل شجاعة واقـــدام كاهل نجد إلا ان اهل نجد ازيد منهم فى مكارم الاخلاق . قال فى نهاية الارب ومن مشاهير بلاد اليمن نجران بفتح النون وسكون الجيم وهى بلدة ذات نخيل واشجار على الغرب من صنعاء وهى بين عدن وحضرموت في الجبال وتعـد من بلاد همدان بين قرى ومدائن وعمارات ومياه وبها كان افعى بن الافعى الجرهمي الذي تحاكم اليه مضر وربيعة وأياد وانمار اولاد نزار بوصية من ابيهم

قال بعض الاذكياء من أهل نجد واما نجران فلا يحسب من اليمن بل هو قطر مستقل واقع شرقى وادي الدواسر من اراضي نجد بلد العرب الذين يقال لهم يأم وهم عرب العجمان وكلهم شيعة على عقيدة (العميديين) العبيديين الذين كانوا

فى مصر وفيهم سادات اشراف يعتقدون بهم غاية الاعتقاد ويدعون انهم يعلمون شيئاً من المغيبات .

قال فى نهاية الارب ومن مشاهير بلاد اليمن ظفار بالظاء المعجمة بعدها فاء وهي مدينة على ساحل خور يخرج من بحر الهند بينها وبين صنعاء اربعة وعشرون فرسخاً وعلى شمالها رمال الاحقاف التي كان عاد فيها وهي قاعــدة بلاد الشحر ويوجد في ارضها كثير من النبات الهندي ولها بساتين على سواق ويوجد فى سواحلها العنبر وغير ذلك من البلاد المتعددة وقال بعض الاذكياء وكذلك ظفار ليس من اليمن بل هى اقرب الى مسقط .

أقول وما ذكره بعض الاذكياء أولا وآخراً مبني على ما هو المعتاد الآن من أن اليمن يطلق على ما هو داخل باب المندب من جهة الحجاز واما بادية الشام ففيها من جزيرة العرب تدمر بفتح التاء وضم الميم وهى بلدة قديمة ببادية الشام من اعمال حمص واقعة فى شرقها وارضها سباخ وفيها نخيل وزيتون واشجار ولها سور وقلعة بينها وبين حمص نحو ثلاث مراحل وكذلك عن سلمية وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلا وبينها وبين الرحلة مائة ميل وميلان وهى منزل آل ربيعه ملوك العرب بالشام وكذلك من جزيرة العرب الواقعة فى بادية الشام بلدة تيم وهى حاضرة طيء وبها الحصن المعروف بالابلق المنسوب الى السموأل بن عادياء وتبوك وهى بلدة بين الحجر ارض ثمود وبين الشام وبها عين ماء ونخيل ويقال ان بها اصحاب الايكة الذين بعث الله تعالى اليهم شعيباً عليه السلام .

هذا وكان اليمن على ما قاله صاحب نهاية الارب منازل العرب العاربة من عاد وطسم وجديس واميم وجرهم وحضرموت ثم انتقلت ثمود الى الحجر من ارض الشام فكانوا به حتى هلكوا كما ورد في القرآن الكريم وهلك من

هلك من بقايا العاربة باليمن من عاد وغيرهم وخلفهم بنو قحطان بن عامر فعرفوا بعرب اليمن وبقوا فيـــه الى ان خرج عمرو بن مزيقيا وعند وقوع سيل العرم ثم خرج منه بقاياهم وتفرقوا فى الحجاز والشام وغيرها عندحدوث سيل العرم وكانت ارض الحجاز منازل بني عدنان الى أن غزاهم بخت نصر ونقل من نقل منهم الى الانبار من بلاد العراق ولم تزل العرب بعـــد ذلك منتشرة فى الاقطار الى أن كان الفتح الاسلامي فوغلوا في البلاد حتى وصلوا الى بلاد الترك والفرس وذهبوا الى اقصى المغرب وجزيرة الأندلس وبلاد السودان وملأوا الآفاق وعمروا البلاد والأقطار واكتسبوا العلوم والمعارف والفوا ودونوا وملأت آثارهم الحميدة التي تعلم منها سائر الناس فى جميع الآفاق وصار بعض عرب اليمن الى الحجاز فأقاموا به وربما صار بعض عرب الحجاز الى اليمن فأقاموا به وبقى من بقى منهم بالحجاز واليمن الى الآن ومنهم من تفرق في الاقطار وملأوا ما بين الخافقين ثم اعلم ان علماء النسب قد اختلفوا فى العرب العاربة فذهب ابن اسحاق الطبري الى أن العاربة هم عاد وثمود وطسم وجديس واميم وعميل والعمالقـــة وعبد ضخم وجرهم وحضرموت وحضور والسالف ومن في معناهم والمستعربة بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام ابن نوح وبنو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام من ولد عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة الذين كانوا في زمنهم وتعلم بنو اسماعيل العربية من جرهم وبني قحطان حين نزلوا عليه وعلى امه هاجر بمكة شرفها الله تعالى وذهب آخرون ومنهم صاحب حماة الى أن بني قحطان عاربة وان المستعربة هم بنو اسماعيل فقط والى الاول ذهب جمهور علماء النسب ورجحه صاحب العبر محتجاً بأنه لم يكن في بني قحطان من زمن نوح عليه السلام الى عابر من تكلم العربية وانما تعلموها

نقلا عمن كان قبلهم من عاد وثمود .

وذكر أن اسم قحطان في التوراة يقطن فعرب قحطان وقال بعضهم ان قحطان بن الهميع بن تيمن بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وعلى هذا يكون جميع العرب من ولد اسماعيل عليه السلام لأن عدنان وقحطان يستوعبان بطون العرب العدنانية والقحطانية لانقراض سائر العرب العاربة من عاد وثمود وامثالهما .

اقول وهذا مراد من قال ان جميع العرب من ولد اسماعيل عليه السلام لأنه لا ريب في بطلان كون عاد وثمود ومن في معناهما من ولد اسماعيل عليه السلام ورد أبو عبيد ما قاله البعض ووافقه صاحب نهاية الارب بقوله وشذ من قال ان قحطان بن الهميع بن تيمن بن ثابت بن اسماعيل عليه السلام .

هذا والعاربة هم العرب الاولى الذي فهمهم الله تعالى العربية ابتداء فتكلموا بها فقيل لهم عاربة بمعنى الراسخة في العربية ويقال لهم العرباء أيضاً أما بمعنى الفاعلية والمبتدعة للعروبة والمستعربة هم الذين دخلوا في العربية بعد العجمة من استفعل كقولهم استحجر الطين اذا صار في معنى الحجر ليبسه وربما قيل لهم المتعربة . وذهب بعضهم الى أن العربية كانت موجودة من عهد آدم عليه السلام لقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها لتعلقها ببعض اولاده دون بعض .

الباب الثانى

في بيان بلاد نجد ومحاله وما يتصل به من المحال والبلدان والقرى

فاما أول نجد المعمور من مساكن الحاضرة من جهة الشمال فجوف آل عمر الذي على شماله خيبر وفيه قرى كثيرة وكان في ايدي عنيزة ثم صار في ايدي

ابن رشيد شيخ جبل شمر بامر ابن سعود أمير نجد وجبل شمر هو مستقر ابن رشيدالى الآن (سنة ١٣٢٩) منها ومحل توطنه فى الجبل المذكور قرى كثيرة منهـا حائل وقفا وموقف وجبه وبقعا سميراء والكهفة وغير ذلك من القرى الكبيرة وآل رشيد رؤساء الجبل اهل شجاعة وكرم وهم امراء الحاج المتوجه من بغداد على جهة الجبل (الى الآن) وكبيرهم في عصرنا هذا ابن طلال بندر بن طلال (والآن سنة ١٣٢٩ وهم سعود بن عبدالعزيز) فى طاعة ابن سعود وامره ثم القصيم وهي ناحية من احسن نواحي نجد واهلها من أقوى اهاليه وهم أيضاً في طاعة ابن سعود وتحت امره وكبيرهم من جهـة ابن سعود وفي القصيم بلدتان مشهورتان وهما عنيزة وبريدة فأما عنيزة فكبيرها رجل من اسليم الى الآن وهم اهل بيت قديم فى عنيزة من عشيرة سبيع واما بريدة فكبيرها محمد السديري قد نصبه ابن سعود اميراً على كافة قرى القصيم ومحاله سوى عنيزة وقرى القصيم الاسياح وعين ابن فهيد وحنيظل وابو الدود وقصباء وقرى بريدة الشقة والعيون والبصة والقرعاء (ارمه الذي ينحدر الى عنيزة من جهة الشمال) ووادي عنيزة وغير ذلك وقرى الوادي التابعة لبريدة الشيحيات والهلالية والبكيرية والخبراء وقرى الرس : صبيح والنبهانية وقرى المذنب ثلاث هذا هو المشهور من محال القصيم ثم ناحية سدير وبلدانها الزلفى وقراه خص الجمعة وحرمة ووشي والجوى وجلاجل والتوم والداخلة والروضة والحصون والحوطة والجنوبية والعطار والجنبفي والعودة وتمير وعشيرة والحطامة فهذه محال سدير والاصح مركز حكومة الالفي . بلدة الزلفي ومركز الحكومة المجمعة ثم ناحية الرشم محالها شقراء وهي مركز الحكومة وشيقر والقرائن والفرعة وترمد ومرات وثيثية والجريفة والحريق والقصب وعسبلي والبير والدوادي والشعرة والقويعية والرويضة والشمس والخانوقة والحيـد

فهذه عدد بلدان ناحية الرشم ثم ناحية المحمل ومحالهـــا نادق وهو مركز الحكومة والبير والصفرة والرغبة والبيرة ودقلة والقرينية نسبة الى مقران مؤسسها وفيها آثار قديمة جداً وعليها كتابات غريبة وملهم وصلبوخ (الصلبوخ حجر الزناد سمي لصلابة ارضه) ثم ناحية العارض المسمى بوادي حنيفة وباليمامة وهو مركز امارة ابن سعود على كافة نواحي نجد الحاضرة والبادية وكان مركز امارته الدرعية فصار مركز الامارة محلا يقال له الرياض من محال العارض والرياض بلدة كبيرة فيها كثير من الناس وهي من احسن المحال واول ناحية العارض حريملة ثم سدوس وفيه تمثال دفع عنه الانكليز مبلغ ١٥٠٠ ليرة انكليزية بارز عن وجه الارض وعليه كتابات ويقدر طول البارز منه مترين ثم خرما ثم العمارية ثم ابو كباش ثم الجبيلة ثم العيينة ثم الدرعية ثم عرجة ثم الرياض ثم منفوحة وفي جنوب العارض الخرج وهي بلدة قديمة وفيها اماكن ذات عيون جارية وكان محل عشيرة عائذ من قبائل نجد وصار لهم فيه صولة عظيمة وكان منهم اهل بادية ومنهم اهل حضر تفرقوا في بلدان نجد وغيرها ولم يبق منهم احد في البادية وقد تفرق كثير من قبائل نجد كعائذ المذكورين وآل مغيرة وزغب وآل بشر وقرى الخرج الدليم والسلمية واليمامة وزميمة ونعجان والسيح وغير ذلك من القرى ثم الفرع وهو واد معمور وفيه نخيل كثيرة قوية وغالب سكانه من بني تميم وهم اهل حضر واما أهل البادية من تميم فما بقي منهم أحد وقرى الفرع الكبار الحوطة والحريق ونعام والحلوة وهي محل الحكومة من جهة ابن سعود ثم ناحية الافلاج وهي اول بلدان قبيلة الدواسر وقراها البلى والبدع والاحمر والهدار وغير ذلك من القرى المشحونة بالنخيل ثم وادي الدواسر واوله السليل وقراه كثيرة منها اللدام والخنابح وجميع قراه خمسة عشر قرية والوادي (الذي يقال له وادي

حنيفة) المذكور هو مسكن الدواسر البادية والحاضرة وهو آخر نجد من جهة الجنوب والمعمور من نجد من جوف أجل عمر الى وادي الدواسر مسيرة خمسة عشر يوماً من جهة الشمال الى الجنوب واما من جهة الشرق الى الغرب فالمعمور منه مسافة ستة أيام هذا هو المعمور بالبلدان واما مساكن اهل البادية في العشائر والقبائل فهو طول مقدار شهر وعرض كذلك واودية نجد الكبار كثيرة منها وادي حنيفة ومنها وادي الدواسر ومنها وادي القصيم المسمى وادي الرمة ومنها وادي سدير وفي نجد عقبات صعبة المسالك والدهناء هي الرمال الحاجزة دون نجد ثم من الجهة الجنوبية لنجد بلاد عسير وهم قبائل كثيرة لا يحصى عددهم من ذوي الشجاعة والاقدام حاضرة واهل بادية والحاضرة منهم هم قبيلة شهران من حمير وقد تولاهم قبل هذا ابن سعود والآن ليسوا في طاعته وشيخهم الآن محمد بن عائش من عشيرة يقال لهم المتنع وغالب مساكنهم في الجبال لا يزالون يغيرون على سواحل اليمن فينهبون منها ومركز حكومة كبيرهم في الجبل في بلدة يقال لها السقا ولهم اكثر من مائة قرية واكثرهم في البادية ثم بلاد اليمن وقد سبق بيانها وفي الجهة الشرقية لنجد الاحساء والقطيف وهو من الخط الذي فيه جزيرة دارين الملاصقة للقطيف والاحساء في تصرف ابن سعود وهي قرى كثيرة واكبر ما فيها من البلاد المفوف والمبرز فالمفوف مركز الحكومة من جهة ابن سعود وفي الاحساء ست قلاع فيها عساكر ابن سعود ويتبعها اكثر من مائتي قرية كبيرة غير البلدتين المذكورتين وهي بلاد متسعة سهلة المعاش ذات نخيل كثيرة واشجار ومياه جارية ولا يأخذ منهم ابن سعود الا العشر وفي الاحساء كثير من العلماء الاعلام من المذاهب الاربعة رضي الله عنهم ومن اجل علمائها الاعلام العالمين الزاهدين الشيخ ابو بكر وقد رأيت له تأليفاً جيداً في التصوف وفيها رفضة

اكثر من ثلثيها لكنهم في غاية الذل واما بلد القطيف فجهة مشرقها على ساحل البحر تقابل الاحساء في النهر والحواصل وجميع سكانه رفضة وهو عن الاحساء مسافة ثلاثة مراحل والاحساء ونجـد مسافة سبع مراحل وبين الاحساء والقطيف الدهناء وهي رمال والصما وهي ارض يابسة لا يوجد فيها ماء والمسافر منهما الى نجد لا بد له من حمل الماء وفي الجهة الشرقية للقطيف بندر العقير الواقع على ساحل البحر وهو بندر الاحساء وفيه محل محصن لبعض عساكر ابن سعود معداً لتجار نجد الذين يسافرون الى الاحساء فانهم اذا وصلوا الى المحل المذكور جعلوا اموالهم فيه الى آن تأتيهم الرواحل فتحمل اموالهم الى الاحساء .

ثم في شرق العقير ناحية قطر وهي منزل العرب اهل السفائن الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ وهم قبائل منهم من قحطان ومنهم من وائل وفي بر قطر بعض من بني هاجر وفي باديته عشيرة يقال لهـا المناصير وفي سواحله عدة محال كثيرة منها البدع وهو رأس الحبارة ونوبرط وغير ذلك من البنادر وقد يتصرف صاحب جزيرة البحرين احياناً في قطر وأما بره وصحاريه فهو في تصرف ابن سعود .

ثم في الجهة الشرقية لقطر اول بلاده عمان وهو بلد أبن جني وسكان هذا البلد عشيرة يقال لهم بنو ياس وهم من قحطان وهي قليلة المـاء ليس فيها زراعة ولا نخيل وانما سكنتها اهل سفن يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ وكبيرهم منهم وهو رجل يسمى زائد . ثم شرقيهـا رأس الخيمة وهي بلدة القواسم وهم قطاع سبل البحر وكانوا في غاية الجسارة من قتل النفس واخذ اموال الناس ومن مدة اربعين سـنة هدمت الانكليز بلدتهم المذكورة وخربوها فتفرق اهلها ثم رجعوا اليها وعمروها وسكنوا فيهـا ولكن قطعت

ايديهم من منبع سيل البحر ثم شرقيها بلدة يقال لها الشارقة وهي من توابع
رأس الخيمة واهلها أيضاً من عشيرة القواسم ولهم سفن يسافرون فيها الى بلاد
الهند ويغوصون فى البحر لاستخراج اللؤلؤ كبيرهم منهم ثم فى شرقيها دبي
واهله ايضاً من القواسم ولكنهم مستقلون بانفسهم صنعتهم الغوص في البحر
ثم بندر خورفكان وسكانهم قليلون يصطادون السمك من البحر ثم بندر
سحار وهى بلدة كبيرة من توابع صاحب مسقط وفيها واحد من بيت آل
أبي سعيد ولاة مسقط وهى كثيرة النخيل والاشجار ثم بندر الشورى وفيه
اهل سفن يسافرون فى البحر ثم بندر السويب وهى بلدة فيها نخيل وفواكه
وسفن ثم بندر بركة وسكانه اهل زراعة ونخيل وسفن فهذه بنادر عمان واما
بلاده التي في البر فمقدار مائة وعشرين قرية وقبائله السعد والمناصير ونعيم وفيه
عالم كثير وهو قطر واسع ذو نخيل كثيرة وفواكه عجيبة وافرة وفيه الابل
النجائب النعمانيات والخيل فيها قليلة وغالب اهل عمان على مذهب الاباضية والبر
الذي بين عمان وحضرموت رمال لا تسكن ولا تسلك والصحيح انها ارض
عاد على ما قاله بعض اهل الوقوف على التواريخ القديمة وفى قطعة شمال البريمي
من عمان قبائل وعشائر كثيرة جداً تحت حكم ابن سعود ويغزو أحياناً على
بلاد عمان كما ان له على والي مسقط فى كل سنة عشرة آلاف ريال لصولته عليه
وعلى كثير من قبائل عمان الداخلين تحت طاعته فان لابن سعود في تلك
النواحي صولة وشأناً عظيما ويداً طولى ثم فى الجهة الشرقية لبندر بركة بندر
مسقط المشهور ويتبعه قرى كثيرة وهى بلدة في غاية العمارة مشتملة على كثير
من التجار المتمولين اهل السفن والمراكب ومسافرتهم الى بلاد الهند وجدة
وفى نواحيها بساتين كثيرة ذات نخيل واشجار واثمار عجيبة ولا يوجد مثلها
للتجارة وقد وقع الخلاف والمنازعة بين اهل المشيخة من آل ابي سعيد ولاتها

فضعفت حالها وقد بلغني ان ابن سعود جهز عسكراً عظيما ومشى على مسقط في هذه الايام وقراها المشهورة الكبيرة مقدار خمس عشرة قرية ثم في الجهة الشرقية لمسقط بلد سور وفيها سفن كثيرة وسكانها اهل تجارة يسافرون الى جميع الجهات ليس عندهم زراعة ولا نخيل ثم في شرقيه رأس الحد ومسافرة سكانه في البحر وهو آخر بر العرب من جهة الشرق ثم ينعطف البحر غرب الجنوب الى خليج اليمن وهو البحر الاحمر واول محل انعطافه مكان يسمى مصيرة وسكانه لا يعرفون صيد السمك ثم مرباط وهو بندر سكانه اهل البحر ثم بلدان المهرة ولها قرى كثيرة وسكانه اهل اسفار وسفن بندر الشحر وبندر مكلا وهما بندر حضرموت .

الباب الثالث

في بيان بعض ابعاد المسافات الواقعة بين المحال المذكورة

فالبعد من البصرة الى قصبة الزبير رضي الله عنه ست ساعات ومن الزبير الى الكويت يومان ومن الكويت الى القطيف على قرب ساحل البحر خمسة ايام ومن القطيف الى الاحساء ثلاثة ايام ومن الاحساء الى نجد سبعة ايام واما على غير طريق الكويت والقطيف فمن البصرة الى الاحساء مقدار تسعة ايام واما من البصرة الى اول اراضي نجد على غير طريق الاحساء فمقدار ثلاثة عشر يوماً وجميع النواحي المذكورة في نجد مسافة ما بينها مقدار مرحلتين او ثلاث مراحل او اربع وهي غاية البعد ومسافة بعد بندر العقير عن الاحساء مرحلة ونصف مرحلة وبعد جزيرة البحرين عن القطيف مقدار خمس ساعات بحراً وعن العقير مقدار سبع ساعات بحراً وعن قطر مقدار اربع ساعات بحراً وهذا مع الريح المعتدل وبعد قطعة شمال البريمي من بر

عمان عن سيف البحر ثلاث مراحل الى اربع وبعد مسقط عن البصرة بحراً مع الريح المعتدل سبعة ايام وغاية المسافة عشرة ايام ومسقط من جملة بلاد عمان وبعد بلد مطرح عن مسقط نصف ساعة وبعد جزيرة البحرين عن مسقط بحراً مع الريح المعتدل سبعة ايام وبعد نجد عن جزيرة البحرين بحراً سبع ساعات وبراً ثماني مراحل وبعد الاحساء عن جزيرة البحرين براً مرحلة ونصف مرحلة وبحراً سبع ساعات وبعد المدينة المنورة عن القصيم من محال نجد ثماني عشر مراحل والقصيم اثنتا عشرة مرحلة وبعد جدة عن البصرة بحراً فى المراكب الدخانية خمسة عشر يوماً واما في المراكب الريحية مع الريح المعتدل فشهر تقريباً ومع اختلاف الارياح فشهران او اكثر وبعد عمان عن الاحساء ادناه ثلاث عشرة مرحلة وهو الادنى من اليمن واقصاه عن نجد خمس وعشرون مرحلة .

الباب الرابع

فى بيان عشائر نجد وغيره من القبائل العربية من سكان البادية

فمن اعظم عشائر نجد مطير وهي عشيرة كبيرة كثيرة العدد فى غاية القوة والشجاعة وعدد قبائلها كثيرة منها قبيلة الدويس والمرهمة وجيلان وذوي عون والملاعبة ومسيلم وبرية والمريخات والهوامل فهؤلاء كبار قبائل مطير والمشهور فيما بينهم انهم من قحطان والذي ذكره صاحب نهاية الارب انهم بطن من بني طسم من العماليق من العرب العاربة كانت مساكنهم مع قومهم من بني طسم بيثرب الى ان اخرجهم منها بنو اسرائيل وشيخهم الاكبر فى هذا العصر ماجد الدويس .

ومن اعظم عشائر نجد العجمان وهم في غاية القوة والكثرة والشجاعة

ويتفرعون الى قبائل كثيرة منها آل معيض وآل حبيش وآل سليمان والمتلان وآل محفوظ والضاعن والشامر وآل مصرع والشواولة وآل مفلح وهم من قحطان وشيخهم الاكبر في هذا العصر ابن خليل .

ومن اعظم عشائر نجد آل مرة وهم من اهل القوة والشجاعة والكثرة ولهم قبائل كثيرة منها آل جابر وآل عذبة والغفران وآل علي وغير ذلك وشيخهم الاكبر في هذا العصر فيصل المرضف وهم مع العجمان على حد واحد ولم اقف على كونهم من بني مرة بطن من الاوس من الازد من قحطان أو من بني مرة بطن من بكر بن وائل من عدنان او من بني مرة بطن من ذبيان من العدنانية .

ومن اعظم عشائر نجد عتيبة وهي عشيرة في غاية الكثرة والقوة والشجاعة وهي فرقتان الروقة وبرقا وتتشعب هاتان الفرقتان الى قبائل كثيرة جداً وشيخهم الاكبر في هذا العصر مصلط بن ربيعان وهم على ما ذكره صاحب نهاية الارب بطن من جذام القحطانية بنو عتيبة بن اسلم بن مالك بن شنوة ابن بلبل بن جشم بن جذام . (والذي ذكره اهل اللغة : عتيب بن اسلم ابن مالك بن شنؤة بن تدين) . .

قال ابو عبيد وهم اليوم ينسبون في بني شيبان فيقول عتيبة بن عوف ابن شيبان قال واليهم ينسب جبرة عنيث بالبصرة . قال الجوهري اغار عليهم بعض الملوك فسبي الرجال فكانوا يقولون اذا كبر صبياننا لم يتركونا حتى يفتكوا لنا فلم يزالوا عنده حتى هلكوا فضربت بهم العرب مثلا فقالوا : اودى عتيب (وفي الاصل عنيث وهو خطأ) وفي ذلك يقول الشاعر :

ترجيها وقد وقعت بقوم كما ترجو اصاغرها عتيب

(الشعر غلط أيضاً في الاصل اذ ذكر بغره . . . وعنيث) .

ومن اعظم عشائر نجد قحطان وهم فى غاية الكثرة والقوة والشجاعة والاقدام وقبائلهم كثيرة منها السمر والعاصم والحنافرة والروقـــة والسعيد والحمالة والجمل وعبيدة وهم اكثر من نصف قحطان وشيخهم محمد بن هادي ومساكنهم في نجد فى جهة الجنوب عن بلدان عسير .

ومن اعظم عشائر نجد سبيع وهم من اهل الكثرة والقوة والشجاعة ولهم قبائل كثيرة منها الجمالين والعرينات والنبطة والحملة والجمور وآل علي والعذارية والعبادي والصنعة ومليح والقرينات والعزة وشيخهم عسا وقيل وهم من بني عامر بن صعصعة من العدنانية .

ومن اعظم عشائر نجد الشهول وهم فى غاية القوة والشجاعة ولهم خمس قبائل كثيرة العدد وشيخهم ابن معدل وهم بنو سهل بطن من بني بحر من لخم من القحطانية .

ومن اعظم عشائر نجد الدواسر وهم خلق كثير حاضرة وبادية في غاية القوة والشجاعة والكثر والعنف وقبائلهم التى في البادية كثيرة منها المساعرة وآل بريدة وآل ابو سباه والمخاريم والرجبان والحبيلات والشراقا والعيذيان واجل ابي حازم وآل عمار وشيخهم ابو قويد .

قال في نهاية الارب وهم بطن من العرب باليمن ولم ينسبهم الى أحد واما بنوا خالد فكانوا امراء الاحساء فتغلب عليهم ابن سعود واخـــذ منهم الاحساء وهم قبائل منهم المباشير والجبور والمشيخة فى آل حميـــد اهل كرم وشجاعة ومن مشايخهم الكرام ابن عريعر المشهور ولم اقف على كونهم من بني خالد بطن من بني قحطان أو من بني خالد بطن من عامر بن صعصعة من عدنان او من بني خالد بطن من غزية طيء من قحطان أو من بني خالد عرب حمص بطن من بني مخزوم من قريش وهم رهط خالد بن الوليد الصحابي

رضى الله تعالى عنه لكن قال الحمداني عرب حمص يدعون النسب الى خالد ابن الوليد وقد اجمع اهل العلم بالنسب على انقراض عقبه ثم قال انهم من أحلاف آل فضل عرب الشام على ما نقله صاحب نهاية الارب فهذه عشائر بادية نجد ولا يحصي عددها إلا الله تعالى .

واما حرب فهم عرب بادية المدينة المنورة وينقسمان الى قبيلتين بني علي ومسروح وتتفرع هاتان القبيلتان الى قبائل كثيرة وبطون عسرة الاحصاء لكثرتها أو زيادة شعوبها وهم فى الكثرة وزيادة البطون مثل عشيرة عنزة ومع كثرتهم فهم اهل قوة وشجاعة ولم اقف على كونهم من حرب بطن من الصبر من غسان من الازد من قحطان أو من حرب بطن من بكر بن وائل من عدنان أو من حرب بطن من بني حاشد من همدان من القحطانية ومن حرب بطن من جهلان من القحطانية والله اعلم وقد يوجد فى نواحي الحجاز فى اطراف مكة والمدينة بعض من عتيبة والبقوم .

وأما هذيل فهم في جهة مكة خاصة وهم بطن من خندق من مضر وقد يوجد بعض من حرب في جهة مكة . واما ثقيف ففي الطايف وهم من هوازن من العدنانية وزعم بعض النسابة ان ثقيفاً من بقايا ثمود وكان الحجاج اذا سمع ذلك يقول كذبوا قال الله تعالى وثمود فما ابقى أي اهلكهم وما ابقى منهم احداً قال في الحمير وثقيف بطن متسع ومنازلهم بالطائف وهو مدينة من اراضى نجد على مرحلتين من مكة في شرقها أو شمالها وكانت فى القديم للعمالقة ثم نزلها ثمود وقيل بل سكنها بعد العمالقة عدوان ثم غلبهم ثقيف وسكنوا فيه وهو الآن مسكنهم انتهى ولم اقف على من عدا الطائف من نجد سوى صاحب العبر وقيل ثقيف موالي لهوازن وقيل انهم من أياد بن نزار بن مضر ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان في العراق الجائر

المشهور . واما عرب عمان فهم قبائل كثيرة اشهرها المناصير ونعيم والسعد وكل من هؤلاء القبائل يتفرع الى بطون كثيرة والله اعلم بعدتهم وهم بعضهم من الازد نزلوا عمان لما تفرق الازد حين ارسل الله تعالى عليهم سيل العرم . وعرب بادية اليمن كثيرون اشهر قبائلهم غامد وزهران وبجيلة واسعد وشهران وزبيد وبعضهم من « سام » وكلهم من قحطان ويتفرع من كل من هؤلاء العشائر بطون كثيرة وعرب جزيرة البحرين والقطيف وهجر من ربيعة وغيرهم وجميع من تقدم من قبائل العرب فهم من ذوي النسب المعتبر لديهم .

واما العرب الساقطون من الاعتبار المطعون فيهم المحتقرون والنازل لدى العرب النجباء فهم ثلاثة عشائر الصليب والعوازمة والرشائدة .

الباب الخامس

فى بيان نسب ابن سعود أمير نجد ، مع بيان بعض احواله ومنشأه ورسم حكومته وصور مكاتباته الى اهل بلدان نجد

فاما نسبه فهو أن الامير في هذا العصر عبدالله بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعـــة بن مانع البريدي العنزي وهو من مشايخ عنزه وكان مانع المريدي المذكور جد آل مقرن وآل وطبان يسكن في بلد الدروع من نواحي القطيف ثم صار بينه وبين ادرع رئيس حجر اليمامة من بني عمه مراسلة ومواصلة لما بينهما من الرحم فاستدعاه ابن درع القطيف واعطاه من ملكه ارض المليبد وغصيبة المعروفتين فى الدرعية فاستقر هو واولاده فيهـا وكان مافوق المليبد وغصيبة لآل يزيد من آل دغير من بني حنيفة الموجودين اليوم الى ما دون الجبيلة الى حريملا الى ابكين الحسن بن طوق جد آل معمر

ثم ولد لمانع المذكور ربيعة وصارت له صولة واتسع ملكه وحارب آل يزيد ثم ظهر بعد ذلك ابنه موسى وصارت له شهرة اعظم من ابيه ربيعة واستولى على الملك في حياة ابيه وصارت له وقعة مع آل يزيد وجرح جراحاً كثيرة وضيقوا عليه واحتال على قتل ابيه ربيعة فجرحه جراحات كثيرة وهرب ربيعة الى احمد بن حسن بن طوق رئيس العيينه فاجاره واجله واكرمه لما بينهما من سابقة المعروف .

ثم ان موسى جمع جموعاً من المردة وغيرهم ممن كان عنده وهم من المؤلفة واغار على آل يزيد صباحاً في النعيمة الوصيل وتحاربوا فصارت الغلبة لموسى فقتل من آل يزيد اكثر من ثمانين رجل واستولى على ملكهم ومنازلهم ودمرهم ولم تقم بعد ذلك لآل يزيد قائمة وكان يضرب المثل بهـذه الواقعة ويقال صبحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد واستمر موسى بن ربيعـة في الولاية الى أن توفى فتولى ابنه ابراهيم الى أن توفى وتولى ابنه مرخان وكان لمرخان ولدان ربيعة ومقرن فاما ربيعة فولده وطبان وهو جد آل وطبان الساكنين في قصبة سيدنا الزبير رضي الله عنه ولوطبان المذكور عـدة أولاد ذكور قيل انهم اربعة عشر ولداً ذكراً من خرمان ابو زيد الذي تولى الدرعية قبل آل مقرن وغدره محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر الملقب بخرفاش فقتله وقتل دغيم بن فائز المليحي وكان معهما محمد بن سعود من آل مقرن فهرب ونجا ثم بعد ذلك استقل بالدرعية واستولى اولاده على جميع نجد وهم آل مقرن الذي منهم ابن سعود المشهور ومنهم محمد بن وطبان جد آل ثاقب وقد جرى بين آل وطبان قطيعة وسفك دماء ويجتمع آل مقرن وآل وطبان في مرخان وهما يجتمعان مع اهل خرما واهل ابي الكباش في ابراهيم بن بن موسى المذكور وقتل وطبان المذكور ابن عمه مرخان بن مقرن وهرب

من نجد قيل واتى الى قصبة الزبير رضي الله عنه قرب البصرة واما مقرن بن مرخان بن ابراهيم جـد آل سعود المشهورين فله من الاولاد محمد وعياف وعبدالله فمحمد جد آل عياف فآل مقرن هم ذرية محمد وذرية عبدالله وذرية عياف وذرية مرخان الذي قتله عمه وطبان وخلف محمد بن مقرن من الاولاد مقرناً وسعود فمقرن هذا ليس له عقب الا عبدالله الذي جعله عبد العزيز بن محمد بن سعود أميراً فى الرياض حين تغلب عليها واما سعود فله عدة أولاد منهم محمد ومشاري وثنيان وفرحان فمحمد هو الذي استقل بالدرعية وكذا اولاده من بعده الى عصرنا هـــذا وهو الذي أوى الشيخ محمد بن الشيخ عبدالوهاب عالم نجد المشهور فانه لما كان فى بلد العيينة عند عثمان بن معمر ورأى منه الجفا قصد محمد بن سعود المذكور فآواه وايده وامتثل امره وجهز الجيوش لنصر دعوته وترويج طريقته المشهورة بالوهابية ومشارى ابن سعود ابن محمد بن مقرن هو الذي أيد اخاه محمد بن سعود فى نصره الطريقة الوهابية وكذا ولده حسن بن مشاري فانه قاد السرايا وقاتل فى الحصون والبلدان والقرايا مع ابن عمه عبدالعزيز بن محمد بن سعود وله اولاد فرسان شجعان قتلوا فى حرب ابراهيم باشا بن محمدعلي باشا والي مصر لـــا حاصر الدرعية وكذا ابنه عبـــد الرحمن وخلف عبدالرحمن ولداً اسمه مشاري الذي قتل ابن عمه تركي أمير نجد .

وأما ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن فانه كان اعمى ولكن كان مفتوح البصيرة لفرط ذكائه وكان مستشاراً لاخيه الامير محمد بن سعود بن مقرن في الامور ومن ذريته عبدالله بن ثنيان بن ابراهيم بن ثنيان المذكور وفيصل بن ناصر بن عبدالله بن ثنيان المذكور ومحمد بن يوسف بن ثنيان الذي كان فى مصر ثم جاء الى ابن عمه فيصل امير نجد .

وأما فرحان بن سعود بن محمد بن مقرن فليس من ذريته إلا سعود ابن ابراهيم بن عبد الله بن فرحان والباقون من جميع آل مقرن انما هم ذرية محمد بن مقرن جد آل سعود أمير نجد في هذا العصر وذرية اخيه عياف ابن مقرن جد آل عياف المذكورين ولنرجع الى اولاد محمد بن سعود بن محمد بن مقرن جد آل سعود امراء نجد نخلف محمد بن سعود بن عبدالعزيز وهو الذي قاد الجيوش لنصرة الطريقة الوهابية وبلغت سراياه وعماله اقصى بلاد نجد وزالت به الحروب التي كانت تقع بين قبائل نجد وحصل الأمن والامان فى البادية والحضر وكانت الأبل والخيل والانعام ترعى فى الصحاري وتلد وليس عندها سوى رجل واحد ولا يستطيع أحد من قبائل العرب ان يأخذ منها شيئاً .

ثم خلف عبدالعزيز سعوداً وهو ايضاً قد قاد الجيوش على الخيل العتاق والركائب النجب واذعنت له صناديد العرب وذلت له رؤساؤهم الا أنه اخطأ خطأ عظيما في منع الناس عن الحج وفى الخروج على السلطان وانهم غالوا فى تكفير من خالفهم ولو كان من اهل السنة والجماعة وشددوا فى بعض الاحكام التي لم يرد الشرع بتشديدها وحملوا اكثر الامور على ظاهرها وكذا غالت الناس فى القدح عليهم والانصاف الحالة الوسطى الا التشديد الذي ذهب اليه علماء نجد وعامتهم من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله ومنعهم الحج

واما ما ينسب اليهم من اعتقاد النبي ﷺ كالجماد في قبره والعياذ بالله فحسرت ظني بقوة اسلامهم انه لا اصل له بل مفترى عليهم ولا التساهل الذي عليه عامة اهل العراق والشامات وغيرها من الحلف بغير الله تعالى وبناء الابنية المزخرفة بالذهب والفضة والالوان المختلفة على قبور الصالحين والنذر لهم وغير ذلك من الامور التي نهى عنها الشارع ﷺ الحاصل ان الافراط

والتفريط في الدين ليس من حق المسلمين وحقهم اتباع ما عليه الأئمة الاربعة المجتهدون الذين على طريقة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأكبر التابعين والتجاسر على تكفير بعضهم بعضاً والعياذ بالله تعالى يوجب غضب الله تعالى ومهما أمكن فى حق المسلم الذي صدر منه ما يخالف ظاهر الشرع فاللازم تأويله بوجه حسن لأن المؤمنين اخوة فان لم يمكن التأويل فحينئذ يحكم بما يقتضيه الشرع المبين من التكفير والتفسيق .

ثم خلف سعود بن عبدالعزيز عبدالله وهو الذي استولى عليه الوزير الغضنفر ابراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر وحبسه وذهب به الى مصر ثم ارسله الى استانبول في ايام الغازي محمود خان وامر بضرب عنقه فى ميدان جامع السلطان بايزيد بين ملأ الناس وعبدالله المشار اليه وان كان قد علم كاسلافه القبائل احكام الدين وامرهم بقيام الجماعات فى الاوقات الخمسة بحيث لا يختلف احد منهم فى بلاد نجد عنها الى عصرنا هذا الا انه قد اخطأ فى تجاسره على بلاد السلطان الذي هو امام العصر وخادم الحرمين الشريفين ولو اكتفى بنجد وما يليه من عمان وجزيرة البحرين وغيرها لاستقام امره وفاز بعمله احكام الدين للقبائل التي كالانعام بل اضل سبيلا . وخلف سعود بن عبد العزيز أيضاً فيصلا وناصراً وتركياً وابراهيم وسعداً وفهداً ومشارياً وعبدالرحمن وعمراً وحسنا .

واما فيصل فقد قتل في حرب الدرعية بعد أن بارز وحصلت لهم الشهرة وكذا قتل ابراهيم فى ذلك الحرب وناصر وتركي ماتا قبلهما وسعد وفهد ومشاري وعبدالرحمن وعمر وحسن نقلهم ابراهيم باشا الى مصر مع اولادهم ونسائهم وماتوا هنالك .

رجعنا الى محمد بن سعود فمن ابنائه عبد الله وهو الذي قوى أخاه

عبدالعزيز وقاتل معه اشد القتال وقاد الفرسان والابطال وحصلت له الشهرة العظيمة فكم كتيبة كر عليها وفرقها وفل جمعها ومزقها وهو من المشهورين بالشجاعة والاقدام ثم قام ابنه تركي بن عبدالله الشجاع الذي قاد القبائل الى طاعته وامرهم بالقيام باركان الاسلام بعد أن تهاون اكثرهم بالصلاة وافطروا في رمضان وعادوا الى ماكانوا عليه في سالف الزمان من شعار الجاهلية فحاربهم وقاتلهم حتى انضووا بقيام الطاعات ثم قام مقام ابنه فيصل بن تركي وهو الذي فر من حبس مصر واستولى على بلاد نجد واخذه من عبدالله بن ثنيان مع قوته وشدة بأسه فحاربه حرباً عظيما واخمد ناره ودانت له القبائل والبلدان وسكنت جنوده في نجـــد وعمان وجمع في سياسته بين الشدة واللين وكثرة عطاياه وكان كثير الاكرام والاحترام لاهل العلم وحملة القرآن ورحيما بالفقراء والارامل والايتام غير مائل الى سفك الدماء وقد مدحه الشيخ عثمان قاضي نجد بقصيدة منها :

عفيف شريف النفس للفضل عارف حليم كريم سالم القلب منصف

ولفيصل بن تركي ثلاثة أولاد عبدالله ومحمود وسعود فاما عبدالله فهو في نجد في هذا العصر واما محمد فهو مع اخيه عبدالله وفي طاعته واما سعود قد وقعت بينه وبين اخيه عبدالله منافسة فهرب الى العسير خوفاً من اخيه عبدالله ثم عاد وضبط الاحساء والقطيف وهو بصدد الامارة في نجد ولم يتمكن منها الى الآن فهذا ما يتعلق بنسب آل سعود .

واما رسم حكومتهم فانهم يأخذون من اهل الحضر من كل مائة صاع من الحبوب خمسة اصواع ومن كل مائة صاع تمراً خمسه اصواع واهل البادية فلا يؤخذ منهم إلا زكاة الابل والاغنام على الوجه الشرعي . واما ما يكون ريعه من الانهر كالاحساء والقطيف بلا سقي فيؤخذ من المائة عشرة وقـــد تضيق الواردات عن مؤنة نفسه واهله واقاربه وعلمائه وقضاته وسائراهل العلم

في بلاده وقراه والفقراء والعاجزين عن الكسب وغير ذلك من المصارف المرتبـــة على ما حدثني بذلك النجيب محمد بن عبدالعزيز بن عبدالوهاب من اكابر نجد وهو ثقة كريم وليس لابن سعود عسكر موظف للحرب بل اذا اراد الحرب جمع من العشائر والقبائل ما يريد من الاعـــداد الكثيرة الى مائة الف واما الموظف فمقدار الف فى خدمته وخمسمائة فى الأحساء وخمسمائة في القطيف وخمسمائة في عمان ولعسكره قوانين ومرتبات جارية من القديم على اهل البلدان والبادية كل يعطي ما عليه بحسب قدرته ووسعه وقد تقاتل المائة منهم الفاً من غيرهم والالف آلافاً لشدة شجاعتهم وبأسهم كما ذكره الله تعالى بقوله أولي بأس شديد وفى بلاد نجد كثير من التجار من ذوي الثروة وكثير منهم في نواحي البصرة وبعضهم فى الكويت وبعضهم في الهند كالشيخ علي بن ابراهيم وهو من ثقات الرجال الاخيار الكاملين وقد اجتمعت به في البصرة ويملك مقدار مائة الف كيس فا كثر وله عـــدة املاك فى نواحي البصرة عليها ابن اخيه عبدالله عبود بن عيسى وهو من الاخيار واولاد الشيخ علي المذكور في الكويت .

وأما مكاتبات آل سعود الى اهل نجد وعشائره فصورة مكاتبة تركي ابن عبدالله كبير نجد :

بسم الله الرحمن الرحيم من تركي بن عبدالله الى من يراه من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فموجب الخط ابلاغكم السلام والسؤال عن احوالكم والنصيحة لكم والشفقة عليكم والمعـــذرة من الله اذ ولاني تعالى امركم والله المسؤول المرجو أن يتولانا واياكم فى الدنيا والآخرة وان يجعلنا ممن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر واذا اذنب استغفر والله تعالى منعم يحب الشاكرين ووعده على ذلك المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم

لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد . فالذي اوصيكم به تقوى الله تعالى في السر والعلانية قال الله تعالى ومن يطيع الله ورسوله ويخشى الله ويتقيه فاولئك هم الفائزون وجماع التقوى اداء ما افترض الله سبحانه وترك ما حرم الله واعظم فرائظ الله تعالى بعد التوحيد الصلاة ولا يخفاكم ما وقع من الاخلال بها والاستخفاف بشأنها وهى عمود الاسلام الفارقـــة بين الكفر والايمان من اقامها فقد اقام دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع وهى آخر ما اوصى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهى آخر وصية كل نبي لقومه وهى آخر ما يذهب من الدين وهى اول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة وبعض الناس قد يسيء في صلاته ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلي وحده وفى نخلة هو رجاله والمسجد جار له وفى الحديث لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد وهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار لأن ما فيهم من النسابة والذرية وقال ابن مسعود رضى الله عنه لقد رأينا وما يختلف عنها إلا منافق معلوم النفاق وهذه امور ما يخفاكم وجوبها لـكن الـكبرى عـــدم انكار المنكر وتزيين الشيطان لبعض الناس ان كلا ذنبه على جنبه وفى الحديث لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتطرئنه على الحق اطراء وليعمنكم الله بعقابه وكـذلك الزكاة وبعض الناس يبخل ويستخف بها ويجعلها وقاية دون ماله والعياذ بالله وانتم تعلمون انها من اركان الاسلام .

قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهـــنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون . وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضه ولا يؤدي حق الله منه الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح واحمي عليها فى نار جهنم فيكوى بها

جبينه وجنبه وظهره وكلما بردت اعيدت فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار . ثم ذكر عقوبة مانعها من الابل والبقر والغنم وكل مال تؤدي زكاته بعلم صاحبه ونصاب الزكاة تفهمونه وعروض التجارة مثل الزرع الذي يدخره صاحبه ولو كان من زرع قد زكى اذا حال عليه الحول وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة أو تمراً واثمانها كلما اعد للتجارة تجب فيه عنه الحول وهو يبتلي الغنى بالفقير وطلب منكم اليسير فمن اداها نرجو أن الله تعالى يقبلها ويخلفها عليه ومن مكر بها فالله خير الماكرين وكذا معاملة الربا تفهمون انها من اكبر الكبائر وان مرتكبها محارب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعاف مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون .

وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهدية فلعنهم سواء . فدل هذا الحديث على ان الرضاء بالمعصية معصية وان من لم ينكر على العاصى كالمرابى فهو مثله . وفى حديث آخر الربا سبعون حرباً ايسرها مثل من ينكح امه وفى الحديث ايضاً اربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يعبقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه ومن انواع الربا الطعام بالطعام الى اجل وبيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب والتفرق قبل القبض أو بيع الملح بالطعام قبل القبض

وفى الحـديث الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح يداً بيد وزناً وتزن كيلا بكيل فمن زاد أو استزاد فقد اربى الآخذ والمطعم فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم اذا كان يداً بيد ومنه القبض الذي يجر منفعته وفى الحديث كل قرض جر نفعاً فهو ربا وكـذلك قلب الدين بالدين على المعسر اذا كان فى ذمته دراهم فيعجز عن وفائها فاسلمها عليه بطعام وهذا يشبه ربا الجاهلية وكـذلك بيع الغبة وهى حرام بأن كان عند رجل سلعة فاشتراها منه انسان الى اجل ثم اشتراها منه صاحبها الذي باعها بنقد دون ثمنها وانواع الربا لا يمكن حصرها فيلزم المسلم الذي له معاملة ان يفهم انواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيـــه والجاهل يسأل العالم والخطر عظيم يسخط الرب ويمحق المـــال فانتم استغيثوا بالله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وكـذلك المكاييل والموازين وانا ملزم لـكل امر بأن يحضر مكاييل بلده كبارها وصغارها وينظر فيها عن الخلل وتكون على مكيال واحـد وكـذلك تفعلون بالموازين وتتفقدون الناس كل شهر ولا يحل بخس المـكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذمى كما فى الحديث اذ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وكـذلك تتفقدون الناس عن المعاشر الرعية والذين يجتمعون على شرب التتن والتشوق به وكل اهل بلد لابد أن يرتبوا مجالس الدرس فى الجوامع فان كانت خاربة فلابد ان يعمروها والذي يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه الينا وانا مطلق بالآمر بالمعروف والناهى عن المنكر اذا كان عن علم ينصح اولا ويؤدب ثانياً ومن عارضه من خاص أو عام فادبه الجلاء عن وطنه وهذا من ذمتى فى ذمة كل من يخاف الله ورسوله واليوم الآخر وانا اشهد الله عليكم انى برىء من ظلم من ظلمكم وانا نصرة لـكل صاحب حق وعون لكل مظلوم واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءاً فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا

حفرة من النار فانقذكم منها) واعزكم بعد القلة وآمنكم بعد الخوف وبالاسلام اعطى الله ما رأيتم والسلام .

وهذه صورة مكاتبة فيصل بن تركي

بسم الله الرحمن الرحيم من فيصل بن تركي الى من يراه من المسلمين سلمهم الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد فموجب الخطا بلاغكم السلام لا زلتم في خير وعافية والذي اوصيكم به تقوى الله تعالى في الغيب والشهادة والعمل بما يرضيه وتجنب معاصيه والمعاداة والموالاة فيه قال الله تعالى تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب واهم الامور تعلم ما فرض تعالى سبحانه من معرفة اصل دين الاسلام واركانه وواجباته وجميع شرائعه ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة وقوام ذلك بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلابد في كل ناحية من طائفة متصدين لهذا الامر كما قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . وقال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون . وانا ملزم كل من يخاف الله سبحانه وتعالى ويرغب في الفلاح يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وان يكون الآخر مراعياً للشروط في ذلك بأن يكون عليما فيما يأمر به عليما فيما ينهي عنه حليما فيما يأمر به حكيما فيما ينهي عنه رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه والزم كل امير ان يكون عوناً لهم وهم خاصة في الحقيقة عون له على ما حمله الله تعالى من الامانة ويكون لديكم معلوماً ان واضع الجوائز عن المسلمين الحادر والظاهر اذا كانوا معروفين باداء الزكاة من اموالهم الظاهرة والباطنة فهي راجعة اليهم على الوجه المشروع ان شاء الله تعالى والمطلوب

منكم الاستقامة على هذا الدين والاجتماع عليه وقد رأيتم ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة وما في التفرق من الشر في أمر الدين والدنيا أسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليكم بالقبول والعفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة .

ومن مكاتبات فيصل بن تركي أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم من فيصل بن تركي الى من يصل اليه الكتاب من المسلمين وفقهم الله تعالى بالتمسك بالدين الذي بعث الله به جميع المرسلين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان اجمع الوصايا وانفعها الوصية بتقوى الله تعالى قال الله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم وان اتقوا الله وتقوى الله ان يعمل العبد بطاعة الله تعالى على نور من الله يرجو ثواب الله وان يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله ومعظم التقوى والمصحح لاعمالها توحيد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذي بعثوا به الى العالمين وهو مبدأ دعوتهم لأممهم وهو معنى كلمة الاخلاص شهادة ان لا إله إلا الله فان مدخولها نفي الشرك في العبادة والبراءة منه واخلاص العبادة .

قال الله تعالى فاعبد الله مخلصاً له الدين الا لله الدين الخالص وقد بين الله تعالى هذه الكلمة في كثير من الآيات المحكمات . قال الله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه أنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين . فهذا معنى لا إله الا الله وقد عبر عنها بمعناها من النفي والاثبات قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة والآيات في توحيد العبادة اكثر من ان تحصر وهذا التوحيد هو الذي جحدته الامم المكذبة للرسل كما قال تعالى عن قوم هود اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا

وجحده مشركو العرب ومن ضاهاهم من مشركي هذه الامة قال الله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب . واما مشركو العرب فأخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا اجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق واحتج عليهم تعالى بما اقروا به من توحيد الربوبية فانه من اقوى الحجج فيما جحدوه من توحيد الآلهية كما قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون واكثر الناس فى هذه الازمنة وقع منهم ما وقع من اولئك المشركين وهم يقرأون القرآن فعموا وصموا عن هذا التوحيد وادلته التي هي ابين فى قلب المؤمن من الشمس في وقت الظهيرة فيا من يدعي معرفة هذا التوحيد اعرف هذه النعمة وقدرها فانها اعظم نعمة من الله انعم بها على من عرفها وعمل بها ولزمها فقابلوها بالشكر ولا تكفروها بالاعراض عنها واحذروا أن يصدكم الشيطان عن ذلك واعلموا انه قد غلط فى هذا الطريق طوائف لهم علوم وزهد وورع وعبادة فما حصل لهم من العلوم إلا القشور وقد حرموا لبه وذوقه وقلدوا أسلافاً قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً عن سواء السبيل فيا لها من مصيبة ما اعظمها وخسارة ما اكبرها فلا حول ولا قوة إلا بالله واحذروا النفوس الامارة وفتنة الدنيا والهوى فان الاكثر قد افتتن بذلك وظنوا انهم قد سلموا وما سلموا وتمنوا النجاة والتمني رأس مال المفلس نعوذ بالله من سخطه وعقابه وانت ترى اكثر الناس معبوده

دنياه لها يوالي وعليها يعادي ولها يحب ويبغض ويقرب ويبعد قد استثقل بها خلق لاجله يهتم بها . وقد ذم الله تعالى ذلك كما قال تعالى عند ذكره قارون اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتيك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا والصحيح ان الايمان والعمل الصالح والاسلام والقرآن هى النعمة العظيمة والفرح بها محمود ومحبوب الى الله قد اوجبه على عباده المؤمنين كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

فسر الأول بالقرآن والثاني بالاسلام وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم فضل الله الاسلام ورحمته ان جعلكم من اهله فلا غناء لكم عن تعلم هذا التوحيد وحقوق من فرائض الله تعالى وواجباته وان يكون ذلك اكبر همكم ومحصل عملكم ومن اهم ذلك المحافظة على الصلوات الخمس حيث ينادى لها كما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعون بعدهم ولذلك عمرت المساجد وشرع الاذان فيها كما قال تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فلابد في المحافظة من استكمال شروطها واركانها وواجباتها فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع والزكاة قرينة الصلاة فى كتاب الله تعالى كما سبق فى الآية جعلها الله تعالى طهرة للانفس والاموال وزيادة وبركة وحجاباً من النار فالتزموا ما شرعه الله تعالى وفرضه فان فيه صلاح قلوبكم ودنياكم وآخرتكم فاسألوا الله التوفيق واعلموا أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين واركانه قال بعض السلف اركان الاسلام عشرة الشهادتان والصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد فى سبيل الله والجماعة والسمع والطاعة وهذه العشرة لا يقوم الاسلام حق القيام إلا بجميعها

والقرآن يرشد الى ذلك جملة وتفصيلا كما قال الله تعالى كنتم خير امـــة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . وقال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالله الله عباد الله فى مراجعة دينكم الذي نلتم به ما نلتم من النعم وسلمتم من النقمة وقهرتم به من قهرتم فقوموا به حق القيام فجاهدوا في الله حق جهاده وعظموا امره ونهيه واعملوا بمـــا شرعه وتعطفوا على الفقراء والمساكين وآتوهم من مال الله الذي آتاكم . كما قال تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لو انزلنا هـذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فاقرأوا هذه النصيحة في جميع مساجد البلدان وانسخوها واعيدوا قراءتها في كل شهرين واعلموا انكم مستقبلون عاماً جديداً فتوبوا الى الله تعالى ان يوفقنا واياكم اجمعين .

انتهى ما كتبه فيصل بن تركي كبير نجد أقول لعل مراده بمشركي هذه الامة الذين قلدوا أسلافاً قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وغلطوا مع علمهم وعبادتهم غلاة الشيعة وجهلة أهل السنة فانه لما رأى علماءهم فى نواحي الاحساء والقطيف ووقف على كتبهم المشحونة بالغلو فى علي واولاده رضي الله تعالى عنهم من كون علي كرم الله وجهه يرزق ويحيي ويميت ويفعل مايشاء ويختار وانه مع اولاده الكرام يتصرفون في عالم الكون كما يشاءون كما هو اعتقاد كثير منهم ورأى فى نواحي العراق الركوع والسجود لقبور الأئمة والاولياء والطواف حولها وغير ذلك من الطاعات التي لا تليق الا لله تعالى وظن ان جميع اهل العراق بهذا الاعتقاد حكم بكفرهم الا أن حمل الجميع

على ذلك من بعض الظن لاهل السنة والجماعة وكذا غير المغالين من الشيعة لا يعتقدون في الاولياء ذلك والعياذ بالله تعالى الا انهم يقولون نتوسل الى الله تعالى بقرب الاولياء اليه تعالى فهو من باب الاستشفاع بهم الى الله تعالى لا من باب الاعتقاد بان الولي هو المعطي والعياذ بالله تعالى ولا بأس بالتوسل بالكرام عند الله تعالى اليه بل هو يستحب كما ورد عن النبي ﷺ انه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين اراد الاعتمار لا تنسانا يا اخي من دعائك فانه تشريع للامة بطلب التوسل الى الله تعالى فى اجابة الدعاء والا فعمر رضي الله عنه هو الذي يحتاج الى التوسل بالنبي ﷺ كما هو ظاهر وقد ثبت أيضاً ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان حين يستسقي يتوسل بالعباس عم النبي ﷺ ويسقون ولم ينكر عليه أحد من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين . غايته ان العوام قد تقع منهم عبارات مبهمة ممنوعة شرعاً ومع ذلك فقد ركز فى قلوبهم وطباعهم ان المؤثر فى الاشياء كلها هو الله تعالى .

نعم ان بعض العوام قد يعتقدون فى الاولياء ما يمنع الشرع ويؤول الى الشرك والعياذ بالله تعالى ولا سيما عوام النساء فتمنع امثال هؤلاء عن الاولياء من اهم الامور الدينية وكذا يمنع تزيين قبب الاولياء بالذهب والفضة فان الشارع ﷺ نهى عن ذلك وقال كما فى الصحيح اولئك شر الناس يوم القيامة واما نبأ اصل القبب على القبور فهو مكروه كما نص عليه الفقهاء على ان نبأ القبب المزخرفة بالذهب على قبور الصالحين يكون سبباً لفتنة العامة وسوء اعتقادهم وهذا لا ينافي سنية زيارة قبور الانبياء والمرسلين والاولياء وسائر المؤمنين واما قوله ﷺ لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى فليس المراد منه انه لا يجوز شد الرحال

الى مكان من الامكنة إلا الى احدهذه المساجد الثلاثة وإلا لزم عدم شد الرحال الى مكان من الامكنة لمصلحة من المصالح وهو باطل ضرورة بل المراد انه لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد التي فى البلاد للعبادة فيه إلا الى أحد هذه المساجد لتساوي المساجد فى الفضيلة فشد الرحال الى بعض دون بعض يستلزم الترجيح بلا مرجح وقد تقرر عند علماء العربية انه يجب في الاستثناء المفرغ ان يقدر المستثنى منه مقايساً للمستثنى فى جنسه القريب وصفته فيقدر فى ما كسوته إلا جبة مثلا ما كسوته لباساً إلا جبة فعلى هـــذه القاعدة في الحديث المذكور وقد دل على جوازه قوله ﷺ من زارني وجبت له شفاعتي وقوله ﷺ كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها .

وروى ابن ابي شيبة ان النبي ﷺ كان يأتي قبور الشهداء باحد على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار وقد اطبق العلماء الاعلام من أئمة الشافعية وغيرهم على جواز ذلك إلا من شذ من بعض المتعصبين كابن تيمية فانه مع كونه من الحفاظ قـد خالف الاجماع في بعض المسائل قال المحقق افضل المعاصرين السيد ابن عابدين الدمشقي طاب ثراه في كتاب الجنائز من حاشية الدر المختار وهل تندب الرحلة لها كما اعتقد من الرحلة الى زيارة خليل الرحمن واولاده والسيد البدوي وغيره من الاكابر الكرام ولم أر من صرح به من أئمتنا ومنع بعض أئمة الشافعية إلا لزيارته ﷺ قياساً على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة ورده الغزالي بوضوح الفرق فان ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستوية في الفضل فلا فائدة فى الرحلة اليها واما الاولياء فانهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفهم واسرارهم .

قال ابن حجر في فتاويه ولا تترك اما يحصل عندهـــا من المنكرات

والمفاسد كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك لان القربات لا تترك لمثل ذلك بل على الانسان فعلها وانكار البدع بل وازالتها ان امكن انتهى قلت ويريده ما مر من عدم ترك اتباع الجنازة وان كان معها نساء ونائحات تأمل انتهى ما ذكره ابن عابدين اقول لعل وجه الامر بالتأمل ان قياس الزيارة مع المفاسد والمنكرات على اتباع الجنائز مع النساء والنائحات قياس مع الفارق فتصبر والذي حملني على توجيه كلام فيصل بن تركي كبير نجد بما ذكرناه سابقاً انه من اهل السنة والجماعة على مذهب الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه ومذهب احمد استحباب زيارة القبور كما هو مقرر في كتب الحنابلة كالمنتهى والعمدة وغيرهما وثبوت كرامات الاولياء عندهم والتوسل بهم الى الله تعالى بمعنى ان يسأل من الله تعالى بحرمة الولي قضاء الحاجة والاستشفاع بالانبياء والمرسلين لا بمعنى ان النبي او الولي هو المؤثر اذ لا مؤثر إلا الله تعالى كما هو مذهب كافة اهل السنة والجماعة من المذاهب الاربعة وحمل كلام امثاله على محمل حسن من لوازم ذمة اهل الدين من ذوي الانصاف على انه قد حدثني الثقة الكريم محمد بن عبدالعزيز بن عبدالوهاب العائذي النجدي بأن فيصل المذكور كان من العلماء العابدين الزاهدين وكان يقوم الليل كله بالصلاة وقراءة القرآن وكان رحيما رؤوفا بالناس غير مائل الى سفك الدماء وحينئذ فلابد من حمل كلامه على وجه حسن وهو لم يدع الاجتهاد بل قلد الامام احمد بن حنبل والفتوى والحكم فى بلاده على مذهب ابن حنبل وكيف يدعي الاجتهاد هو أو قاضيهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب مع تقليدهم للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه نعم افتوا ببعض فتاوى ابن تيمية التي خالف بها جمهور الحنابلة مع كونه منهم وهذا ليس من باب الدعوى اليه ليس من الانصاف وحق المسلم ان يحمل كلام اخيه المسلم على وجه حسن

فان حسن الظن بالمسلمين من شمائل ارباب القلوب السليمة . وسوء الظن من سجايا القلوب السقيمة .

نعم ان الاوائل من آل سعود كانوا على سوء اعتقاد بدليل منع الحاج هذا وباب الاجتهاد قد انسد من القرن الرابع بل من اواخر القرن الثالث وقد نشأ في هـذه الامة علماء فحول جمعوا بين المنقول والمعقول وتحروا فى جميع العلوم ولم يدعوا الاجتهاد بل قلدوا الأئمة الاربعة لفقد شروط الاجتهاد فيهم مع جلالتهم وعلو قـدرهم ووفور اطلاعهم على الكتاب والسنة وكثرة تآليفهم الباهرة كالربيعي والبويطي والمرادي والمزني والقفـال والشيخ ابي حامد شيخ العراقين وامام الحرمين وجنيد البغدادي وحجة الاسـلام الغزالي والشيخان الرافعي والنبوي والفخر الرازي وابو اسحاق الشيرازي والبغوي والسبكي والبيضاوي والسقلاني والزركشي والأسنوي والمـاوردي والبيهقي والتفتازاني والمناوي والقسطلانى والمحلي والسيوطي وشيخ الاسلام زكريا الانصاري وصاحب القاموس والصحاح والعلامة ابن حجر والعلامة الرملي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين من اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه الذين لا يحصي عددهم الا الله تعالى ومن اصحاب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه الامام ابو يوسف والامام محمد بن الحسن الشيباني والكرخي وابن المبارك والحسن بن زياد وزفر والسرخشي وشمس الأئمة الحلواني وقاضي خان وصاحب الهداية والقدوري وصدر الشريعة والطحاوى وابن الهمام والسيد الشريف الجرجاني والزمخشري والزاهدي والباقلاني وابن نجـيم والعيني والديلمي وصاحب النهر والنسفي والحموي وصاحب الدر المختار وصاحب الدرر والشرنبلالي والمحقق عبد الحـكيم الهندي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين الذين لا يحصى عددهم ومن اصحاب الامام مالك رضي الله عنه كالخليل

وعبدالوهاب وابن الحاجب وبهرام الزرقاني ومحيي الدين العربي والقيرواني
والدردير وابن عاشور بن الحسن الشاذلي وابي زيد وابن عبدالبر وابن بسام
وابن خلدون وابن بطال شارح البخاري والبرزلي وابن الطيب وغيرهم من
علماء الاندلس وسائر بلاد المغرب من المتقدمين والمتأخرين الذين لا يحصى
عددهم ومن اصحاب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه القطب السيد عبدالقادر
الگيلاني قدس سره وابن قدامة وابن الجوزي وابن تيمية وصاحب المنتهى
وابن رجب ومرعي وشارح الاقناع والمنتهى وابن البهوتى هشام والطوفي
والبعلي والفتوحي والمرداوي وشارح الغاية والتغلبي والشربكي وشهاب الدين
العسكري وابن عطوة التميمي والحجاوي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين
الذين لا يحصون وكل من هؤلاء الاعلام قــد بلغ من مراتب العلوم النقلية
والعقلية غاية التحقيق والامعان وملأت تآليفهم المفيدة الآفاق ومع ذلك
لم يدع احد منهم الاجتهاد المطلق بل هو في ربقة التقليد للائمــة الاربعة
العظام وهؤلاء المذكورون بالنسبة الى العلماء المقلدين للائمة الاربعة الذين
تركنا ذكرهم لعدم الاحاطة ببيانهم لوفور كثرتهم كشذرة من شــذرات
بحر بل كقطرة من قطرات بحر ومن راجع كتب الطبقـات والتواريخ
فقد علم بعض مقدارهم وكلهم في ربقة التقليد وهذا من اعظم الدلائل على جلالة
قدر الائمة الاربعة رضي الله عنهم وعلو منزلتهم فى العلم ولشرفهم وكرامتهم فهم
ائمة الهدى واعلام التقى جزاهم الله عنا خير الجزاء وشكر سعيهم . واما منع
فيصل شرب التتن فهو مبنى ما ذهب اليه بعض الفقهاء من التحريم والخلاف
فيه شهير والكثيرون على اباحته اذ لم يرد نص فى حرمته والاصل في الاشياء
الاباحة ما لم يرد دليل الحرمة ولا دليل عليها والقياس ليس من وظيفتنا
معاشر علماء النقل فان العالم فى هذه الازمنة من فهم كلام العلماء المتقدمين

وكتبهم وله الفخر بذلك ودعوى الاسكار في التتن مكابرة وتعصب كما لا يخفى على من شربه ولاحظ وجدانه .

هذا وقد حدثني الثقة النجيب محمد بن عبدالعزيز بن عبدالوهاب العائدي النجدي بانه كتب الشيخ محمد بن الشيخ عبدالوهاب الى العالم العامل الفاضل الكامل الزاهـــد الكريم ابن فيروز الاحسائي الحنبلي قوله تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله) الآية . فكتب ابن فيروز اليه (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما أعبد) الآيات فكتبوا اليه يوعدونه بالقتل فهرب ابن فيروز الى البصرة وتوطن بها وانتفع به كثير من اهل العلم كالفاضل الشيخ عثمان بن سند والكامل المعمر الشيخ احمد الجامع وغيرهما وكان الشيخ ابن فيروز من اكابر العلماء العاملين وكان صوفي المشرب وكان ذا ثروة يطعم طلبة العلم من ماله كريم الاخلاق والسجايا وهو من المشاهير في نواحي نجد والبصرة رحمه الله تعالى وكان ممن يقتدى به في نواحي نجد قبل ظهور العلماء المتعصبين فان قصد فيصل المذكور بقوله وقد غلط في هذا الطريق طوائف لهم علوم وزهد وورع وعبادة فما حصل لهم إلا القشور وقد حرموا لبه وذوقه وقلدوا أسلافاً قـــد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل العالم العامل الشيخ محمد ابن فيروز وامثاله من علماء الاحساء ونجد فهو غلط منه عفى الله عنه لان ابن فيروز من علماء الحقيقة وقد ذاق لب العلوم والمعرفـة بالله تعالى اللهم الا ان يقال لا عبرة بامثال هـذا الكلام الصادر بين العلماء لأن منافسات اهل العلم وتجرؤ بعضهم على بعض بسوء المقال مما شاع وذاع عفا الله تعالى عنا وعنهم وليس غرضي من هذا الكلام كله إلا رفع الخلاف من البين وحمل كلام اخواننا المسلمين على وجه حسن مهما امكن لأن العارف من نطق بالحكمة والله تعالى الموفق

الباب السادس

في بيان علماء نجد وبعض الحوادث الواقعة فيه

فاشهر علماء نجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سلمان بن علي بن احمد ابن راشد بن بريدة بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضادر بن ريس بن زاخر بن محمد بن عامور بن وهيب التميمي النجدي الذي تنتسب اليه الوهابية والنسبة انما هي الى الشيخ محمد لأنه الذي شيد اركان الوهابية دون ابيه بل خالف اباه المذكور ووقع بينهما جدال كما سيأتي ان شاء الله تعالى فنسبت الى عبدالوهاب مجازاً وابتداء امر الشيخ محمد المذكور انه نشأ فى بلد العيينة من بلاد نجد في حجر ابيه الشيخ عبدالوهاب بن سليمان القاضي في بلد العيينة فى زمن عبدالله بن محمد بن حمـــد بن عبدالله بن معمر المشهور صاحب العيينة التي تزخرفت فى ايامه وذلك قبل انتقال الشيخ عبدالوهاب الى بلد حريملة من بلاد نجد فقرأ الشيخ محمد على ابيه الشيخ عبدالوهاب الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه وكان الشيخ محمد المذكور في صغره كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد واظن كثرة مطالعة الكتب بدون مراجعة العلماء الاسانيد والاخذ عنهم هو الذي حمله على التعصب الذي شاع عنه فان العلم بالتلقي والاستقلال في الرأي يوقع فى المهالك ومخالفة الجمهور وخرق الاجماع فصار ينكر على اهل نجد كثيراً من الامور فلم يسعفه على ذلك احد وان استحسن انكاره بعض الناس فسافر من بلد العيينة الى حج بيت الله الحرام فلما قضى نسكه سار الى المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة والسلام فاخذ فيها عن الشيخ العالم عبدالله بن ابراهيم بن يوسف من آل سيف رؤساء بلد المجمعة المعروفة في ناحية سدير من نجد والشيخ

عبدالله المذكور هو والد الشيخ ابراهيم مصنف كتاب العذب الفائض في علم الفرائض وانكر الشيخ محمد المذكور أستغاثة الناس واستشفاعهم بالنبي ﷺ عند قبره المنور ولم يتنبه لكونه ﷺ هو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى الى الله تعالى في الدنيا والآخرة وانه لا فرق في الاستشفاع به ﷺ في الدنيا والآخرة وفي حياته وبعد مماته والكل على حد سواء وقد اطبق جمهور الاعلام على انه ﷺ يرزق في قبره وانه حي .

وورد انه تعرض عليه اعمال امته وما المانع من ذلك وما المحذور والله الموفق للصواب ثم رحل من المدينة المنورة الى نجـد ثم رحل الى البصرة يريد الشام فلما وصل الى البصرة اقام فيها مدة واخذ فيها عن العالم الشيخ محمد المجموعي من اهل المجموعة محلة من محلات البصرة فانكر أيضاً اشياء كثيرة على اهل البصرة فاحس الناس به فآذوه واخرجوه من البصرة وقت الهجيرة ولحق بعض الاذى بالشيخ محمد المجموعي أيضاً لمأواته للشيخ محمد النجدي المذكور فلما خرج محمد بن عبدالوهاب النجدي هارباً من البصرة وتوسط الطريق فيما بين البصرة وبلد الزبير رضي الله عنه وقت الصيف في شدة الحر وكان ماشياً على رجليه كاد أن يهلك من شدة العطش فوافاه رجل من أهل بلدة الزبير يقال له ابو حميدان ووجده من اهل العلم وسقاه الماء وحمله على حماره حتى اوصله الى بلد الزبير رضي الله عنه ثم ان الشيخ محمد النجدي المذكور اراد السفر فضاق زاده فانثنى عزمه عن المسير الى الشام فقصد الاحساء فنزل بها عنـد الشيخ العالم عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي الاحسائي ثم خرج من الاحساء وقصد بلد حريملة من بلاد نجد وكان ابوه الشيخ عبدالوهاب قد انتقل اليها من بلد العيينة في سنة تسع وثلاثين ومائة والف بعد وفاة عبدالله بن معمر صاحب العيينة بالوباء الذي وقع في

العيينة فأقناها وتولى فيها بعده ابن ابنه محمد بن احمد الملقب بخرفاش ووقع بينه وبين الشيخ عبدالوهاب منازعة فعزل الشيخ عبدالوهاب عن قضاء بلد العيينة وجعل مكانه احمد بن عبدالله بن عبد الوهاب بن عبدالله النجدي قاضياً فانتقل الشيخ عبدالوهاب الى بلد حريملة ولما وصل الشيخ محمد الى بلد حريملة لازم اباه الشيخ عبدالوهاب وقرأ عليه ثانياً واظهر الانكار على اهل نجد فى عقائدهم فوقع بينه وبين ابيه الشيخ عبدالوهاب المذكور منازعة وجدال وكذلك وقع بينه وبين الناس في بلد حريملة جدال كثير فاقام على ذلك مدة سنين حتى توفي ابوه الشيخ عبد الوهاب رحمه الله تعالى سنة ثلاث وخمسين ومائة والف .

ثم اعلن محمد بن الشيخ عبدالوهاب بالدعوة والانكار على الناس وتبعه الناس من اهل حريملة واشتهر بذلك وكان رؤساء بلد حريملة قبيلتين اصلهما قبيلة واحدة وكل منهما يدعي الرئاسة وليس فى البلد رئيس يحكم على الجميع وكان لاحدى القبيلتين عبيد يقال لهم الحميان وهم من ذوي الكثرة والفساد فاراد الشيخ محمد المذكور منعهم عن الفساد والفسق وامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فهم العبيد ليلا بقتل الشيخ المذكور خفية فلما تسوروا عليه من وراء الجدار علم بهم بعض الناس فصاحوا بهم وهربوا .

فانتقل الشيخ محمد من حريملة الى بلد العيينة ورئيسها يومئذ عثمان ابن حمد بن معمر فتلقاه بالقبول واكرمه وحاول نصرته وقال لعثمان المذكور انا ارجو ان انت استقمت بنصر لا إله الا الله ان يظهرك الله تعالى وتملك نجداً واعرابها فساعده عثمان فاعلن الشيخ محمد بالدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وشدد فى التنكير على الناس فتبعه بعض اهل العيينة وقطع اشجاراً كانت تعظم فى تلك النواحي وهدم قبة زيد بن الخطاب رضي الله عنه عند بلد الجبيلة فعظم امره فبلغ خبره الى سليمان بن محمد بن عزيز الحميدي

صاحب الاحساء والقطيف وما حوله من العربان فارسل سليمان المذكور كتاباً الى عثمان وكتب فيه ان المطوع الذي عندك قد فعل ما فعل وقال ماقال فاذا وصلك كتابي فاقتله فان لم تقتله قطعنا خراجك الذي عندنا في الاحساء وكان خراجه الفاً ومائتين ذهباً وما يتبعها من الطعام والكسوة فلما ورد الكتاب الى عثمان لم تسعه مخالفته فارسل الى الشيخ محمد واخبره بكتاب سليمان وقال له لا طاقة لنا بحرب سليمان فقال له الشيخ محمد انك ان نصرتني ملكت نجداً فاعرض عنه عثمان وارسل اليه ثانياً بان سليمان قد امرنا بقتلك ولا نستطيع مخالفته ولا طاقة لنا بحربه وليس من الشيم والمروءة ان نقتلك في بلادنا فشأنك ونفسك وخل بلادنا .

فامر فارساً يقال له الفريد باخراجه من البلد فركب الفارس جواده والشيخ يمشي على رجليه امامه وليس معه إلا المروحة وذلك في غاية الحر في فصل الصيف فهم الفارس بقتله في الطريق فكف الله يده عنه لما اصابه من الرعب والخوف العظيم وخلى سبيل الشيخ .

قيل ان عثمان بن معمر هو الذي امر الفارس بقتل الشيخ عند قبر أخيه وكذب بعضهم ذلك فسار الشيخ محمد الى الدرعية وكان ذلك في سنة الالف ومائة وستين ووصل اليها وقت العصر فنزل في بيت عبدالله بن سويلم العزيبي فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من محمد بن سعود صاحب الدرعية فوعظه الشيخ واسكن جأشه وروعه . قال سيجعل الله لنا ولك فرجاً فاستقر فاراد أن يخبر محمد بن سعود بحاله ويرغبه في نصرته فالتجأ الى أخويه مشاري وثنيان ولدي سعود وزوجته موضى بنت ابي وهطان من آل كثير وكانت ذات عقل وفهم فاخبروها بحال الشيخ وصفته من الحث على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقذف الله محبة الشيخ في قلبها فاخبرت زوجها محمد بن سعود بحاله وقالت له ان هذا الرجل اتى اليك وهو

غنيمة واغتنم نصرته فقبل قولها والقى الله تعالى محبته فى قلبه ورغبوا محمد بن سعود لزيارته لعل ذلك يكون سبباً لتعظيم الناس له واكرامه فسار اليه محمد ابن سعود فلما دخل عليه فى بيت ابن سويلم رحب به وقال ابشر بالخير والعز والمنعة فقال له الشيخ وانا ابشرك بالعز والتمكين والغلبة على جميع بلاد نجد وهذه كلمة لا إله الا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وهى كلمة التوحيد واول ما دعت اليه الرسل من أولهم الى آخرهم .

ثم اخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دعا اليه وما عليه اصحابه رضى الله عنه من بعده من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد فى سبيل الله تعالى وبأن كل بدعة ضلالة واخبره ايضاً بما عليه اهل نجد من البدع والجور والاختلاف والظلم .

فلما تحقق محمد بن سعود المصالح الدينية والدنيوية فيما ذكره الشيخ قبل ذلك وقال له ايها الشيخ ان هذا دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذي لاشك فيه فابشر بالنصرة لما امرت به من الجهاد مع من خالفك ولكن اشترط عليك شرطين الاول انا اذا قمنا بنصرتك والجهاد فى سبيل الله تعالى وفتح الله لنا البلاد فلا ترحل عنا ولا تستبدل بنا غيرنا والثانى ان لي على اهل الدرعية خراجاً آخذه منهم وقت الثمار فلا تمنعنى عن اخذه منهم فقال له الشيخ أما الاولى فامدد يدك فمدها وقبضها وقال له الدم بالدم والهدم بالهدم واما الثانية فلعل الله تعالى أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منه فبايع محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى اقامة الشعائر فقام الشيخ ودخل معه البلد فلما استقر بالدرعية اتى اليه من البلاد من كان ينتسب اليه من رؤساء المعامرة وغيرهم وهاجر الى الدرعية ممن حول عثمان بن معمر من الناس لما علموا نصرة الشيخ فلما علم عثمان بن معمر صاحب العيينة ان محمد بن سعود قد نصر الشيخ

محمد بن عبدالوهاب وان اهل الدرعية ايدوه وان امره قد تأيد ندم على مافعل من اخراج الشيخ محمد من الاحساء وعدم نصرته وخاف على نفسه من عواقب الامور فركب مع عدة رجال من اهل العيينة ورؤسائها وسار الى الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الوهاب فلما قدم على الشيخ المذكور جادله على الرجوع معه ووعـــده بالنصرة فقال الشيخ الامر مفوض الى محمد بن سعود فان رخصنى على الرجوع معك فقد ذهبت معك وان اراد الاقامة عنـده اقمت ولا استبدله بغيرة وقد تلقانى بالترحيب والقبول والنصرة الا أن يأذن لي فاتى عثمان بن معمر الى محمد بن سعود يسترخص للشيخ فى الذهاب فابى عليه ولم يجد عثمان الى ما اتى اليه سبيلا فرجع الى بلده وندم ندماً عظيما وكان اهل الدرعية يومئذ فى غاية الضيق والحاجة وكانوا يحترفون لاجل معاشهم ومع ذلك فقد كانوا يجتمعون فى مجلس الشيخ لسماع الحديث والوعظ ويلازمون على ذلك .

قال ابن بشر النجدي ولقد شاهدت ضيقهم فى اول الامر ثم الدرعية بعد ذلك فى زمن سعود وما عند اهلها من الاموال الكثيرة وكثرة الرجال والاسلحة المحلاة بالذهب والفضة والخيل الجياد والنجائب العمانيات والملابس الفاخرة وغير ذلك من اسباب الثروة التامة بحيث يعجز عن عده اللسان ويكل من تفصيله البيان ونظرت الى موسمها يوماً فى الموضع المعروف بالباطن فوجدت موسم الرجال فى جانب موسم النساء فى جانب آخر فرأيت من الذهب والفضة والاسلحة والابل والغنم والخيل والالبسة الفاخرة واللحم والحنطة وسائر المآكل ما لا يمكن وصفه والموسم ممتد مد البصر وكنت اسمع اصوات البائعين والمشترين وقولهم بعت واشتريت كدوي النحل فسبحان من لايزول ملكه انتهى كلام ابن بشر .

ولما استوطن الشيخ محمد فى الدرعية وكان اهلها فى غاية الجهالة والتهاون

فى الصلاة والزكاة وشعائر الاسلام علمهم الشيخ المذكور معنى لا إله الا الله وانهـــا نفى واثبات فلا إله ينفى جميع المعبودات والا الله يثبت العبادة لله وحده لا شريك له ثم علمهم أصولا وهى معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته والهيته كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والأرض وسائر الادلة كالقرآن ومعرفة الاسلام وان تسليم الامر لله تعالى والانقياد لامره والانزجار عن مناهيه ومعرفـة اركان الاسلام الذي بنى عليها وما عليها من الادلة كالقرآن ومعرفة النبي (ص) واسمه ونسبه ومبعثه وهجرته ومعرفة اول ما دعا اليه وهو كلمة لا إله الا الله ومعرفة البعث وان من انـكره أو شك فيه فهو كافر وما على ذلك من الدلائل ومعرفـــة دين محمد صلى الله عليـــه وسلم واصحابه رضى الله عنهم وهو التوحيد وسائر العبادات وبالغ فى منع الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم وامثالها فلما استقر ذلك فى قلوبهم بعد الجهالة تشرب فى قلوبهم حب الشيخ المذكور ثم ان الشيخ كتب الى اهل بلاد نجد والى رؤسائهم وقضاتهم يطلب الطاعة والانقياد فمنهم من اطاعه ومنهم من عصاه واتخذه سخرية واستهزأ به ونسبه الى الجهل وعدم المعرفـــة ومنهم من نسبه الى السحر ومنهم من رماه باشياء قبيحة ثم امر الشيخ اهل الدرعية بالمقاتلة معهم فامتثلوا أمره وقاتلوا أهل نجد والاحساء دفعات كثيرة الى ان ادخلوهم فى طاعتهم وحصلت امارة نجد وقبائلها جميعاً لآل سعود بالغلبة وكان الشيخ كثير العطايا بحيث كان يهب غنيمة الجيش مع كثرته الى رجلين أو ثلاثة وكانت الغنائم تسلم بيده ثم هو يضعها حيث شاء ويعطيها الى من يشاء ولا يأخذ أمير نجد شيئاً من ذلك إلا بأمره ولا يصدر جيش ولا يكون رأي للامير إلا بقوله ورأيه وكانت طاعة اهل نجد للشيخ المذكور كطاعة القوم وانقيادهم لامره وهو من الاتفاقات العجيبة وهو عندهم بمنزلة الأئمـة الاربعة رضى الله عنهم الى الآن واذا ذكره

أحد بسوء قتلوه ولما فتحوا الرياض من بلاد نجد واتسعت بلادهم وامنت الطرق وانقاد لهم كل صعب فوض الشيخ المذكور امور الناس واموال الغنائم الى عبدالعزيز الامير وانسلخ الشيخ وتفرغ للعبادة وتعليم العلم ولكن لا يقطع عبدالعزيز الامير ولا ابوه امراً ولا ينفـــذ حكما الا باذن الشيخ عبد الوهاب .

توفي الشيخ محمد فى سنة الالف ومائتين وستة وهى السنة التى غزى فيها سعود بن عبدالعزيز ناحية جبل شمر واخذ اهله وكسب منهم اموالا كثيرة منها ثمانية آلاف بعير وقتل منهم عدة رجال فاخرج خمسها وقسم الباقى على جيشه وكان الشيخ محمد المذكور من بيت العلم فى نواحي نجد وكان ابن الشيخ عبدالوهاب عالماً فقيها على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وكان قاضياً فى بلدة العيينة ثم فى بلد حريملة وذلك فى اول القرن الثانى عشر الهجري وله معرفة تامة بالحـــديث والفقه وغيرهما وله سؤالات وجوابات وكان والد الشيخ عبدالوهاب الشيخ سليمان فقيهاً اعلم علماء نجد فى زمانه وله اليد الطولى فى العلم وانتهت اليه رئاسة العلم فى نجد . صنف ودرس وافتى الا أن الشيخ محمد لم يكن على طريقـة ابيه الشيخ عبدالوهاب وجده الشيخ سليمان بل كان شديد التعصب كثير الاعتراض على العلماء وكان يجوز قتال من خالفه بل يعتقد كفره ويسمي قتال المسلمين المخالفين له جهاداً فى سبيل الله تعالى ويجعل اموالهم كغنائم الكفار ويمنع من قصد زيارة النبى صلى الله عليه وسلم والاستغاثة والاستشفاع به صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وسائر الانبياء والاولياء وغير ذلك مما اطبق الجمهور على جوازه إلا من شذ كامثال ابن تيمية والمشهور عنه انه كان يدعي الاجتهاد المطلق والظاهر ما ذكرناه سابقاً من انه كان يفتى باقوال ابن تيمية من الحنابلة ولا يعتقد بخلاف أقواله وبالجملة انه كان من العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وكان يعلم الناس احكام

الصلاة وسائر اركان الدين ويأمر الجماعات وقــد سعي غاية السعي فى تعليم الناس وحثهم على الطاعة وامرهم بتعليم اصول الاسلام وشرائطه واحـكام الصلاة واركانها وواجباتها وسننها وسائراحكام الدين وامر جميع اهل البلاد بالمذاكرة فى المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين فى معرفـة الله تعالى ومعرفة دين الاسلام ومعرفة اركانه وما ورد عليه من الادلة ومعرفـة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونسبه ومبعثه وهجرته واول ما دعا اليه من كلمة التوحيد وسائر العبادات التى لا تبتغى الا لله تعالى كالدعاء والذبح والنـــذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والانابة وغير ذلك فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلا باحكام الدين بل كلهم تعلموا ذلك الى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواص منهم وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة إلا انه بالغ فى بعض الامور وحمل الناس على اعتقاد عدم الشرك فيما خالفه وحثهم على قتال المخالفين له واحل اموالهم وجعل قتالهم جهاداً فى سبيل الله تعالى وصار سبياً لاظهار هذه البدع الواهية والفتن العظيمة وقـــد صنف الشيخ المذكور ابن الشيخ عبدالوهاب عـــدة تصانيف منها كتاب التوحيد وتفسير القرآن وكتاب الشبهات وغير ذلك من الرسائل والفتاوى الفقهية والاصولية اخذ عنه عدة مشائخ منهم ابوه الشيخ عبدالوهاب والشيخ محمد ابن حياة السندي المدنى والشيخ عبدالله بن سيف وغيرهم .

وقد اخبرنى والدي رحمه الله تعالى انه قدم الى بغداد واخذ أيضاً عن العلامة النحرير جدي السيد صبغة الله الحيدري طاب ثراه ولما رجع جدي العلامة السيد أسعدالحيدرى من مكة على طريق الدرعية اجتمع به فى الدرعية واحترم جدى المذكور غاية الاحترام واعزه واكرمه سعود اكراماً لائقاً وجلس جدى فى الدرعية مقدار ثلاثة اشهر ثم حملوه بالاحترام والاكرام الى البصرة واخذ عن الشيخ عدة علماء منهم اولاده الاربعـة الشيخ حسين

والشيخ عبدالله والشيخ علي والشيخ ابراهيم فاما الشيخ حسين فهو خليفة من بعده والقاضى فى بلد الدرعية ولحسين المذكور عدة اولاد علماء وهم علي وحمد وحسن وعبدالرحمن وعبد الملك واما الشيخ علي بن الشيخ محمد فكان عالماً فى الاصول والفروع والحديث والفقه والتفسير وكان قاضياً فى حوطة بنى تميم ثم ولي القضاء فى الرياض فى ايام فيصل بن تركى واما الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد فكان عالماً جليلا وله مصنفات عديدة وهو الخليفة بعد أخيه حسين وولي قضاء الدرعية فى زمن سعود وابنه عبدالله واما الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد فكان عالماً أيضاً ولكن لم يتول القضاء وحسن بن حسين فقد كان فقيهاً وولي القضاء فى الرياض فى زمن تركى وعبدالرحمن بن حسن كانت له المعرفة فى الفقه والتفسير والنحو وغير ذلك وولي القضاء فى ناحية الخرج فى ايام تركى وفيصل واما حمد وعبدالملك فكانا من طلبة العلم واهل الذكاء والمعرفة واخذ عن الشيخ محمد المذكور ابن ابنه العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد وقد ولي قضاء الدرعية فى زمن سعود وابنه عبدالله اخذ العلم عن جده فى صغره واخذ عن الشيخ محمد المذكور والعالم الشيخ احمد بن ناصر بن عثمان ابن معيمر قاضى الدرعية فى زمن سعود والشيخ العالم الورع الزاهد عبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصرى وقاضى ناحية الوشم فى زمن عبدالعزيز وابنه عبدالله والشيخ العالم الزاهد سعيد بن حجي . قاضى حوطة بنى تميم فى زمن عبدالعزيز وابنه سعود والشيخ العالم محمد بن سويلم قاضى بلد الدلم وناحية الخرج فى زمن عبدالعزيز وابنه سعود والشيخ العالم عبدالرحمن بن خميس قاضى الدرعية فى زمن عبدالعزيز وابنه سعود والشيخ عبدالرحمن بن نامى قاضى بلد العيينة ثم صار قاضياً فى الاحساء فى زمن سعود وابنه عبدالله والشيخ العالم محمد بن سلطان العوسجي قاضى المحمل ثم صار قاضياً فى الاحساء فى زمن سعود والشيخ العالم عبد الرحمن بن عبد المحسن القاضى فى بلد حريملة وبلد الزلفى فى

زمن سعود وابنه عبدالله والشيخ العالم حسن بن عبدالله بن عيدان قاضي حريملة في زمن عبدالعزيز والشيخ العالم عبدالعزيز بن سـويلم قاضي ناحية القصيم في زمن عبدالعزيز وابنه سعود وحفيده عبدالله والشيخ العالم حمد بن راشد العريني قاضي ناحية سدير في زمن عبدالعزيز فهؤلاء كلهم اخذوا العلم عن الشيخ محمد بن الشيخ عبدالوهاب واخذ عنه كثير من العلماء الذين لم يولوا القضاء وكان الشيخ محمد المذكور مع علمه من دهاة العرب الا أنه شدد في بعض الاحكام وخالف الامام احمد بن حنبل وما عليه جمهور الحنابلة في كثير من المسائل وتوفي وله من العمر اثنتان وتسعون سنة ورثاه كثير من أهل نجد وغيرهم ورثاه الشيخ حسين بن غنام بقصيدة طويلة وفي سنة وفاته توفي ابن عمه الفقيه الكاتب الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ سليمان جد الشيخ محمد المذكور ومن علماء نجد المتقدمين على الشيخ محمد المذكور العالم الفاضل الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب قاضي العيينة له من التصانيف زاد المستقنع شرح المختصر وشرح الاقناع وشرح المنتهي وحاشية الاقناع وحاشية المنتهى وكتاب العمدة وكل ذلك على مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه اخذ الفقه والعلم عن العلامة الشيخ منصور البهوتي شارح الاقناع والمنتهى والشيخ احمد بن محمد بن بسام .

ومنهم الشيخ محمد بن احمد بن اسماعيل النجدي المشهور في بلد اشيقر أخذ الفقه عن الشيخ احمد بن محمد مشرف النجدي واخذ عنه كثير كالشيخ احمد بن محمد بن بسام والشيخ عبدالله بن محمد بن ذهلان وكان الشيخ محمد ابن احمد بن اسماعيل المذكور معاصر الشيخ سليمان جد الشيخ محمد بن الشيخ عبدالوهاب المذكور ومن علماء نجد العالم الفقيه القاضي الشيخ سليمان بن علي ابن مشرف جد الشيخ محمد بن الشيخ عبدالوهاب المشهور وكان الشيخ

سليمان المذكور فقيه عصره على مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه متبحراً فى المذهب واليه انتهت رئاسة العلم فى نجد كما سبق .

وجميع علماء نجد المعاصرين له يرجعون اليه فى حل المشكلات من الفقه وغيره وله من التصانيف كتابان المفاسد وشرح الاقناع الا أنه لما وقف على شرح الاقناع للسبهوتي اتلف شرحه على ما قال ابن بشر النجدي أخذ العلم عن الشيخ احمد بن محمد بن مشرف النجدي وغيره واخذ عنه جماعة منهم ابناء الشيخ عبدالوهاب المشهور وهو من مشاهير علماء نجد والشيخ ابراهيم وغيرهما كامثال الشيخ احمد بن محمد القصيري النجدي .

توفي سنة تسع وسبعين والف ومن علماء نجد العالم الفاضل الفقيه الشيخ حسن بن عبدالله المشهور فى بلد اشيقر كانت له معرفة بجميع فنون العلم له تعليقات على كثير من الفنون اخذ العلم عن الشيخ احمد بن محمد القصير توفي سنة ثلاثة عشر ومائة والف .

ومنهم العالم الفقيه الشيخ احمد بن محمد بن حسن بن سلطان القصير المشهور فى بلد اشيقر اخذ العلم عن الشيخ احمد بن محمد بن احمد بن اسماعيل والشيخ الفاضل سليمان بن علي بن مشرف واخذ عنه عدة من العلماء كالعالم الفاضل الشيخ عبدالله بن احمد بن محمد بن غضيب الناصري النجدي وغيره

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف (١١٣٣ هـ — ١٧٢٠ م) ظهر سعدون بن محمد بن عزيز الاحسائي على نجد وحاصر آل كثير فى العارض واظهار المدافع من الاحساء نزل في عربا المعروفة وحاصر بلد العمارية حتى هزلت مواشيهم ثم سار الى الدرعية ونهب بيوتها وقتل اهل الدرعية كثيراً من قومه وفي هذه السنة ولد عبد العزيز بن محمد بن سعود المشهور وفيها وقع الطاعون فى العراق ومات فيه مقدار مائة الف وفي السنة الثانية من الطاعون

توفي جدنا العلامة النحرير صاحب الافادات والتآليف في كل فن امام عصره بالاجماع سيد المدققين مولانا السيد صبغة الله الحيدري البغدادي وفى السنة الرابعة توفى العالم العلامة العامل وحيد دهره وفريد عصره الشيخ عبدالله ابن سالم البصري الشافعي وكان امام الحديث في عصره وما سمي علماً إلا وله القدح المعلى سهامه توطن فى مكة المكرمة وانتهت اليه وفيها رئاسة العلم وصار ملجأ الوافدين فى جميع الفنون النقلية والعقلية وله عدة تصانيف منها ضياء الباري شرح البخاري وقد درس مسند الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه فى الروضة عند رأس النبي ﷺ له آثار ومناقب عجيبة لا يسع المقام بيانها وفى السنة الخامسة مات سعدون بن محمد بن عزيز صاحب الاحساء المذكور وفيها عمرت منازل بني هلال ومنازل آل بنى سعيد وآل بني سليمان في بلد الرفضة المعروفة ناحية سدير وبعد ذلك بمدة ظهر آل سعود في الدرعية واستولوا على جميع بلاد نجد والاحساء والعسير وجبل شمر وانقادت لهم القبائل والبلاد وحصل من امرهم ما هو مشهود وغني عن البيان وصولتهم على بلاد نجد والاحساء والقطيف وعمان الى الآن موجودة وجميع قبائل تلك النواحي في طاعتهم وملازمتهم للجمعة والجماعات والعبادات غير منفكة عنهم واحكام الشرع جارية عندهم وقوتهم غالبة ومع ذلك فهم ليسوا مصرين على التشديدات الاولى .

خاتمة تشتمل على مباحث شتى

اعلم ان ارض العرب وهى من حد الشام والكوفة الى اقصى اليمن وقد نظمها بعضهم وحدها طولا وعرضاً بقوله :

جزيرة هذه الاعراب حدت بحد عمره للحشر باتي

فاما الطول عنـــد محققيه　　فمن عدن الى ربوا العراق
وساحل جدة ان سرت عرضاً　　الى ارض الشـآم بالاتفاق

والارض التي اسلم اهلها طوعاً او فتح عنوة وقهراً وقسم بين المسلمين وارض البصرة أيضاً باجماع الصحابة رضي الله عنهم عشرية على ما فى الدر المختار لأن العشر الباقى لمـــا فيه من معنى العبادة مع كونه اخف لانه يتعلق بنفس الخارج واما جزيرة العرب فاهلها وان لم يكونوا من قبل مسلمين فلانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الخلفاء رضي الله عنهم انه اخـــذ خراجا من اراضيهم وكما لا رق عليهم فكذا لا خراج عليهم على ما في النهر والفتح ولا يوظف الخراج على المسلمين ابتداء على ما في الدر المنتقي نقلا عن القهستاني وما فتح عنوة وقسم على الكافرين غير اهله فهو خراجي على ما في النتف والقياس ان تكون البصرة خراجية عند ابي يوسف رضي الله عنه لانها بقرب ارض الخراج لكنه ترك القياس لاجماع الصحابة رضي الله عنهم على ما فى الدر المنتقى .

قال افقه المعاصرين السيد ابن عابدين الدمشقي طاب ثراه وحاصله ان ما احياه مسلم يعتبر قربة عند ابي يوسف وعند محمد يعتبر المـــاء والمعتمد الأول والبصرة أحياها المسلمون لانها بنيت في ايام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهي في حيز ارض الخراج فقياس قول ابي يوسف ان تكون خراجية انتهى وسواد العراق الممتد طولا شمالا وجنوباً من الحديثة على على دجلة الى عبادان والممتد عرضاً غرباً وشرقاً من القادسـية الى حلوان فيكون السائر من تكريت وهو على النهاية الشمالية للعراق الى عبادان وهي على النهاية الجنوبية له على تقويس الحد الشرقى بمسافة شهر و كذا من تكريت الى عبادان اذا سار على تقويس الحد الغربي أعني من تكريت ال الانبار الى

واسط الى البصرة الى عبادان فهو شهر فيكون دور العراق مسافة شهرين وما فتح عنوة ولم يقسم بين المسلمين سواء أقر أهله عليه أو نقل اليها كفار آخرين أو فتح صلحاً فهو خراجي لانه اليق بالكافر لأنه يشبه الجزية لما فيه معنى العقوبة ولأن فيه تغليظاً حيث يجب وان لم تزرع الارض بخلاف العشر فانه يتعلق بعين الخارج لا بالارض ولا فرق في الارض الخراجية بين ما اذا سقيت بماء العشر فانها خراجية كما انه اذا قسمت بين المسلمين فانها عشرية وان سقيت بماء الخراج فكل فتح عنوة واقر اهله عليه كالعراق والشام ومصر أو صولحوا ووضع الخراج عليهم فهي خراجية الا مكة فانها وان فتحت عنوة فهي عشرية لانها من جزيرة العراق واراضى سواد العراق مملوكة لاهلها يجوز بيعهم لها وتصرفهم فيها وموروث عنهم لان الامام أذا فتح ارضاً عنوة له ان يقر أهلها عليها ويضع عليها الخراج فتبقى الارض مملوكة لاهلها وعند الامام الشافعي ومالك واحمد بن حنبل رضي الله عنهم ان اراضي سواد العراق موقوفة على المسلمين فلا يجوز بيعها عندهم ويجب الخراج فى ارض الوقف الخراجية فان وظيفة الارض تبقى بعد الوقف كما كانت قبله

قال في الدر المختار نقلا عن الشرنبلالية معزياً للبحر إلا المشتراة من بيت المال اذا وقفها مشتريها فلا عشر ولا خراج وقد توقفت فى هذا ثم رأيت الفاضل افقه المعاصرين السيد أبن عابدين الدمشقي طاب ثراه قد اعترضه بقوله قلت ولا يخفى ما فيه لانهم قد صرحوا فان فرضية العشر ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع والمعقول وبانه زكاة الثمار والزروع وبانه يجب فى الارض الغير الخراجية وبانه يجب فيما ليس بعشري ولا خراجي كالمغاور والجبال وبان سبب وجوبه الارض النامية بالخارج حقيقة وبأنه يجب فى ارض الصبي والمجنون والمكاتب لانه مؤونة الارض وبان الملك غير شرط فيه بل

الشرط ملك الخارج . فيجب في الارض الموقوفة لعموم قوله تعالى (انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض) وقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وقوله صلى الله عليه وسلم (ما سقت السماء فيه العشر وما سقي بقرب أو دالية ففيه نصف العشر ولأن العشر يجب فى الخارج لا في الارض فكان ملك الارض وعدمه سواء كما في البدائع .

ولا شك ان هذه الارض المشتراة وجد فيها سبب الوجوب وهو الارض النامية وشرطه وهو ملك الخارج ودليله وهو ما ذكرنا وقول المتن يجب العشر فى مستقي سماء وسيح الخ . فالقول بعدم الوجوب في خصوص هذه الارض يحتاج الى دليل خاص ونقل صريح ولا يلزم من سقوط الخراج المتعلق بالأرض سقوط العشر المتعلق بالخارج على انه قد ينازع فى سقوط الخراج حيث كانت من ارض الخراج أو سقيت بمائه بدليل أن الغازي الذي اختط له الامام داراً لا شيء عليه فيها فاذا جعلها بستاناً وسقاها بماء العشر فعليه العشر أو بماء الخراج فعليه الخراج مع ان الواقع الآن في كثير من القرى والمزارع الموقوفة ان يؤخذ منها للميري النصف والربع او العشر انتهى وهو وجيه وقد اتفقوا على اراضي الشام ومصر خراجية وانما اختلفت العلماء فى انها فتحت عنوة أو صلحاً وهذا لا يمنع كونها خراجية لانها تكون خراجية اذا لم يسلم أهلها سواء فتحت عنوة ومن على اهلها بها أو صلحاً ووضع عليهم الخراج والجزية وذكر فى الفتح ان المأخوذ الآن من اراضي مصر اجرة لا خراج لانها ليست مملوكة للزراع لموت المالكين فشيئاً بلا وارث صارت لبيت المال وكذا ارض الشام على ما نقله الفاضل السيد ابن عابدين عن فضل الله الرومي قال فى الدر المنتقى فيؤجرها الامام ويأخذ جميع الاجرة لبيت المال كدار صارت لبيت المال واختار السلطان استغلالها

وان اختار بيعها فله ذلك اما مطلقاً أو الحاجة فثبت أن يبيع الاراضي المصرية وكذا الشامية صحيح اما من مالكها أو من السلطان فان كان من مالكها انتقلت بخراجها وان من السلطان فان لعجز مالكها عن زراعتها فكذلك وان لموت مالكها فقدمنا انها صارت لبيت المال وان الخراج سقط عنها فاذا باعها الامام لا يجب على المشتري خراج سواء وقفها او ابقاها .

قلت وهذا نوع ثالث يعني لا عشرية ولا خراجية من الاراضي تسمى ارض المملكة واراضي الحوز وهو ما مات اربابه بلا وارث وآل لبيت المال او فتح عنوة وابقى للمسلمين الى يوم القيامة وحكمه على ما فى التتارخانية ان يجوز وقفه للزارع باحد طريقين اما باقامتهم مقام الملاك في الزراعة واعطاء الخراج واما باجارتها لهم بقدر الخراج فيكون المأخوذ فى حق الامام خراجا ثم ان كان دراهم فهو خراج موظف وان كان بعض الخراج فخراج مقاسمة واما فى حق الاكرة فأجرة لا غير لا عشر ولا خراج فلما دل الدليل على عدم لزوم المؤنتين العشر والخراج فى ارض المملكة والحوز كالمأخوذ منها اجرة لا غير انتهى ما في الدر المنتقى هذا واراضي بيت المال المسماة باراضي المملكة واراضي الحوز اذا كانت في ايدي زراعها لا تنزع من ايديهم ما داموا يؤدون ما عليها ولا تورث عنهم اذا ماتوا ولا يصح بيعهم لها وان عطلها متصرف ثلاث سنين او اكثر بحسب تفاوت الارض تنزع منه وتدفع لآخر ولا يصح فراغ احدهم عنها لآخر بلا اذن السلطان او نائبه على ما نقله السيد ابن عابدين فى حاشية الدر المختار عن شرح المنتقى .

ثم اعلم ان ما ذكره في الفتح ان اراضي مصر ليست مملوكة للزراع قد اقره في البحر على ما قاله السيد ابن عابدين الدمشقي ثم قال قلت لكن عدم ملك الزراع في الاراضي الشامية غير معلوم لنا إلا في نحو القرى والمزارع

الموقوفة أو المعلوم كونها لبيت المال أما غيرها فتراهم يتوارثونها ويبيعونها جيلا بعد جيل وقد قالوا ان وضع اليد والتصرف من اقوى ما يستدل به على الملك ولذا تصح الشهادة بأنه ملكه قال الامام ابو يوسف رحمه الله تعالى في كتاب الخراج وايما قوم من اهل الخراج دخلوا الحرب وبادوا فلم يبق منهم أحـد وبقت ارضهم معطلة ولا يعرف انها فى يد احد ولا أن احداً يدعي فيها دعوى واخذها رجل فحرثها وغرس فيها وادى عنها الخراج والعشر فهي له وهذه الموات التي وصفت لك وليس للامام ان يخرج شيئاً من يد أحد إلا بحق ثابت معروف وفى شرح السير الكبير للسرخسي فان صالحوهم على اراضيهم مثل ارض الشام مدائن وقرى فلا ينبغي للمسلمين ان يأخذوا شيئاً من دورهم واراضيهم ولا ان ينزلوا عليهم منازلهم لانهم اهل عقد وصلح .

قال السيد ابن عابدين بعد نقل هذه النصوص فاذا كانت مملوكة لاهلها فمن اين يقال انها صارت لبيت المال باحتمال ان اهلها كلهم ماتوا بلا وارث فان هذا الاحتمال لا ينفي الملك الذي كان ثابتاً وقد سمعت التصريح فى المتن تبعاً للهداية بان ارض سواد العراق مملوكة لاهلها يجوز بيعهم لها وتصرفهم فيها وكذلك ارض مصر والشام كما سمعته وهذا على مذهبنا ظاهر وكذا عند من يقول انها وقف على المسلمين فقد قال الامام السبكي من أئمة الشافعية ان الواقع فى هذه البلاد الشامية والمصرية انها فى ايدي المسلمين فلا شك انها لهم اما وقفاً وهو الاظهر من جهة عمر رضي الله عنه واما ملكا وان لم يعرف من انتقل منه الى بيت المال فان من بيده شيء لم يعرف من انتقل منه يبقى فى يده ولا يكلف ببينة ومن وجدنا فى يده او فى ملكه مكاناً منها فيحمل انه احي اوصل اليه وصولاً صحيحاً انتهى .

قال العلامة المحقق ابن حجر الشافعي المكي فى فتاواه الفقهية بعد نقله

كلام السبكي لهذا صريح في انا نحكم ذوي الاملاك والاوقاف ببقاء ايديهم على ما هى عليه ولا يضرنا كون اصل الاراضي ملكا لبيت المال او وقفاً على المسلمين لان كل ارض نظرنا اليها بخصوصها لم يتحقق فيها انها من ذلك الوقف ولا الملك لاحتمال انها كانت مواتاً واحييت وعلى فرض تحقق انهامن بيت المال فان استمرار اليد عليها والتصرف فيها تصرف الملاك في املاكهم أو النظار فيما تحت ايديهم الازمان المتطاولة قرائن ظاهرة او قطعية على اليـــد المفيدة لعدم التعرض لمن هى تحت يده وعدم انتزاعها منه .

ثم قال ابن حجر بعد كلام طويل اذا تقرر ذلك فقد بان لك واتضح اتضاحاً لا تبقى معه ريبـــة ان الاراضي التي في ايدي الناس بمصر والشام المجهول انتقالها اليهم تقر في ايدي اربابها ولا يتعرض لهم فيها بشيء أصلا لأن الأئمة اذا قالوا في الكنائس المبنية للكفر انها تبقى ولا يتعرض لها عملا بذلك الضعيف اي كونها كانت في برية فاتصل بها عمارة المصر فاولى ان يقولوا ببقاء تلك الاراضي بيد من هي تحت ايديهم باحتمال انها كانت مواتاً فاحييت او انها انتقلت اليهم بوجه صحيح انتهى ما قاله العلامة ابن حجر .

قال السيد ابن عابدين بعد نقله كلام ابن حجر وقد اطال رحمه الله اطالة حسنة رداً على من اراد انتزاع اوقاف مصر واقليمها وادخالها في بيت المال فلا يصح وقفها .

قال الشيخ ابن حجر وسبقه الى ذلك الملك الظاهر بيبرس فانه أراد مطالبة ذوي العقارات ومستندات تشهد لهم بالملك والا انتزعهـا من ايديهم متعللا بما تعلل به ذلك الظالم فقام عليه شيخ الاسلام الامام النووي رحمه الله تعالى واعلمه ان ذلك غاية الجهل والعناد وانه لا يحل عند أحـــد من العلماء المسلمين بل من في يده شيء فهو ملكه لا يحل لاحد الاعتراض عليه ولا يكلف

اثباته ببينة ولا زال النووي رحمه الله يشفع على السلطان المذكور ويعظه الى أن كف عن ذلك فهذا الحبر الذي اتفقت علماء المذاهب على قبول نقله والاعتراف بتحقيقه وفضله اي النووي نقل اجماع العلماء على عدم المطالبة بمستند عملا باليد الظاهر فيها انها وضعت بحق انتهى ما قاله الشيخ ابن حجر

قال السيد ابن عابدين قلت فاذا كان مذهب هؤلاء الاعلام ان الاراضى المصرية والشامية اصلها وقف المسلمين أو لبيت المـــال ومع ذلك لم يجيزوا مطالبة أحد يدعي شيئاً انه ملكه بمستند يشهد له بناء على احتمال انتقاله اليه بوجه صحيح فكيف يصح على مذهبنا أي الحنفية بانها مملوكة لاهلها اقروا عليها بالخراج كما قدمناه أن يقال انها صارت لبيت المال وليست مملوكة للزراع لاحتمال موت المالكين لها شيئاً فشيئاً بلا وارث فان ذلك يؤدي الى ابطال اوقافها وابطال المواريث فيها ووضع العشر أو الخراج عليها لا ينافى ملكيتها كما هو صريح قول المصنف وغيره ها هنا ان ارض سواد العراق خراجية وانها مملوكة لاهلها واحتمال موت اهلها بلا وارث لا يصلح حجة فى ابطال اليد المثبتة للملك فانه مجرد احتمال لم ينشأ عن دليل ومثله لا يعارض المحقق الثابت فان الاصل بقاء الملكية واليد اقوى دليل عليها فلا تزول إلا بحجة ثابتة والا لزم ان يقال مثل ذلك في كل مملوك بظاهر اليد مع انه لا يقول به احد وقد سمعت نقل الامام النووي الاجماع على عدم التعرض مع ان مذهبه ان تلك الاراضى في الاصل غير مملوكة لاهلها بل هى وقف او ملك لبيت المال فعلى مذهبنا بالاولى واحتمال كون اهلها ماتوا بلا وارث بعد الامام النووي ابعد البعد وهذا ابن حجر المكي بعد النووي بمئات من السنين وقـــد سمعت كلامه والحاصل فى الاراضي المصرية والشامية ونحوها ان ما علم منها كونه لبيت المال بوجه شرعي فحكمه ما ذكره الشارح عن الفتح وما لم يعلم فهو

ملك لاربابه والمأخوذ منه خراج لا اجرة لانه خراجي في أصل الوضع فاغتنم هذا التحرير فانه صريح الحق الذي يعض عليه وانه لما اطلعت فى ذلك لاني لم ار من تعرض لذلك بل تبعوا المحقق الكمال في ذلك والحق احق ان يتبع ولعل مراد الكمال ومن تبعه الاراضي التي علم كونها لبيت المال والله تعالى اعلم انتهى كلام ابن عابدين .

اقول ما ذكره من التحقيق في هذه المسألة حقيق بالاتباع . لكن ما ذكره من التوجيه لكلام الكمال بقوله ولعل مراد الكمال الخ . يأبى عنه الاطلاق الظاهر من عبارة الكمال وهى على ما نقله صاحب الدر المختار بقوله وفى الفتح المأخوذ الآن من ارض مصر اجرة لا خراج الا ترى انها ليست مملوكة للزراع كانه لموت المالكين شيئاً فشيئاً بلا وارث صارت لبيت المال قال في الدر المختار وعلى هذا أي على ما في الفتح من انها صارت لبيت المال فلا يصح بيع الامام ولا شراؤه من وكيل بيت المال لشيء منها لأنه كوكيل اليتيم فلا يجوز إلا لضرورة والعياذ بالله تعالى زاد في البحر أو رغب في العقار بضعف قيمته على قول المتأخرين المفتي به .

وافتى مفتي دمشق فضل الله الرومي بأن غالب اراضينا سلطانية لانقراض املاكها فآلت لبيت المال فتكون فى يد زراعها كالعارية انتهى وفي النهر عن الواقعات لو اراد السلطان شراؤها لنفسه يأمر غيره يبيعها ثم يشتريها منه لنفسه انتهى واذا لم يعرف الحال فى الشراء من بيت المال فالاصل الصحة وبه عرف صحة وقف المشتراة من بيت المال وان شروط الواقفين صحيحة وانه لا خراج على اراضيها انتهى ما في الدر المختار وما ذكره من انه يجوز للامام البيع إلا لضرورة أي بأن احتاج بيت المال فقد نازعه صاحب البحر فى رسالته باطلاق ما فى الخانية والخلاصة من قولها فان أراد

السلطان ان يأخذها لنفسه ببيعها من غيره ثم يشتري من المشتري فانه يدل على جواز البيع للامام مطلقاً وبما في الزلفي من ان للامام ولاية عامة وله ان يتصرف في مصالح المسلمين والاعتياض عن المشترك العام جائز من الامام ولهذا لو باع شيئاً من بيت المال صح بيعه فقوله نكرة في سياق الشرط يعم العقار وغيره لحاجة على ما ذكره افقه المعاصرين السيد ابن عابدين الدمشقي طاب ثراه ثم كتب على قول صاحب الدر المختار وبه عرف صحة وقف المشتراة من بيت المال وان شروط الواقفين معتبرة الخ .

هذا كله من كلام صاحب النهر واصله صاحب البحر وحاصله أن من اشترى ارضاً مما صار لبيت المال فقد ملكها وان لم يعرف حال الشراء حملا له على الصحة ولا خراج عليها بناء على ما مر من انها لما مات ملاكها بلا ورثة عادت لبيت المال وسقط خراجها لعدم من يجب عليها اذا باعها الامام لم يجب على المشتري خراجها لقبض الامام ثمنها وهو بدل عينها وتقدم ايضاً انه لا عشر عليها ايضاً وقدمنا ما في ذلك وحيث ملكها بالشراء صح وقفه لها وتراعى شروط وقفه . قال في التحفة سواء كان سلطاناً أو اميراً او غيرهما وما ذكره الجلال السيوطي من انه لا يراعي شروطه ان كان سلطاناً او اميراً وانه يستحق ريعه من يستحق في بيت المال من غير مباشرة للوظائف فمحمول على ما اذا وصلت الى الواقف باقطاع السلطان اياه من بيت المال كما لا يخفى انتهى وحاصله ان ما ذكره السيوطي لا يخالف ما قلنا لانه محمول على ما اذا لم يعرف شراء الواقف لها من بيت المال بل وصلت اليه باقطاع السلطان لها أي بأن جعل له خراجها مع بقاء عينها لبيت المال فلم يصح وقفه لها ولا تلزم شروطه بخلاف ما اذا ملكها ثم وقفها كما قلنا . قلت لكن بقي ما اذا لم يعرف شراؤه لها ولا عدمه والظاهر انه لا يحكم بصحة وقفها لانه لا يلزم من وقفه

لها انه ملكها ولهذا قال السيد الحموي في حاشية الاشباه قبيل قاعدة اذا اجتمع الحلال والحرام ما نصه وقد افتى علامة الوجود المولى ابو السعود مفتي السلطنة السليمانية بان اوقاف الملوك والامراء لا يراعى شرطها لانها من بيت المال أو ترجع اليه واذا كان كذلك يجوز الاحداث اذا كان المقرر في الوظيفة او المرتب من مصارف بيت المال انتهى ولا يخفى ان المولى ابو السعود أدرى بحال اوقاف الملوك ومثله ما سيذكره الشارح في الوقف من المحيية عن المبسوط من ان السلطان يجوز له مخالفة الشروط اذا كان غالب جهات الوقف قرى ومزارع لأن اصلها لبيت المال انتهى.

يعني اذا كانت لبيت المال ولم يعلم ملك الواقف فيكون ذلك ارصاداً لا وقفاً حقيقة أي ان ذلك السلطان الذي وقفه اخرجه من بيت المال ولذا لما اراد السلطان نظام المملكة برقوق في عام نيف وثمانين وسبعمائة ان ينقض هذه الاوقاف لكونها اخذت من بيت المال وعقد لذلك مجلساً حافلا حضره الشيخ سراج الدين البلقيني والبرهان بن جماعة من الشافعية وشيخ الحنفية الشيخ اكمل الدين شارح الهداية فقال البلقيني ما وقف على العلماء والطلبة لا سبيل الى نقضه لأن لهم في الخمس اكثر من ذلك وما وقف على فاطمة وخديجة وعائشة ينقض ووافقه على ذلك الحاضرون كما ذكره السيوطي في النقل المستور في جواز قبض معلوم الوظائف بلا حضور ثم رأيت نحوه في شرح المنتقى ففي هذا تصريح بأن اوقاف السلاطين من بيت المال ارصادات لا اوقاف حقيقة وان ما كان منها على مصارف بيت المال لا ينقض بخلاف ما وقفه السلطان على اولاده وعتقائه مثلا وانه حيث كانت ارصاداً لا يلزم مراعاة شروطها لعدم كونها وقفاً صحيحاً فان شرط صحته ملك الواقف والسلطان بدون شرائه من بيت المال لا يملكه وقد علمت موافقة العلامة

الاكمل على ذلك وهو موافق لما مر عن المبسوط عن المولى ابي السعود ولما سيذكره الشارح فى الوقف عن النهر من أن وقف الاقطاعات لا يجوز إلا اذا كانت ارضاً مواتاً او ملكا للامام فأقطعها رجلا وهذا خلاف ما في التحفة المرضية عن العلامة قاسم من ان وقف السلطان لاراضي بيت المال صحيح قلت ولعل مراده انه لازم لا يغير اذا كان على مصلحة عامة كما نقل من قاضيخان من ان السلطان لو وقف ارضاً من بيت المال على مصلحة عامة للمسلمين جاز .

قال ابن وهبان لانه اذا أبده على مصرفه الشرعي فقد منع من يصرفه من امراء الجور فى غير مصرفه انتهى فقد افاد أن المراد من هذا الوقف تأبيد صرفه على هذه الجهة المعينة التي عينها السلطان مما هو مصلحة عامة وهو معنى الارصاد السابق فلا ينافى ما تقدم والله تعالى اعلم انتهى ما ذكره ونقله السيد ابن عابدين .

اقول جميع ما نقله فى غاية الحسن لكن جملة كلام العلامة قاسم وما نقله الطرطوسي عن قاضيخان على اللزوم والارصاد خلاف ظاهر عبارتهما من صحة وقف السلطان لارض بيت المال وجوازه اذا كان على مصلحة عامة فان الظاهر من كلامهما ان يكون الوقف وقفاً حقيقة كما لا يخفى والذي حمله على الحمل المذكور انما هو التوفيق بينهما وبين ما تقدم من ان اوقاف السلاطين من بيت المال ارصادات لا اوقاف حقيقة وهو محمل حسن في توجيه كلام الفقهاء ووقع الخلاف بينهم لو كانت قرينة على صرف الكلام عن ظاهره نعم هو رحمه الله اعلم مني بمراد الفقهاء وان كان للذهن مجال في النظر والموات الذي احياه الذمي خراجي على ماذكره صاحب التنوير وغيره لانه اليق به لكن يتوقف احياؤه على اذن الامام فلو احياه مسلم اعتبر قربة فان كان

ما أحياه اقرب الى ارض الخراج كان خراجياً وان كان اقرب الى ارض العشر كان عشرياً على ما في النهر وغيره من المتون والشروح لان ما قارب الشيء يعطي حكمه قال في البحر كفناء الدار لصاحبها الانتفاع به وان لم يكن ملكا له ولذا لا يجوز احياء ما قرب من العامر وكل من الارض العشرية والخراجية ان سقي بماء العشر أخذ منه العشر والارض التي تسقى بماء الخراج اخذ منه الخراج على ما ذكره صاحب التنوير تبعاً لصاحب الدرر .

قال السيد ابن عابدين وهو مخالف لما في الهداية والتبيين والكافي وغيرها من ان اعتبار الماء في ما لو جعل المسلم داره بستاناً . قال في الكافي لأن المؤنة في غير المنصوص عليه تدور مع الماء فان كانت تسقى بماء بئر أو عين فهي عشرية وان كانت تسقى بانهار الاعجام فخراجية ولو بهذا مرة وبهذا مرة فالعشر أحق بالمسلم انتهى .

ومقتضاه ان النصوص على انه عشري كارض العرب ونحوه أو على أنه خراجي كارض السواد ونحوها لا يعتبر فيه الماء وعن هذا قال في الفتح بعد كلام والحاصل ان التي فتحت عنوة او اقر الكفار عليها لا يوظف عليهم الا الخراج ولو سقيت بماء المطر وان قسمت بين المسلمين لا يوظف إلا العشرات سقيت بماء الانهار وكل ارض لم تفتح عنوة بل احياها مسلم ان كان يصل اليها ماء الأنهار فخراجية أو ماء عين ونحوه فعشرية وهذا قول محمد وهو قول ابي حنيفة انتهى . فتحصل ان الماء يعتبر فيما لو احيا مسلم ارضاً أوجعل داره بستاناً بخلاف المنصوص على انه عشري أو خراجي وقدمنا عن الدر المنتقى ان المفتى به قول ابي يوسف انه يعتبر القرب وهو ما مشى عليه المصنف اولا كالكنز وغيره وقدمه في متن المنتقى فأفاد ترجيحه على قول محمد وقال الحلبي وهو المختار كما في الحموي على الكنز عن شرح قرى حصاري وعليه

المتون واعتبار الماء قول محمد قال في الشر بنلالية قوله أي صاحب التنوير وكل منهما الخ فيه مخالفة لقوله قبله وما احياه مسلم يعتبر بقربه لانه اعتبر الحيز ثمة وهنا اعتبر الماء وعلمت ان ذلك قول ابي يوسف وهذا قول محمد انتهى ماذكره السيد ابن عابدين وماء العشر هو ماء السماء والبئر والعين والبحر الذي لايدخل تحت ولاية أحد وماء الخراج وهو ماء انهار حفرتها الاعاجم وكذا سيحون وجيحون ودجلة والفرات خلافاً لمحمد وحاصله على ما ذكره ابن عابدين ان ما كانت عليه يد الكفرة ثم حويناه قهراً وما سواه عشري والخراج نوعان النوع الاول خراج مقاسمة وهو ما يكون الواجب بعض الخارج كالخمس ونحوه وفقاً لا يوضع أي رأساً الا على الكافر كالخراج الموظف فاذا فتحت بلدة ومن على اهلها بارضها فله أن يضع الخراج عليها مقاسمة أو موظفاً بخلاف ما اذا قسمها بين الجيش فانه يضع العشر والنوع الثاني الخراج الموظف ويسمى خراج وظيفة وهو ما يكون الواجب شيئاً فى الذمة يتعلق بالتمكن من الانتفاع بالارض كما وضع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على سواد العراق ووفاه لكل جريب يصل اليه الماء وتصير الارض صالحة للزراعة مما يزرع فى تلك الارض لا يخير بين الحنطة والشعير وهو الصحيح كما فى الكافى ودرهما من اجود النقود وزنه اربعة عشر قيراطاً على ما فى الجوهرة والصاع هو القفيز الهاشمي الذي ورد عن عمر رضي الله عنه كما ذكره في الهداية وهو ثمانية ارطال اربعة امنان وكان صاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وينسب الى الحجاج فيقال صاع حجاجي لانه الذي اخرجه بعد ما فقد على ما ذكره الطحطاوي عن الشلبي ووضع رضي الله عنه لجريب كالقثاء الرطاب والخيار والبطيخ والباذنجان وما جرى مجراه خمسة دراهم ولجريب الكرم أو النخل عشرة دراهم والجريب ستون ذراعاً فى ستين بذراع كسري الذي

هو عبارة عن سبع قبضات والقبضة اربع اصابع وقال بعضهم المعتبر في كل بلدة عرفهم . اقول وعرف نواحي بغداد كالخالص وخريسان و نواحي الحلة ونحوها التقدير بالفدان في هذا العصر وكذا مصر والشام .

قال في البحر وعلى الاول المعمول وفي الفتح ان الثاني يقتضي ان الجريب يختلف قـدره في البلدان ومقتضاه ان يتحد الواجب مع اختلاف المقادير فانه قد يكون عرف بلد فيه مائة ذراع وعرف اخرى فيه خمسون ذراعاً وخراج المقاسمـة على ما ذكره الخير الرملي كالموظف مصرفاً وكالعشر مأخذاً لا فرق فيه بين الرطاب والزرع والكرم والنخل المتصل وغيره فيقسم الجميع على حسب ما تطيق الارض من النصف أو الثلث أو الربع أو الخمس وقـد تقرر ان خراج المقاسمة كالعشر لتعلقه بالخارج وكذا يتكرر بتكرر الخارج في السنة وانما يفارقه في المصرف لكل شيء يؤخذ منه العشر أو نصفه يؤخـذ منه خراج المقاسمة وتجري الاحكام التي قررت في العشر وفاقاً وخلافاً فاذا علمت ما يزرع في بلادنا وما يغرس فاذا غرس رجل في ارضه زيتوناً او كرماً او اشجاراً يقسم الخارج كالزرع ولا شيء قبل ان يطعم بخلاف ما اذا غرس رجل في الموظف ولو اخـذها مقاطعة على دراهم معينة بالتراضي ينبغي الجواز وكذا لو وقع على عدد الاشجار لأن التقدير يجب أن يكون بقدر الطاقة من أي شيء كان ولأن تقدير خراج المقاسمة مفوض لرأي الامام وكل من الانواع الثلاثة يفعل في بلادنا فبعض الارض تقسم ثمار اشجارها ويأخذ مأذون السلطان منها ثلثاً أو ربعاً ونحوه وبعضها يقطع عليه دراهم معينة وبعضها يعد اشجارها ويأخذ كل شجرة قدراً معيناً وكل ذلك جائز عند الطاقة والتراضي على اخـذ شيء في مقابلة خراج المقاسمة لمن يستحقه ولا شك ان أراضي بلادنا خراجية وخراجها

مقاسمة كما هو مشاهد وتقديره مفوض الى رأي الامام انتهى ما ذكره الخير الرملي .

وأما ما سوى ذلك مما ليس فيه توظيف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كزعفران فيؤخذ على حسب ما تطيقه الارض وغاية الطاقة نصف الخارج . قال في التنوير والتنصيف عين الانصاف فلا يزاد عليه انتهى أي فيما لم يوظف وكذا لا يزاد على النصف في خراج المقاسمة ولا يزاد في الموظف على ما وصفه عمر رضي الله عنه وان طاقة الارض على الصحيح على ما نقله في الدر المختار عن الكافى وعطف فى التنوير على الزعفران الذي ليس فيه توظيف عمر رضى الله تعالى عنه قوله وبستان وعرف الشارح العلامة العلائي البستان بأنه كل ارض يحوطها حائط وفيها اشجار متفرقة يمكن الزرع تحتها ثم قال فلو ملتفة أي متصلة لا يمكن زراعة ارضها فهو كرم وحاصل فرقه بين البستان والكرم انما كانت أشجاره متفرقة فهو بستان وما كانت اشجاره متصلة فهو كرم .

قال السيد ابن عابدين وفي عزاه في البحر الى الظهيرية ومثله فى كافي النسفي ومقتضاه ان الكرم يفيد انه غيره وفى الاختيار والجريب الذي فيه اشجار مثمرة ملتفة لا يمكن زراعتها .

قال محمد يوضع عليه بقدر ما يطيق لأنه لم يرد عن عمر رضي الله عنه فى البستان تقدير فكان مفوضاً الى امر الامام وقال ابو يوسف لا يزاد على الكرم لأن البستان بمعنى الكرم فالوارد فى الكرم وارد فيه دلالة وان كان فيه اشجار متفرقة فهي تابعة للارض انتهى ومفاد هذا أيضاً ان الكرم مختص بالعنب والبستان غيره بقرينة التعليل اولا وثانياً وهذا اوفق بما في كتب اللغة ومفاده ايضاً ان الخلاف بين محمد وابي يوسف في البستان اذا كانت اشجاره

ملتفة وان في المتن هو قول محمد وعليه جرى في المنتقى وذكر في البديع مثل ما في الاختيار انتهى ما ذكره ابن عابدين وينقص وجوباً مما وظف لم تطق الارض وجوازاً ان اطاقت وليس للامام على ما في الكافي أن يحول الخراج الموظف الى خراج القسمة وكذا العكس فيما يظهر من التعليل بأن فيه نقض العهد وهو حرام على ما قاله الخير الرملي وصرح القهستاني بالعكس . وقال ابن عابدين وما يفعله اهل التيمار والزعامات من مطالبة اهل القرى بجميع ما عينه لهم السلطان على القرى كالقسم من النصف فهم ظلم محض لأن ذلك المعين في الدفاتر السلطانية مبني على انه لا يؤخذ من الزراع سوى ذلك القسم المعين والفاضل منه يبقى للزراع والواقع في زماننا خلافه فأن ما يؤخذ ظلماً مما يسمى بالذخائر وغيرها بشيء كثير وربما يستغرق جميع الخارج من بعض الاراضي بل يؤخذ منهم ذلك وان لم تخرج الارض شيئاً ولكثرة الظلم كثيراً ما ينزل اصحاب الاراضي عن ارضه لغيره بلا شيء وعلى هذا لا يجوز مساعدة التيمار على ظلمهم بل يجب أن ينظر الى ما تطيقه الارض كما افتى به الخير الرملي ونقل بعضهم عن شمس الأئمة ان من سيره الاكاسرة اذا أصاب بعض زرع الرعية آفة عوضوا له ما انفقه في الزراعة من بيت مالهم وقالوا التاجر شريك الخسران كما هو شريك في الربح فاذا لم يعطه الامام فلا اقل من ان لا يغرمه الخراج ولا خراج مقاسمة وموظفاً ولا عبرة بالاولى على أرض غلب عليها الماء او انقطع عنها أو اصاب الزرع آفة سماوية كغرق وحرق وشدة برد إلا اذا بقى من السنة ما يمكن الزرع فيها ثانياً بخلاف ما اذا كانت الآفة غير سماوية وامكن الأحتراز عنها كأكل قردة وسباع وانعام وفار ودودة أو هلك الخارج بعد الحصاد فأنه لا يسقط الخراج ولو هلك قبل الحصاد سقط إلا اذا بقى من السنة ما يتمكن فيه

من الزراعة صاحبها وكان خراجها موظفاً وجب عليه الخراج لانه مقصر وبعد من التعطيل مالو زرع الاخس مع قدرته على الاعلى ويستثنى من التعطيل مالو جعل ارضه مقبرة أو خاناً للغلة او مسكناً فانه يسقط عنه الخراج وقيل لا يسقط والصحيح هو الاول على ما في الاسعاف ولو عجز صاحب الارض عن زراعتها لعدم قوته واسبابه فللامام ان يدفعها لغيره مزارعة ليأخذ الخراج من نصيب المالك ويمسك الباقي للمالك وان شاء اجرها واخذ الخراج من الاجرة وان شاء زرعها من بيت المال فان لم يتمكن باعها واخذ الخراج من ثمنها

قال في النهاية وهـذا لا خلاف فيه لانه من باب صرف الضرر العام بالضرر الخاص . وعن ابي يوسف يدفع للعاجز كفايته من بيت المال قرضاً ليعمل فيه على ما في شرح الزيلعي على الكنز ولو عادت قدرة مالكها ردها الامام عليه إلا في البيع على ما في الذخيرة ولو اشترى مسلم من ذمي ارض خراج او اسلم صاحبها يجب عليه الخراج لما صح ان الصحابة رضي الله عنهم اشتروا اراضي الخراج وكانوا يؤدون خراجها على ما في الفتح ولو منعه انسان من الزراعة ولم يقدر على رفعه او ترك زراعة الارض لعذر أو غيره أو رحل الى قرية أخرى وكان خراج الأرض خارج المقاسمة لا يجب على صاحبها شيء لأنه إذا منع ولم يقدر على الدفع لم يتمكن من الزراعة ولأن خراج المقاسمة يتعلق بعين الخارج كالعشر فاذا لم يخرج من الارض فلا شيء عليه بخلاف الخراج الموظف فانه يتعلق بالذمة ويجب بمجرد التمكن من الزراعة زرع أم لا ولو باع ارضاً خراجية فان بقي من السنة مقدار ما يتمكن المشتري من الزراعة فعليه الخراج وإلا فعلى البائع واختلفوا في اعتبار ما يتمكن المشتري من زراعته فقيل الحنطة والشعير وقيل أي زرع كان وفي انه هل يشترط ادراك الريع بكمالة اولا وفي واقعات الناطفي ان الفتوى على تقديره بثلاثة اشهر وهذه

الفتوى مبنية على اعتبار زرع الدخن لان ربح الدخن يدرك فى مثل هـــذه المدة واذا رحل الفلاح من قريته لا يجبر على العود الى القرية والزراعة نعم يدفع الامام اراضي تلك القرية الى غيره مزارعة او اجرة أو يبيعها ولم يقل احدمن الفقهاء باجبار صاحبها ولا يؤخذ العشر من الخارج من ارض الخراج فلو كانت الارض ملكا لاحد وكان خراجها موظفاً لا يؤخذ منها عشر الخراج وكذا لو كان خراجها مقاسمة من النصف ونحوه وكذا لو كانت عشرية لا يؤخذ منها خراج لانهما لا يجتمعان وعند الامام الشافعي رضي الله عنه يجتمعان لان العشر حق الفقراء والخراج حق بيت المال ولا يسقط احدهما بالآخر ولا يتكرر الخراج بتكرار الخارج فى سنة واحدة لو كان الخارج موظفاً فالخراج له شدة من حيث تعلقه بالتمكن من الزراعة وخفة باعتبار عدم تكرره فى السنة ولو زرعها مراراً والعشر له شدة وهو تكرره بتكرر خروج الخارج وخفة بتعلقه بعين الخارج . واما خراج المقاسمة فانه يتكرر كالعشر بتكرر خروج الخارج لانه متعلق بالخارج حقيقة مثل العشر ولو ترك السلطان أو نائبه الخراج لصاحب الارض أو وهبه له بان اخذه منه ثم اعطاه اياه جاز ما فعله السلطان عند ابي يوسف . وقال محمد لا يجوز على ما في البحر

قال السيد ابن عابدين ولم يظهر لي وجه قول محمد بأن كان مراده انه لا يجوز لو كان مصرفاً للخراج انتهى وحل لصاحب الارض ان يتصرف فيما وهبه السلطان له من الخراج لو كان مصرفاً وإلا تصدق به وبه يفتي وما فى الحاوي من ترجيح حله لغير المصرف فهو خلاف المشهور على مافي الدر المختار أي مخالف لما نقله العامة عن ابي يوسف كما في النهر .

قال فى القنية ويعذر فى صرفه الى نفسه ان كان مصرفاً كالمفتي والمجاهد والمعلم والمتعلم والذاكر والواعظ عن ألم ولا يجوز لغيرهم وكذا اذا ترك عمال

السلطان الخراج لاحد بدون علمه انتهى ولو ترك السلطان العشر لاحد فانه لا يجوز بالاجماع ويخرجه بنفسه للفقراء على ما نقله فى الدر المختار عن السراج لان العشر مصرفه مصرف الزكاة نفسه بخلاف الخراج فانه ليس زكاة وكذا يوضع على ارض الكافر قاله ابن عابدين وهو وجيه ومقتضى ما فى الاشباه من قاعدة تصرف الامام منوط بالمصلحة انه يجوز ترك العشر لاحـــد وهو معزى الى البزازية قال فيها السلطان اذا ترك العشر لمن هو عليـه جاز غنياً كان أو فقيراً لكن ان كان المتروك له فقيراً فلا ضمان على السلطان وان كان غنيـــاً ضمن السلطان العشر للفقراء من بيت مال الخراج لبيت مال الصدقة انتهى .

وفي الذخيرة مثلها في البزازية قال في الدر المنتقى ثم رأيت في البرجندي في بيان مصرف الجزية وكذا لو جعل العشور للمقاتلة جاز لانه مال حصل بقوتهم انتهى فليحفظ وليكن لله التوفيق انتهى .

أي بين القول بالمنع والقول بالجواز بحمل الجواز على المقاتلة وحمل المنع على غيرهم . قال ابن عابدين قلت لكن قوله لو جعل العشور للمقاتلة ليس صريحاً في جعل عشور أراضيهم تأمل أنتهى .

أقول وان لم يكن صريحاً فى ذلك الا انه عام يعم عشور أراضيهم وغيرهـــا فافهم ونقل في الدر المختار عن النهر انه يعلم من قول الثاني أي ابي يوسف القائل بجواز ترك الخراج وهبته لمن هو مصرف له حكم الاقطاعات من اراضي بيت المال اذ حاصلها ان الرقبة لبيت المال والخراج له انتهى .

قال ابو يوسف رحمه الله فى كتاب الخراج وللامام أن يقطع كل موات وكل ما ليس فيه ملك لاحد ويعمل بما يرى انه خير للمسلمين واعم نفعاً وقال أيضاً وكل ارض ليست لاحد وعليها اثر عمارة فاقطعها رجلا فعمرهـا

فان كانت فى ارض الخراج ادى عنها الخراج وان كانت عشرية ففيها العشر وقال فى ذكر القطائع ان عمر رضي الله عنه اصطفى اموال كسرى واهل كسرى وكل من فر عن ارضه أو قتل فى المعركة وكل مغيض ماء أو أجمة فكان عمر رضي الله عنه يقطع من هذا لمن يقطع .

قال ابو يوسف وذلك بمنزلة بيت المال الذي لم يكن لاحد ولا فى يد وارث فللامام العادل أن يجيز منه ويعطي من كان له عناء في الاسلام ويضع ذلك فى موضعه ولا يحابي به فكذلك هذه الارض فهذا سبيل القطائع عندي فى ارض العراق وانما صارت القطائع يؤخذ منه العشر لانها بمنزلة الصدقة وكل من القطعة الولاة المهديون أيضاً من ارض السواد وارض العرب والجبال من الاصناف التي ذكرنا فلا يحل لمن يأتي بعدهم من الخلفاء أن يرد ذلك ولا يخرجه من يد من هو في يده وارث أو مشتر ثم قال والارض عندي بمنزلة المال فللامام أن يجيز من بيت المال من له عناء فى الاسلام ومن يقوى به على العدو ويعمل في ذلك بالذي يرى انه خير للمسلمين واصلح لامرهم وكذا الارضون يقطع الامام من أحب من الاصناف انتهى .

قال ابن عابدين بعد نقله كلام ابي يوسف المذكور فهذا يدل على ان للامام ان يعطي الارض من بيت المال على وجه التمليك لرقبتها كما يعطى المال حيث رأى المصلحة اذ لا فرق بين الارض والمال في الدفع للمستحق فاغتنم هذه الفائدة فانى لم ار من صرح بها وانما المشهور فى الكتب ان الاقطاع تمليك الخراج مع بقاء رقبة الارض لبيت المال انتهى وعلى تقدير كون رقبة الارض لبيت المال لا يصح بيعه ولا هبته ولا وقفه على ما في الدر المختار .

قال ابن عابدين وهذا ظاهر واما اذا كانت رقبتها للمقطع له كما قلنا فلا شك فى صحة بيعه وغيره انتهى وله اجارته بلا خلاف تخريجاً على اجارة

المستأجر على ما في الدر المختار .

قال ابن نجيم في رسالته في الاقطاعات وصرح الشيخ قاسم في فتوى وقعت له بان للجندي ان يؤجر ما اقطعه له الامام ولا اثر لجواز اخراج الامام له اثناء المدة كما لا اثر لجواز موت المؤجر في اثناء المدة ولا لكونه ملك منفعة لا في مقابلة مال لاتفاقهم على ان من صولح على خدمة عبد سنة كان للمصالح ان يؤجره الى غير ذلك من النصوص الناطقة بايجار ما ملكه من المنافع لا في مقابلة مال فهو نظير المستأجر لأنه ملك منفعة الاقطاع بمقابلة استعداده لما اعد له واذا مات المؤجر او اخرج الامام الارض على المقطع تنفسخ الاجارة لانتقال الملك الى غير المؤجر او انتقل الملك في النظائر التي خرج عليها اجارة الاقطاع وهي اجارة المستأجر واجارة العبد الذي صولح على خدمته مدة واجارة الموقوف عليه الغلة واجارة المأذون واجارة ام الولد انتهى ولو اقطع السلطان ارضاً لرجل ولاولاده من بعده على ان من مات منهم انتقل نصيبه الى أخيه ثم مات السلطان ومات من اقطع له في زمن سلطان آخر فهل تصير الارض لاولاد المقطع له عملا بقول السلطان ولاولاده فانه بمعنى ان من مات عن اولاد فلاولاده من بعده فهو تعليق معنى .

قال في الدر المختار بعد ذكره هذه الحادثة لم أره ومقتضى قواعدهم الغاء التعليق بموت المعلق فتدبر انتهى . يعني انها لا تكون لاولاده والبطلان التعليق بموت السلطان الذي علق ذلك وكذا ذكر في الاشباه انه يبطل التعليق بموت المعلق ولو اقطع السلطان ارضاً مواتاً من اراضي بيت المال او من غير بيت المال واذن له باحيائها على ما شرطه ابوحنيفة رضي الله عنه في صحة الاحياء أو ملكها السلطان باحياء او شراء من وكيلي بيت المال ثم اقطعها ووهبها له جاز وقفه لها على ما في الدر المختار وكذا بيعه ونحوه لانه ملكها

حقيقة وارصاد السلطان بعض القرى والمزارع من بيت المـــال على المساجد والمدارس ونحوها لمن يستحق من بيت المال كالقراء والأئمة والمؤذنين ونحوهم ليس بايقاف ألبتة على ما في الدر لعدم ملك السلطان بل هو تعيين شيء من بيت المال على بعض مستحقيه ولا يجوز لمن بعـده أن يغيره ويبدله ولو احيا رجل ارضاً باذن الامام فليس للامام اخراجه عنها لانه تملكها بالاحياء واما غير الموات فله ان يخرجه منها متى شاء على ما ذكره ابن نجيم والسياسة تجوز في كل جناية والرأي فيها الى الامام على ما في الكافي كقتل مبتدع يتوهم منه انتشار بدعته وان لم يحكم بكفره كما في التمهيد وهى استصلاح الخلق بارشادهم الى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة فهي من الانبياء على الخاصة والعامة فى ظاهرهم وباطنهم ومن السلاطين والملوك على الخاصة والعامة ايضاً لكن فى ظواهرهم فقط ومن العلماء ورثة الانبياء على الخاصة فى باطنهم لا غيرهم وانها تعريف لمطلق السياسة العامة الصادقة على جميع ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام الشرعية وتستعمل اخص من ذلك مما فيه زجر وتأديب ولو بالقتل كما قالوا في اللوطي والسارق والخذق اذا تكرر ذلك منهم حل قتلهم سياسة على ما في الدر المنتقى . ثم قال ولهذا عرفها بانها تغليظ جناية لها حكم شرعي حسما لمادة الفساد وقوله لها حكم شرعي معناه انها داخلة تحت قواعد الشرع وان لم ينص عليها بخصوصها فان مدار الشريعة بعد قواعد الايمان على حسم مواد الفساد لبقاء العالم . ولذا قال في البحر وظاهر كلامهم ان السياسة هي فعل من الحاكم لمصلحة يراها وان لم يرد بذلك الفعل جزيء انتهى وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نفى من المدينة نصر بن الحجاج سياسة ولما نفاه قال له ما ذنبي يا امير المؤمنين فقال لا ذنب لك وانما الذنب لي حيث لا اطهر دار الهجرة منك وكان نفيه لافتتان النساء به وان

لم يكن يصنعه فهو فعل لمصلحة وفعل السياسة يكون من القاضي ايضاً على ما نص عليه الفقهاء وقالوا على ما ذكره ابن عابدين والتعبير بالامام ليس للاحتراز عن القاضي بل لكونه هو الاصل والقاضي نائب عنه فى تنفيذ الاحكام . .

قال فى الدر المنتقى نقلا عن معين الاحكام للقضاء تعاطي كثير من هذه الامور حتى ادامة الحبس والاغلاظ على اهل الشر بالقمع لهم والتحليف بالطلاق وغيره وتحليف الشهود اذا ارتاب منهم ذكره في التتارخانية وتحليف المتهم لاعتبار حاله او لمتهم بسرقة يضربه ويحبسه الوالي والقاضي انتهى .

وصرح الزيلعي قبيل الجهاد ان من السياسة عقوبته اذا غلب على ظنه انه سارق وان المسروق عنده فقد اجازوا قتل النفس بغلبة الظن كما اذا دخل عليه رجل شاهراً سيفه وغلب على ظنه انه يقتله انتهى ولو تشاتم الخصمان بحضور القاضي هل له العفو عنهما . قال فى النهر لم اره والظاهر لا بخلاف قوله اخذت الرشوة من خصمي وقضيت علي فقد صرحوا بانه له ان يعفو والفرق بين انتهى .

قال ابن عابدين وفيه نظر لانهما اذا تشاتما استوفيا حقهما لكنهما اخلا بحرمة مجلس القاضي فبقى مجرد حقه فصار بمنزلة قوله اخذت الرشوة فله العفو يدل عليه ما فى الوالجية لو تشاتمـــا بين يديه ولم ينتهيا بالنهي ان حبسهما وعزرهما فهو حسن لئلا يجتريء بذلك غيرهما فيذهب ماء وجه القاضى وان عفا عنهما فهو حسن لان العفو مندوب اليه في كل امر واختلفوا فى انه هل للامام العفو والظاهر ان تشاتمهما عند القاضي وقوله اخذت الرشوة اجتمع فيه حق الشرع مع حق العبد وهو القاضي وترجح فيه حقه فكان حق عبد كما يفيده كلام الوالجية والا يكن له العفو تأمل انتهى .

اقول فيما ذكره من النظر نظر لأن رعاية حق الشرع والحكومة اولى من رعاية حق القاضى نفسه فللاخلال بحرمة مجلس القاضي اخـلال بمقام الشريعة والحكم فليس للقاضي العفو وما ذكره من ترجيح حق القاضي على حق الشرع فهو من باب ترجيح المرجوح على الواجح كما لا يخفى ولعل هذا وجه الأمر بالتأمل هـذا ما ظهر لي قاصر النظر والاستعانة بالكافر جائزة عند الحاجة على ما في الدر المختار ثم قال وقد استعان عليه الصلاة والسلام باليهود على اليهود ورضخ لهم انتهى . يعني اعطاهم قليلا من كثير فان الرضيخة هى الاعطاء كذلك والكثير السهم فالرضخ لا يبلغ السهم وذكر في الفتح ان في سند حديث استعانته ﷺ باليهود ضعفاً وان جماعة قالوا لا يجوز لحديث مسلم انه عليه الصلاة والسلام خرج الى بـدر فلحقه رجل مشرك فقال ارجع فلن استعين بمشرك الحديث . وروي رجلان ثم قال في الفتح وقال الشافعي رده عليه الصلاة والسلام المشرك والمشركين كان فى غزوة بدر ثم انه عليه الصلاة والسلام استعان فى غزوة خيبر بيهود من بني قينقاع وفي غزوة حنين بصفوان بن امية وهو مشرك فالرد ان كان لاجل انه كان مخيراً بين الاستعانة وعدمها فلا مخالفة بين الحديثين وان كان لاجل انه مشرك فقد نسخه ما بعده انتهى .

اقول ومفاد نقله كلام الامام الشافعي رضي الله عنه وعدم التعرض به ترجيحه القول بجواز الاستعانة بالكافر عند الحاجة كما في الدر وغيره على القول بعدم الجواز والذي يظهر لي رجحان القول بالجواز لفعله ﷺ وان الحاجة قد تشتد ويضيق الحال وتدعو الضرورة الى ذلك وفى ترك الاستعانة قد يخشى من محذور عظيم والعياذ بالله ولا سيما في هذه الاعصر ايد الله تعالى سلطان المسلمين بنصره وخذل اعداءه بقهره ودفع عن المسلمين كيد المخالفين

وقهر اعداء الدين آمين بجاه النبي الامين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه اجمعين .

هذا آخر ما حررته في هذا الكتاب والله الموفق للصواب بالبصرة أثناء الاشتغال بالنيابة وختامه في شهر رمضان المبارك سنة الف ومائتين وست وثمانين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والتحية .

قوبلت هذه النسخة على النسخ الخطية الموجودة في مكتبة آل باش أعيان العامرة والمكتبة المستنصرية ومكتبة المجمع العلمي العراقي

شكر وامتنان

لا يسعني بعد الانتهاء من طبع هذا الكتاب إلا تقديم الشكر والامتنان الى الذين آزروني في تصحيح واخراج هذا السفر القيم واخص بالذكر منهم سيادة الشيخ عبدالقادر باش اعيان العباسي الذي ترك بين يدي النسخة الاصلية التي حققها المرحوم الشيخ ياسين باش اعيان . وكذلك جهود نجل المرحوم العلامة السيد ناصر النقشبندي وكذا امناء مكتبة المجمع العلمي وايضاً السادة ابو صادق والمحقق الاستاذ كوركيس عواد والاستاذ مشكور الاسدي والاستاذ عبدالمجيد محمود وكل من آزرني من المنضدين والطباعين وغيرهم اسأل الله لهم العمر الطويل لخدمة العلم والادب .

علي البصري

الفهرس

أحوال بغداد

أحوال البصرة

صفحة

أحوال نجد

تصحيح واستدراك

بالرغم من بذلنا اقصى الجهود في تصحيح هذا الكتاب فقد وجدنا من الواجب عرض النسخة المطبوعة على احـــد الافاضل الذي تفضل علينا بالتصحيحات التالية والتي نرجو من القارىء الكريم أن يصحح نسخته عليها قبل القراءة .

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣	٢٣	زادت	كلما زادت
٤	٣	بعناءهم	بعنائهم
٥	٨	العبث	العيث
٥	١٤	وصار تكدرة	وصارت كدرة
٥	١٨	زالت	زادت
٦	١٥	مكرهاً	مكروهاً
٦	١٨	يحتاج	يحتج
٧	٦	حواش	حواشي
٨	١٣	جهلا	جهل
٩	٩	ورحمة	فبما رحمة
١٠	٢١	الأمراء	الأمر
١١	١٠	مهما	كلما
١١	١٥	وبسط	وسط
١٢	١٢	المقضى	المفضي

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٦	١٣	بن صرحان	بن صوحان
١٦	١٦	غير بجاب	غير محاب
١٦	١٨	الاماتة	الأمانة
١٧	١	يسهل	تسهل
١٧	٩	ما	مما
٢٠	١٢	العاما	العامة
٢٠	١٧	ولو	ولوا
٢١	٦	وسبيت	وسميت
٢١	٧	رقية الاسلام	وقبة الاسلام
٢٤	٢	نبغي - تبغي	نبني - تبني
٢٤	٢٠	النجار	التجار
٢٥	١٠	راضي	راض
٢٦	١٣	يتعاضدون	يتعاضدوا
٢٦	١٦	يراعون	يراعوا
٢٧	٧	البارودي	الماوردي
٢٧	١٧	كيفباد	كيقباد
٢٨	٢٠	وبيداء	وبيدأ
٢٩	٦	رتبم	رتبهم
٢٩	١٨	الطابوا	الطابو
٣١	٣	الجزايات	الجرايات
٣٢	١٨	النفدم	النفد

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٥	٦	موضوع	موضع
٣٧	٥	عمرو بن العباس	بن العاص
٣٧	٦	عمر	عمرو
٣٧	١٢	تحفروا	تحفر
٣٩	٢	نوهني	نهاني
٣٩	٦	بن	من
٣٩	١١	بينات الطريق	بنيات الطريق
٣٩	١٥	عمر	عمروا
٤٠	٣	قيل	قبل
٤٠	٢١	مخاطب	خاطب
٤١	٧	كثر	كثرة
٤١	١٢	الزيارات	الزيادات
٤١	١٩	بن وحنية	بن وحشية
٤٢	١٠	البرنس	البرلس
٤٣	٩	وغرته	وعزته
٤٤	٢	التاموس	القاموس
٤٤	٣	المدنية	اللدنية
٤٤	٥	والخج	والخلج
٤٤	٢٢	والبقل	والبغل
٤٥	٢	اداه	اداه
٤٥	٨	الجرس	الحرش

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٥	١١	قرو	قرر
٤٥	١٢	ابو العساب	ابو العباس
٤٥	١٣	والغفور	والثغور
٤٥	١٦	لما استند	ولما استبد
٤٥	١٧	لملك	بملك
٤٦	٢١	ومصرف	ومصر
٤٧	٣	الطير	الطين
٤٨	٤	وما نوقينا	وما توفيقنا
٤٩	٣	نوبة	توبة
٤٩	٧	دائرة	دائرة
٥١	١	تحت	تخت
٥٢	١١	البارودي	الماوردي
٥٣	٨	الاغراض	الاعراض
٥٤	١١	فككلمت	فكملت
٥٩	١٤	المجلسي	المجسطي
٥٩	٢٠	جسر	جر
٥٩	٢١	والمريا	والمرايا
٦٠	١٣	انبات	اثبات
٦٣	٣	تبلوه	يتلوه
٦٤	٣	خفظ	حفظ
٦٤	١١	تكدر	تكثر

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٦٤	١٢	فلعلنا	فلعلمنا
٦٤	١٣	لاستحصال	لاستحال
٦٤	٢٠	الايفيفية	الايفية
٦٥	١٩	لا أن	لأن
٦٦	٢	ايسافوجي	ايساغوجي
٧٠	١٠و١١	ابن العرية	ابن القرية
٧٥	٣	يرتاه	يرتاد
٧٦	١٣	الثورة	الثوري
٧٩	٣	يحفروا	يحفرا
٧٩	١٠	دماد	دواد
٨٠	٢٠	جسور	جسوراً
٨٢	٢	اطرازها	اطرافها
٨٢	٥	صحة	وصحة
٨٢	٦	دائرة	دارة
٨٢	٨	نخرب	نخربت
٨٣	٨	قلهتم	قتلهم
٨٥	١	خاعة	خاتمه
٨٧	٤	المحكات	المحاكات
٨٨	٢١	المتأخريرين	المتأخرين
٩٠	١	العلى	الملى
٩٦	١٩	الاولاد	اولاد

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٩٨	١٠	منعم	منهم
١٠٥	١٦	هــذا السطر ليس بشعر وانما هو نثر .	
١٠٦	١٨	ما	من
١٠٧	١٠	بجوارة	بجواره
١٠٨	١٤	مشهورين	مشهورة
١٠٩	٢	شنوه	شنوءة
١١١	١٣	العزى	الغري
١١٣	٦	بنو قبيلة	بنو قيلة
١١٣	٧و٨	زبدة اللاة	زيد اللاة
١١٣	٢١	قحطان	من قحطان
١١٤	٧	زيد الخيل	زيد الخير
١١٦	١	الفوري	الغوري
١١٧	٨	واكفت	وكفت
١١٩	١٩	من أود	من اولاد
١١٩	٢١	يمزقها	يمزقهما
١١٩	٢١	فيها	فيهما
١٢٠	١	تكون	يكون
١٢٠	٥	بمزق	محرف
١٢٨	١٤	الكتب	كتب
١٢٩	١٢	الالمعي	المعي
١٣٠	٦	المصر	المصرى
١٣٠	١٦	مشغوقاً	مشغوفاً
١٣٠	١٨	كان	كانا

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٣٠	٢٢	التحية	النخبة
١٣٣	١٦	فاتى	فانى
١٣٦	٩	ما	من
١٤٥	٩	احمد المبركى	احمد الميركى
١٤٨	٣	شيخ	الشيخ
١٥٤	٨	اسكندرية	الاسكندرية
١٥٤	٩	رضوانية	الرضوانية
١٥٤	١٣	بالشريا	بالثريا
١٥٤	١٥	دار الباتوجة	دار البانوجة (البانوقة)
١٥٤	١٧	ويز	ويمر
١٥٥	٤	قطعة	قطيعة
١٥٥	٧	الشماسة	الشماسية
١٥٥	١٠	بستاب	بستان
١٥٧	١٤	النضر	النظر
١٦٠	٢	الى	الا
١٦٣	١٢	يترددن	يترددون
١٨١	٧	اتخذها	اتخذتها
١٨٤	٩	وغصيب	وحضيب
١٨٤	٢٢	عضب	غضب
١٨٦	١٣	ابنيتها	انبتها
١٨٦	١٥	المجيدين	المجيدون
١٨٨	٧	سليمة	سلمية
١٨٨	١٦	ومن سلمه الى مشاريق	ومن سلمية الى مشارف

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٨٨	١٧	مشاريق	مشارف
١٨٩	٦	هى	هو
١٩٢	٧	والحية	ولحية
١٩٢	١٠	الغاز	البغاز
١٩٢	١٤	رايغ	رابغ
١٩٢	١٦	عدن البين	عدن ابين
١٩٢	٢٢	فطلبت	فطلب
١٩٣	٢	يبقون	يبقوا
١٩٣	٢٢	يأم	يام
١٩٦	٣و١٠	الهيع	الهميسع
١٩٦	١٠	ثابت	نابت
١٩٧	٢	سنة ١٣٢٩	سنة ١٢٢٩
٢٠٣	١٣	وغيره	وغيرها
٢٠٦	١٣	خندق	خندف
٢٠٧	٤	بحيلة	بجيلة
٢٠٧	١٧	فاستدعاه ابي درع القطيف	. الى القطيف
٢١٠	١٩	نخسرت	فحسب
٢١٣	١٧	يراه	يقرأه
٢١٤	٢	يطيع	يطع
٢١٤	٢	ويتقيه	ويتقه
٢١٤	٤	فرائظ	فرائض
٢١٤	١٠	نخله هو رجاله	نخله ورحاله
٢١٤	١١	لان	لولا

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢١٤	١٢	النسابة	النساء
٢١٥	٦	عنه	عند
٢١٥	٢٠	حرباً	ضرباً
٢١٥	٢١	ولا يعبقهم	ولا يذيقهم
٢١٦	٤	القبض	القرض
٢١٦	٦	الغبة	العينة
٢١٦	١٦	والتشوق	والنشوق
٢١٩	٦	اسعوا	امشوا
٢١٩	٩	الآلهية	الآلهة
٢١٩	١٩	عن سواء	وضلوا عن سواء
٢٢١	١٨	بحي	يحيي
٢٢٣	٢٢	اما	لما
٢٢٥	١٠	الشيخان	الشيخين
٢٢٥	١٠	النبوى	النووي
٢٢٥	١١	السيكى	السبكى
٢٢٥	١١	السقلانى	العسقلانى
٢٢٥	١٩	العشنى	العينى
٢٢٦	٢	وادردير	والدردير
٢٢٦	٢	بن الحسن	وابي الحسن
٢٢٦	٧	الطوقى	الطوفى
٢٢٦	٨	الفتوحي	القنوجي
٢٢٦	١٩	مبنى ما ذهب	مبنى على ما ذهب
٢٣٣	٧	بغيرة	بغيره

سطر	صفحة	الخطأ	الصواب
٢٣٥	٦	غزى	غزا
٢٣٧	٨	لم يؤل	لم يول
٢٣٧	٨	وحسن	وأما حسن
٢٤٤	١	يبيع	بيع
٢٥٧	١	وبعد	ويعد

تطلب هذه الكتب من مطبعتنا

ساحة الأمين خلف وزارة الصحة — بغداد

فلس	دينار	
١٥٠		رحلة السيرافي الى الهند والصين
٢٥٠		رحلة ماركو بولو الى الصين
١٥٠		ولاة البصرة ومتسلموها
١٥٠		جولة في الخليج العربي
١٠٠		جغرافية جزيرة العرب
١٥٠		مهرج السلطان
٢٥٠		توماس جفرسن
١٥٠		الذرة العظيمة
٢٥٠		البصرة في ادوارها التاريخية
٢٥٠		مذكرات رضا شاه
١٠٠		تعليم الفارسية
١٠٠		المساعد في الانشاء

FOREWORD

Ibrahim Fasih Al-Haidari, was a famous Iraqi author, during the second half of ninetieth century

His death was in 1300 H. (1882 A. D.).

Several books have been written By him in history, Religion and other subjects. But nothing was published of his works, exept his book which we publish it now for the first time. It is a book of a great importance, because it deals with history of Baghdad, Basrah and Nejd during the islamic periods.

Few manscripts of this books are kept in some public and private libraries in Iraq and Abroad.

In preparing this edition, we consulted the copy of Iraq museum libraay, and the library of Al-Bash A,Aian at Basra.

In publishing of this uniqe book, We hope to recieve the acceptance of the readers, especially those interested in the history of Baghdad during the Ottoman reign in Iraq.

THE PULISHERS
DAR MANSHOURAT Al-BASRI
BAGHDAD — IRAQ